[١/ب] **بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين**

١ ـ عَوْن بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود

ابن غافل بن حبيب أبو عبد الله الهُذَليّ

أخو عُبيد الله بن عبد الله الفقيه

وفَد على عمر بن عبد العزيز في خلافته .

حدّث عن ابن عمر قال :

بينما نحن نصلّي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجلٌ من القوم : اللهُ أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ، وسبحان اللهِ بُكْرةً وأصيلاً . فقال رسولُ الله ﷺ : مَن القائلُ كذا وكذا ؟ فقال رجلٌ من القوم : أنا يا رسولَ الله ، قال : عجبْتُ لها لَمَّا فُتحَتْ لها أبوابُ السماء . قال ابن عمر : فما تركتُهنَّ منذُ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ذلك .

وحدّث عن يوسف بن عبد الله بن سَلاَم عن أبيه قال :

بينما نحن نسيرُ مع رسول الله ﷺ إذْ سمع القومَ وهم يقولون : أيُّ الأعمالِ أفضلُ يا رسول الله ؟ قال رسولُ الله ﷺ : إيمانٌ بالله ورسوله ، وجهادٌ في سبيل الله ، وحَجٌّ مبرور . ثم سمع نداءً في الوادي يقول : أشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، فقال رسولُ الله ﷺ : وأنا أشهد ، ولا يشهد بها أحَدٌ إلاَّ بريءٌ من الشِّرْك .

كان عونُ بن عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن إخوة ؛ فأمَّا عُبيد الله فكان من فقهاء أهلِ المدينة وخيارِهم ، وكان أعمى فمرَّ عليه عبد الله بن عمرو بن عثمان وعمر بن عبد العزيز فلم يسلِّما عليه فأُخبر بذلك فأنشأ يقول : [من الطويل]

obeikandl.com

لا تعجبـــا أنْ تُـؤتيـــا فَتكلُّما ... فـا حُشي الأقـوامُ شرّاً من الكِبْرِ
مُسَّـا ترابَ الأرضِ منـه خُلقتمـا ... وفيها المعـادُ والمصيرُ إلى الحَشْرِ[1]

وأمّا عَوْن بن عبد الله فكان من آدَبِ أهلِ المدينـة وأفقههم ، وكانَ مرجئـاً ثم رجع عن ذلك وأنشأ يقول : [من الوافر]

لأوّل مسـا تفـــارقُ غير شـــكٍّ ... ففـارقْ مـا يقـولُ الْمُرْجِئـونـا
[٢/أ] وقـالوا مؤمنٌ من أهْلِ جَوْرٍ ... وليس المـؤمنـونَ بجـــائرينـــا
وقـــالـوا مـؤمنٌ دَمُـــهُ حَـلالٌ ... وقـد حَرُمَتْ دمـاءُ المـؤمنينـا[2]

ثم خرج مع ابن الأشعث فهرب حيث هربوا ، فأتى محمد بن مروان بِنَصِيبِين[3] ، فأمّنه وألْزَمه ابنَه ، فقال له محمد : كيف رأيتَ ابنَ أخيـك ؟ قـال : ألزمتني رجلاً إنْ قعـدتُ عنـه عتب ، وإنْ أتيتُه حُجِب ، وإنْ عاتبتُه صخِب ، وإنْ صاحبتُه غضِب . فتركه ولزم عمر بن عبـد العزيـز وهـو خليفـة ؛ وكانَتْ لـه منـه منزلـة ، وخرج جرير ، فـأقـام بـبـاب عمر بن عبد العزيز فطال مقامُه فكتب إلى عَوْن بن عبد الله : [من البسيط]

يـا أيُّهـا الفـارسُ المرخي عـمـامتَـهُ ... هـذا زمـانُـكَ إنّي قـد مضى زمني
بَلِّـغْ خليفتَنـــا إنْ كنتَ لاقيَـــهُ ... أنّي لدىٰ البابِ كالْمَشْدودِ في قَرَنِ[4]

وأمّا عبد الرحمن بن عبد الله[5] فهو الذي يقول : [من الوافر]

---

(١) البيتان من مقطوعة في « البيان والتبين » ٣٥٧/١ بتحقيق هارون والأغاني ١٤٥/٩ ط دار الكتب ، وأمالي المرتضى ٣٩٨/١ على خلاف يسير في الرواية . وفي الأصل : « جُشي » بالجيم ، وما أثبتُّه من أمالي المرتضى .

(٢) الأبيات في « البيان والتبين » ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ والأغاني ١٣٩/٩ .

(٣) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ . انظر معجم البلدان ٢٨٨/٥ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٤ ، وموقعها اليوم إلى الجنوب الشرقي من تركية ، وهي معدودة من أراضيها وعاذية للحدود السورية شمالي القامشلي .

(٤) القرن : الحبل يقرن به البعيران . والبيتان في ديوان جرير ٧٣٨/٢ وروايته : « قل للخليفة إما كنت لاقيه » .

(٥) كذا في الأصل والتاريخ (س) ، والصواب : « وأما عبيد الله بن عبد الله » وهو ماأثبتته (د) إلا أنه صُحّف فيها إلى « عبد الله بن عبد الله » لأن الشعر لعبيد الله لالعبد الرحمن كما في مصادر تخريجه ، فكأنه عاود ذكره مرة ثانية ؛ والغالب على الظن أن في النص سقطاً تدل عليه عبارة أبي الفرج في الأغاني ٩٢/٨ (ط بولاق) إذ يقول : « وأما عبد الرحمن فلم تكن له نباهة أخويه وفضلها فسقط ذكره » . والله أعلم .

تـأثّـل حُبُّ عَثْمَـةَ في فـؤادي ... فبَـاديـهِ مـع الخـافي يسيرُ
صـدَعْتِ القَلْبَ ثمَّ ذرَرْتِ فيـه ... هـواكِ فليطَ فـالْتَـأمَ الفُطُـورُ[1]
تغلغـل حيث لم يـدخُـلْ شرابٌ ... ولا حُـزْنٌ ولم يـدخُـلْ سُرورٌ[2]

وقال : [منَ المتقارب]

أبـادرُ بـالمـال سُهْمَانَـةً ... وقـول المعـوِّقِ والرائثِ
وأمنـحُ نفسي الـذي تشتهي ... وأُوثِرُ نفسي على الـوارثِ[3]

قال أبو أسامة :

وصل إلى عَوْنِ بن عبد الله أكْثَرُ من عشرين ألفَ درهم [فتصدّق بها] فقال له أصحابه : لو اعتقدتَ عُقْدةً لولدك ، فقال : أعتقدُها لنفسي وأعتقدُ الله لولدي[4] . قال أبو أسامة فلَمْ يكنْ في المسعوديّين أحَدٌ أحسَن حالاً من ولد عَوْنِ بن عبد الله .

كان عون يضع يده تحت لحيته ، ثم يميلها إلى وجهه ، ثم ينظرُ إليها ، ثم يبكي ويقول : اللهمّ ارحَمْ شيبتي .

قال أبو هارون موسى :

كان عون يحدّثنا ولحيتُهُ ترتشُّ بالدموع .

كتب عمر بنُ عبد العزيز إلى عون بن عبد الله يعزّيه بابنٍ له [٢/ب] : أمّا بعد ؛ فإنّ الناس أهلُ آخرة أُسكنوا الدنيا ، أمواتٌ أبناء أموات ، إخوانُ أموات ؛ فكيف يُعَزّي ميتٌ ميتاً عن ميت ؟ بأخيه ، بأبيه ، بابنه ! والسلام . قال : فكتب إليه عون : أمّا بعد فما أنزَلَ الموتَ كُنْهَ منزلتِه مَنْ عدّ غداً مِنْ أجَله ؛ فكم مِنْ مستقبلٍ يوماً لا يستكملُه ! وكم مِنْ مؤمّلٍ لغدٍ لا يدركُه ، إنّكم لو رأيتم الأجَلَ ومسيرَه ، لأبغضتمُ الأملَ وغُرورَه .

---

(١) ليط : لُزق بقلبي . والفطور : الشقوق . اللسان (ليط ، فطر) .

(٢) الأبيات في الأغاني ١٥١/٩ وأمالي المرتضى ٤٠٠/١ وأمالي القالي ٢١٦/٢ . ولفظهم : « فليم فالتأم الفطور » .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ١٨٠/٣ عزاها ابن قتيبة إلى بعض الشعراء برواية مختلفة .

(٤) اعتقد ضيعة ومالاً : أي اقتناها ، والعقدة : الضيعة والعقار ؛ ثم صيّروا كل شيء يستوثق الرجل به لنفسه ويعتمد عليه عقدة . اللسان والتاج (عقد) . وما بين معقوفين سقط من الأصل والتاريخ واستدركته من الحلية ٢٤٢/٤ لنقله عنه كما في سنده .

قال عَوْنُ بن عبد الله :

إنَّ مَنْ كان قبلنا كانوا يجعلون لدنياهم ما فضَلَ عن آخرتهم ، وإنَّكمُ اليوم ، تجعلون لآخرتكم ما فضَلَ عن دنياكم .

كان عونٌ بن عبد الله يقول : اليوم المِضْمار[1] وغداً السِّبَاق ، وللسبَقَةِ الجنَّة وللغاية النار[2] فبالعَفْوِ تنجُون وبالرحمة تدخلونَ الجنة ، وبالأعمال تقتسمون المنازل .

قيل لعون بن عبد الله : ما أنفعُ أيامِ المؤمنِ له ؟ قال : يوم يلقى ربَّه فيعلمه أنَّه عنه راضٍ ؛ قالوا : إنما أردنا من أيام الدنيا ، قال : إنَّ من أنفع أيامه له في الدنيا ما ظنَّ أنه لا يدركُ آخرَه .

قال عون بن عبد الله :

الخيرُ الذي لا شرَّ فيه ، الشكرُ مع العافية ، والصبرُ عند المصيبة ؛ فكم من مُنْعَمٍ عليه غير شاكر ، ومبتَلًى غير صابر .

قال محمد بن سوقة :

مررتُ مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصر الحجاج ، فقلت : لو رأيتَ ما نزل بنا ها هنا زمنَ الحجاج ! فقال : مررتَ كأنَّك لم تَدْعُ إلى ضُرٍّ مسَّك ؛ ارجِعْ فاحْمَدِ الله واشكُرْه ، ألم تسمَعْ إلى قوله : ﴿ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ ﴾[3] .

قال عون بن عبد الله :

فواتح التقوى حُسْنُ النيَّة ، وخواتمها التوفيق ؛ والعبدُ فيما بين ذلك بين هَلَكاتٍ وشُبُهاتٍ ؛ ونفسٍ تحطِبُ على شِلْوِها[4] ، وعدوٍّ يكيد غير غافل ولا عاجز ؛ ثمَّ قرأ : ﴿ إِنَّ الشيطانَ لَكُمْ عدوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[5] .

---

(١) المضمار : وقت الأيام التي تضمَّر فيها الخيل للسباق . اللسان (ضمر) .

(٢) الغاية : النهاية والآخر .

(٣) سورة يونس ١٢/١٠

(٤) الشلو : العضو . وتحطب : تجني . شبهت بحاطب الليل الذي يجني على نفسه .

(٥) سورة فاطر ٦/٣٥

كان عونٌ بن عبد الله يقول : إنّ مِنْ أعظمِ الخير أنْ ترى ما أُوتيتَ من الإسلام عظيماً عندما زُويَ عنك من الدنيا .

وعن عون بن عبد الله قال :

قرأ رجلٌ عنده هذه الآية [٣/أ] : ﴿ ومَنْ يتّقِ اللهَ يجعَلْ له مَخْرَجاً ، ويَرْزُقْهُ مِنْ حيثُ لا يَحْتَسِب ﴾[١] فقال عون : والله إنّه لَيَرْزُقُنا الله من حيثُ لا نحتسب ، ووالله إنه ليجعَلُ لنا المخرج ، وما بلَغْنا كُلَّ التقوىٰ ، وأنا أرجو إنْ شاء الله أنْ يفعلَ بنا في الثالثة ، كما فعل بنا في الاثنتين ﴿ ومَنْ يتقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ ويُعْظِمْ له أجْراً ﴾[٢] .

قال عون بن عبد الله :

اهتمامُ العبد بذنبه داعٍ إلى تركه ، وندَمُه عليه مفتاحٌ لتوبته ، ولا يزالُ العبدُ يغتمُّ بالذنب يُصيبُه ، حتى يكونَ أنفعَ له من بعض حسناته .

كان عون بن عبد الله أحياناً يلبَسُ الخَزَّ وأحياناً يلبَسُ الصوف والبَتّ[٣] ونَحْوَه ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألبَسُ الخزَّ لئلاّ يستحي ذو الهيئة أنْ يجلسَ إليّ ، وألبَسُ الصوف لئلا يهابني ضعفاءُ الناس أنْ يجلسوا إليّ .

قال عون بن عبد الله :

إذا أزْرىٰ أحدكم على نفسه فلا يقولَنّ : ما فيّ خير ، فإنّ فيه التوحيد ، ولكنْ ليقلْ : قد خَشِيتُ أن يُهلكني ما فيّ من الشرّ . وما أحسبُ أحداً تفرَّغ لعيب الناس ، إلاّ من غفلته عن نفسه ؛ ولو اهتمّ لعيب نفسه ما تفرَّغ لعيب أحدٍ ولا لِذَمّه .

قال ثابت البُنَانيّ :

كان لعون بن عبد الله جاريةٌ يقالُ لها بِشْرَة ، وكانت تقرأ القرآن بألحان ، فقال يوماً : يا بِشْرَة اقرئي على إخواني ، فكانَتْ تقرأ بصوتٍ رَجِيع حزين ، فرأيتُهم يلقون العمائم عن رؤوسهم ويبكون ، فقال لها يومئذ : يا بِشْرَة قد أُعطيتُ بكِ ألفَ دينار لِحُسْنِ

---

(١) سورة الطلاق ٢/٦٥

(٢) سورة الطلاق ٥/٦٥

(٣) البت : كساء غليظ ، مهلهل ، مُرَبّع ، أخضر : وقيل هو من وبرٍ وصوف . اللسان (بتت) .

صوتِك ، اذهبي فلا يملكُكِ عليَّ أحد ، فأنتِ حُرَّةٌ لوجه الله . قال ثابت : فهي عجوزٌ بالكوفة ، لولا أنْ أشُقَّ عليها لبعثتُ إليها حتى تقدَمَ علينا فتكونَ عندنا حتى تموت .

قال ليثُ بن أبي سَليم :

لـمَّا مات عون بن عبد الله تركتُ مجالسةَ الناسِ زماناً حُزْناً عليه .

وكان عون ثقة .

٢ - عُوَيمر بن زيد بن قيس

[٣/ب] ويقال ابنُ عامر ، ويقال ابنُ عبد الله

وقيل عُويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس

أبو الدَّرْداء الأنصاريُّ الخَزْرَجيّ

من أفاضل الصحابة رضوانُ الله عليهم . شهد اليرموك ، وكان قاضيَ أهله ، وحضر حصار دمشق ، وسكن حمص وانتقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى دمشق ، وولي بها القضاء وكانت داره بباب البَريد[1] وفي نسبه اختلاف .

بعث عبدُ الملك بن مروان إلى أمّ الدرداء فكانت عنده ، فلما كانت ذات ليلة قام عبدُ الملك من الليل ، فدعا خادمه فكأنّه أبطأ عنه ، فلعنه ، فلما أصبح قالت له أمُّ الدرداء : قد سمعتُكَ الليلة لعنت خادماً ، قال : إنه أبطأ عني ، قالت : سمعتُ أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : لا يكونُ اللعّانون شفعاءَ ولا شهداءَ يومَ القيامة .

وعن أبي الدرداء قال :

قالوا : يا رسولَ الله ، أرأيت ما نعمل ، أمْرٌ قد فُرغ منه أمْ شيءٌ نستأنفه ؟ فقال : بل أمْرٌ قد فُرغ منه ، قالوا : فكيف بالعمل يا رسولَ الله ؟ قال : كُلٌّ امرئٍ مُهَيَّأٌ لما خُلق له .

وعن أبي الدرداء

أنه كان إذا نزل به الضيف قال : أمقيمٌ فنسرح أم ظاعنٌ فنعلِف ؟ فإنْ قال ظاعن

---

(١) باب البريد : اسم لأحد أبواب جامع دمشق من جهة الغرب ، به سميت محلّة باب البريد ، وهي من أنزه المواضع (قديماً) . انظر معجم البلدان ٣٠٦/١ وتاريخ ابن عساكر المجلدة الثانية المخطط (١) .

obeikandl.com

قال : لا أجدُ لك شيئاً خيراً من شيءٍ أمر به رسولُ الله ﷺ ؛ جاء ناسٌ من الفقراء إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجْر ، يجاهدون ولا نجاهد ويحجُّون ويفعلون ولا نفعل . فقال : ألاَ أدلُّكم على ما إذا أخذتم به أدركتم أو جئتم بأفضلَ ممَّا يأتون به ؟ تكبِّرونَ اللهَ أربعاً و ثلاثين وتسبِّحون الله ثلاثاً و ثلاثين وتحمدون الله ثلاثاً وثلاثين في دُبُرِ كُلِّ صلاة .

وأمُّ أبي الدرداء مُحبَّة بنت واقد بن عمرو بن الإطْنَابَة بن عامر بن زيد مناة ، وكان أبو الدرداء أقنى ، أشْهَل[1] ، يَخْضِبُ بالصُّفْرة ، وكان تاجراً قبل أنْ يُبعث النبيُّ ﷺ ، ثم زاول العبادةَ والتجارة ، وآثر العبادةَ وترك التجارة . وكان فقيهاً ، عالماً ، عابداً قارئاً أحد الأربعة الذين أوصى معاذُ بن جبلٍ أصحابَهُ [٤/آ] أنْ يأخذوا العلْمَ عنهم .

فاتَه بدر ثم اجتهد في العبادة وقال : إنَّ أصحابي سبقوني .

آخى رسولُ اللهِ ﷺ بينه وبين سَلْمان ، وكان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً .

وعن أبي الدرداء أنه قال :

لا مدينة بعد عثمان ، ولا رجاء بعد معاوية .

وقال النبي ﷺ :

إنَّ اللهَ وعدَني إسلامَ أبي الدرداء ، فأسلم .

قال جُبَيْر بن نُفَير :

كان أبو الدرداء يعبدُ صنماً في الجاهليَّة ؛ وإنَّ عبدَ الله بن رَوَاحة ومحمدَ بن مَسْلَمَة دخلا بيته فكسرا صنَمه ، فرجع أبو الدرداء فجعل يجمعُ صنَمهُ ذلك ويقول : وَيْحك هلاَّ امتنعت ! ألا دفعتَ عن نفسك ! فقالت أُمُّ الدرداء : لو كان ينفعُ أحداً أو يدفعُ عن أحد دفعَ عن نفسه ونفعها ، فقال أبو الدرداء : أعدِّي لي في المغتسلِ ماءً ، فجعلت له ماء فاغتسل ، وأخذ حُلَّته فلَبِسها ثم ذهب إلى النبيِّ ﷺ ، فنظر إليه ابنُ رواحة مقبلاً ؛

---

(١) القنا في الأنف : ارتفاع في أعلاه من غير قبح ، واحديداب في وسطه ، وسبوغ في طرفه . والأشهل : أن يشوب سواد عينه زرقة ، وقيل : أنْ يكون سواد عينه بين الحمرة والسواد . اللسان (قنا ، شهل) .

فقال : يا رسول الله هذا أبو الدرداء ، وما أراه جاء إلاّ في طلبنا ، فقال النبيُّ ﷺ :

إنما جاء ليسلم ، فإنّ ربي وعدني بأبي الدرداء أن يَسْلِم .

حدث سعيدُ بن عبد العزيز

أنّ أبا الدرداء أسلمَ يومَ بَدْرٍ ، وشهد أُحُداً فأبلى يومئذٍ ، وفرض له عمر في أربعِ مئة[1] ، ألحقه بالبدريّين .

قال أبو الدرداء :

بُعث النبيُّ ﷺ وأنا تاجر ، فأردتُ أنْ تجتمع الصلاةُ مع التجارة فلم تجتمعا ، فرفضتُ التجارة وأقبلتُ على العبادة ؛ والذي نفسُ أبي الدرداء في يده . ما أُحبُّ أنّ لي حانوتاً على باب المسجد لا تخطئني فيه صلاة ، أربَحُ فيه كلَّ يومٍ أربعينَ ديناراً أتصدّقُ بها في سبيل الله . قيل له : لِمَ يا أبا الدرداء ؟ وما تكرَهُ من ذلك ؟ قال : شدّةَ الحساب .

شهد أبو الدرداء أحداً وأمَرَهُ رسولُ الله ﷺ أنْ يَرُدَّ مَنْ على الجَبَل ، فردّهم وحده . وقيل : إنّه لم يشهَدْ أُحُداً .

ولمّا هُزم أصحابُ النبيِّ ﷺ يومَ أُحُد كان أبو الدرداء [٤/ب] يومئذٍ فيمن فاء إلى رسول الله ﷺ في الناس ، فلمّا أظلّهم المشركون من فوقهم قال رسولُ الله ﷺ : اللهمّ ليس لهم أنْ يغلبونا ، فثاب إليه يومئذٍ ناس ، وانتدبوا وفيهم عويمر أبو الدرداء حتى دحضوهم عن مكانهم الذي كانوا فيه ؛ وكان أبو الدرداء يومئذٍ حسَنَ البلاء ، فقال رسولُ الله ﷺ : نِعْمَ الفارسُ عُوَيمر . وقال : حَكيمُ أمتي عُوَيمر .

كان أبو الدرداء يرمي بنبله يوم الشِّعب حتى أنفدَها ، ثم جعل يُدهْدِهُ عليهمُ الصخرَ والحجارة[2] فحانت من رسولِ الله ﷺ إليه نظرة ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو الدرداء ، فقال : نِعْمَ الفارسُ عُويمر ! ثم حانَتْ منه نظرةٌ أخرى فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو الدرداء ، فقال : نِعْمَ الرجلُ أبو الدرداء ! .

---

(١) يعني في الشهر . كما رواه الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٣٤١/٢ .

(٢) يدهده الحجارة : يقذفها من أعلى إلى أسفل دحرجة . اللسان (دهده) .

وعن أنس قال :

مات النبيُّ ﷺ ولم يجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة : أبو الدرداء ، ومُعَاذ ، وزيدُ بنُ ثابت ، وأبو زَيْد .

قال الشَّعْبيّ :

جَمَع القرآنَ على عهد رسولِ الله ﷺ ستةُ نَفَرٍ من الأنصار : أُبَيٌّ بن كعب ، وزيدُ بن ثابت ، ومُعَاذُ بن جَبَل ، وأبو الدرداء وسعد بن عُبيد ، وأبو زيد ؛ ومُجَمِّعُ بن جارية قد أخذه إلاَّ سورتين أو ثلاثة . قال : ولم يَجمَعْهُ أحَدٌ من الخلفاء من أصحابِ رسولِ الله ﷺ غير عثمان .

وفي حديث آخر بمعناه ،

وكان ابنُ مسعود قد أخذ بضعاً وسبعين سورةً وتعلم بقيَّةَ القرآنِ من مُجَمِّع .

وعن جابر قال :

قال رسولُ الله ﷺ : أَرْحَمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر ، وأَرْفَقُ أمتي لأمتي عمر ، وأصْدَقُ أمتي حَيَاءً عثمان ، وأقضى أمتي عليٌّ بن أبي طالب ، وأَعْلَمُها بالحلال والحرام مُعَاذُ بنُ جَبَل ؛ يجيءُ يومَ القيامةِ أمامَ العلماء برَتْوة[1] وأقْرَأُ أُمَّتي أُبَيٌّ بن كعب ، وأَفْرَضُها زيدُ بن ثابت ، وقد أُوتِي عُمَير[2] عبادةً . يعني أبا الدرداء .

وعن شدّاد بن أوس قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ :

أبو بكر الصديق أرَقُّ أُمَّتي وأَرْحَمُها ، وعمر بن الخطاب [٥/آ] خَيْرُ أُمَّتي وأعْدَلُها ، وعثمانُ بن عفَّان أحْيَا أمتي وأكرمها ، وعليٌّ بن أبي طالب أَلَبُّ أمتي وأشجعها ، وعبدُ اللهِ بن مسعود أبرُّ أمتي وآمَنُها ، وأبو ذَرٍّ الغفاريُّ أَزْهَدُ أمتي وأصدَقُها ، وأبو الدرداء أعبَدُ أمَّتي وأتقاها .

---

(١) في الأصل بدون نقط ، وفي التاريخ (س) : « بربوة » وما أثبتُّه من رواية أخرى في (س) والمعرفة والتاريخ ٦٩١/١ و٣٠٣/٢ ومستدرك الحاكم ٢٦٨/٣ واللسان (رتو) . والرتوة : هي مقدار خطوة أو رمية سهم أو ميل .

(٢) كذا في الأصل والتاريخ ، وفي الجامع الكبير للسيوطي : « عوير » عن الطبراني في الأوسط وابن عساكر . وهو الصواب .

وعن شدّاد بن أوس أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

أبو بكر أوزَنُ أمتي وأعْدَلُها ، وعليٌّ بن أبي طالبٍ وليُّ أمتي وأوْسَمُها ، وعبد الله بن مسعود أمينٌ[1] أمتي وأوْصَلُها ، وأبو ذر الغفاري أزْهَدُ أمتي وأرْأفُها ، وأبو الدرداء أعْدَلُ أمتي وأرْحَمُها ، ومعاويةُ بن أبي سفيان أحلَمُ أمتي وأجوَدُها .

قال أبو جعفر : ولا يتابَعُ على هذا الحديث ولا نعرفه إلاّ به .

وعن مكحول قال :

كانت الصحابة يقولونَ فيما بينهم : أرحَمُنَا بنا أبو بكر وأنطقنا بالحقّ عمر ، وأمِينُنا أبو عُبيدةَ بنُ الجرّاح ، وأعلَمُنا بالحلال والحرام معاذُ بن جبل ، وأقرأُنا أُبيٌّ بن كعب ، ورجلٌ عندَهُ علْمُ ابنِ مسعود ، وتبعهم عُوَيمر بالعقل .

وعن جُبَير بن نُفَير قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إنّ لِكُلّ أمّةٍ حكيماً وحَكِيمُ هذه الأُمّةِ أبو الدرداء .

وعن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير قال :

أرسل النبيُّ ﷺ رجلاً فقال : اجمَعْ لي بني هاشم في دار ... فذكر الحديث ، وقال فيه : قال : فرفع يديه ورفعوا أيديهم ، فلما قضى رغبته[2] جعل يسألُ مَنْ يليه بماذا دعوت ؟ ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه وقد حضر ذلك أبو الدرداء ، فرآه رسولُ الله ﷺ رافعاً يديه ، وأقبل حتى حضر معهم الرَّغْبَة ، فسأله : بمَ دعوت به يا عويمر ؟ قال : قلت : اللهمّ إني أسألك جنّاتِ الفردوسِ نُزُلا ، وجناتِ عَدْنٍ نَفَلا ، في معافاةٍ منك ورحمة ، وخيرٍ وعافية ، وعلمٍ لا يُنسى . فأرسل رسولُ الله ﷺ يده مرَّةً أو مرَّتين يقول : ذهبتَ بها يا عُوَيمر .

وعن محمد بن إسحاق قال :

كان أصحابُ النبيِّ ﷺ تقول : أتْبَعُنا للعلم والعمل أبو الدرداء ، وأعلمنا بالحلال والحرام معاذ . وفي نسخة : يقولون : أتبعنا للعلم بالعمل .

---

(١) في التاريخ (س) ٣٧١/١٣ : « أبين » .

(٢) رغب إليه رغبة : ابتهل ، أو هو الضراعة والمسألة ، وفي حديث الدعاء : رَغْبَةً ورَهْبَةً إليك . التاج (رهب) .

[٥/ب] وعن أبي جُحَيفة

أنَّ رسول الله ﷺ آخى بين سَلْمان وبين أبي الدرداء ، فجاء سلمان يزورُ أبا الدرداء فرأى أمَّ الدرداء مُتَبَذِّلة ، قال : ما شأنك ؟ قالت : إنَّ أخاكَ ليس له حاجةٌ في الدنيا . فلما جاء أبو الدرداء رحَّب به وقرَّب إليه طعاماً ، فقال له سلمان : اطْعَمْ ، قال : إني صائم ، قال : أقسمتُ عليك إلاَّ ما طعِمْت ، ما أنا بآكلٍ حتى تأكل ؛ قال : فأكل معه وبات عنده ، فلما كان من الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان ثم قال : يا أبا الدرداء ، إنَّ لربِّكَ عليك حقّاً ولأهلك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً ، أعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، صُمْ وأفطر ، وقُمْ ونَمْ ، وأْتِ أهلك . فلما كان عند الصبح قال : قُمِ الآن ، فقاما فصلَّيا ثم خرجا إلى الصلاة ؛ فلما صلَّى النبيُّ ﷺ قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان ، فقال له رسولُ الله ﷺ مثل ما[1] قال سلمانُ له .

وعن أبي الدرداء قال :

تضيَّفهم ضيف ، فأبطأ أبو الدرداء حتى نام الضيفُ طاوياً ، ونام الصِّبْيَةُ جياعاً ، فجاء والمرأةُ غضبى تَلظَّى فقالت : لقد شققتَ علينا منذ الليلة ! قال : أنا ؟ قالت : نعم ، أبطأت علينا حتى بات ضَيْفُنا طاوياً ، وبات صبياننا جياعا . قال : فغضب فقال : لا جَرم والله لا أطْعَمُه الليلة ـ والطعام موضوع بين يديه ـ فقالت أنا والله لا أطْعَمُه حتى تطعَمه . قال : فاستيقظ الضيف وقال ما بالُكما ؟ فقال له : ألا ترى إليها تجني عليَّ الذنوب ؟ إني احتُبستُ في كذا وكذا ، فقال الضيف : وأنا والله لا أطْعَمُهُ حتى تطعمَاه . قال : فلما رأيتُ الطعامَ موضوعاً ورأيتُ الضيف جائعاً ، والصبيةَ جياعاً قدَّمْتُ والله يا رسولَ الله يدي فأكلت ، وقدَّموا أيديهم فأكلوا ، فبرُّوا والله يا رسولَ الله وفَجَرْتُ ؛ قال : بَلْ أنت كنتَ خيرَهُمْ وأبرَّهُم .

وعن أبي الدرداء قال قال رسولُ الله ﷺ :

أنا فَرَطكُمْ على الحَوْض[2] فَلأُلْفَيَنَّ ما نُوزعتُ في أحدٍ منكم فأقول : هذا مني ، فيقال : لا تدري ما أحدثَ بعدك . [٦/أ] فقلت : يا رسول الله ، ادْعُ الله أنْ لا يجعلَني منهم . قال : إنك لستَ منهم .

---

(١) في الأصل « مثلما » والمثبت من التاريخ .

(٢) أنا فرطكم : أي متقدمكم إليه . اللسان (فرط) .

وعن أبي الدرداء قال :

أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : يا رسولَ الله بلغني أنك قلت : ليكفُرَنَّ قومٌ بعدَ إيمانهم . قال : نعم ولستَ منهم .

وفي حديث بمعناه ومعنى ما تقدّمه :

فتوفّي أبو الدرداء قبل أن يُقتل عثمان وقبل أنْ تقعَ الفتن .

قال رجلٌ لأبي الدرداء : يا معشر القُرّاء ما بالُكم أجْبَنُ منا وأبخلُ إذا سُئلتم ، وأعظم لُقَماً إذا أكلتم ؟ فأعرض عنه أبو الدرداء ولم يردّ عليه شيئاً ، فأُخبِرَ بذلك عمرُ بنُ الخطاب ، فسأل أبا الدرداء عن ذلك ؟ فقال أبو الدرداء : اللهمّ غفراً ! وكل ما سمعناه منهم نأخذهم به ! فانطلق عمر إلى الرجل الذي قال لأبي الدرداء ما قال ، فقال بثوبه وخنقه ، وقاده إلى النبيّ ﷺ ، فقال الرجل : إنما كنا نخوضُ ونلعب ، فأوحى الله تعالى إلى نبيّهِ ﷺ : ﴿ ولئنْ سألتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنّما كنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ ﴾[1] .

قال أبو الدرداء :

لو أُنسيتُ آيةً لم أجدْ أحداً يذكّرنيها إلاّ رجلاً بِبَرْكِ الغِمَاد[2] رحلتُ إليه .

وعن أبي الدرداء قال :

سَلُوني فوالذي نفسي بيده لئن فقدتموني لتفقِدُنَّ رجلاً عظيماً من أمة محمد ﷺ . كذا قال رجلاً ، وفي حديث : لتفقِدُنَّ زِمْلاً عظيماً من أمةِ محمدٍ ﷺ .

الزِّمْل في كلام العرب : بمعنى الحِمْل . ويقال ازدمل الحمل : أي احتمله يريد أنه في كثرةِ ما جمعَهُ من العلم وادّخره منه كالحِمْل العظيم من المتاع المحزوم . ورُوي : زُمْلاً عظيماً ، قال : وهذا لا وَجْهَ له إنما الزُّمَّل الضعيف .

ولما حضرت معاذاً الوفاةُ قالوا : يا أبا عبد الرحمن أوصِنا . قال أجلسوني ، فقال : إنّ العِلْمَ والإيمان مَنِ ابتغاهما وجدهما ـ ثلاثاً قالها ـ فالتمسوا العلمَ عند أربعة رَهْط : عند عُوَيمِر

---

(١) سورة التوبة ٦٥/٩

(٢) بَرك الغماد : موضع في أقاصي هَجَر باليمن . ويقال بكسر الباء وضم الغين . مشارق الأنوار ١١٥/١ . وانظر معجم البلدان ٣٩٩/١ واللسان (برك) .

أبي الدرداء ، وعند سَلْمانَ الفارسيّ ، وعند عبد الله بن مسعود ، وعند عبد الله بن سَلاَم الذي كان يهوديًّا فأسلم ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : عاشر عشرةٍ في الجنَّة .

[٦/ب] قال مُرّة بن شراحيل :

كان عبد الله بن مسعود يقول : علماء الناس ثلاثة : واحدٌ بالعراق ، وآخر بالشام ـ يعني أبا الدرداء ـ يحتاج إلى الذي بالعراق ـ يعني نفسه ـ والذي بالشام والعراق يحتاجان إلى الذي بالمدينة ـ يعني عليَّ بن أبي طالب ـ ولا يحتاجُ إلى واحدٍ منهما .

قال أبو ذر لأبي الدرداء : ما حملتْ ورقاء ، ولا أظلَّتْ خضراء ، أعلمَ منك يا أبا الدرداء .

قال مسروق :

وجدتُ عِلْمَ أصحابِ النبيِّ ﷺ انتهى إلى ستة : عمر ، وعليٍّ ، وأُبَيّ ، وزيد ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن مسعود ، ثم انتهى علم هؤلاء الستة إلى عليٍّ وعبدِ الله .

وكان أبو الدرداء من العلماء والحكماء . قال القاسم بنُ محمد : كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم .

كان عبد الله بن عمر يقول : حدِّثونا عن العاقلَيْن . فيقال له : من العاقلان ؟ فيقول : معاذ وأبو الدرداء .

دخل أبو الدرداء مالاً له ومعه ناسٌ من أصحابه ، فطافوا فيه ، فلمَّا خرجوا قالوا : ما رأينا كاليوم مالاً أحسن ! قال : فإني أشهدكم أنَّ ما خلفتُ خلفَ ظهري في سبيل الله ، وأنَّ ذلك إلى أمير المؤمنين يضعُه حيث رأى . ثم أتى عمر فاستأذن في أنْ يأتيَ الشام فقال : لا آذَنُ لك إلاَّ أنْ تعملَ ؛ قال : فإني لا أعمل ، قال فإني لا آذَنُ لك ، قال : فأنطلقُ فأعلِّمُ الناسَ سنة نبيِّهم ﷺ وأُصلِّي بهم ؛ فأذِنَ له ، فكان الناسُ في الصيفِ يتفرَّقون في المغازي ، فإذا كان الشتاء اجتمعوا في المشتى فصلَّى بهم أبو الدرداء .

فخرج عمر إلى الشام وقد اجتمعوا في المشتى ، فلمَّا كان قريباً منهم أقام حتى أمسى ،

فلما جنَهُ الليل قال : يا يَرْفأ[1] ، انطلقْ إلى يزيدَ بنِ أبي سفيان ، أبصره ، عنده سُمَّار ومصباح ، مفترشاً ديباجاً وحريراً من فَيءِ المسلمين ، فتسلِّم عليه ، فيردّ عليك ، وتستأذن فلا يأذَنُ لك حتى يعلمَ مَنْ أنت ـ فذكر جويريةُ كراهيتَه ولم يحفظ أبو محمد لفظه[2] ـ قال : فانطلقا حتى انتهيا إلى بابه ، فقال : السلام عليكم ، فقال : وعليكم السلام قال [٧/آ] : أَدْخُل ؟ قال : ومَنْ أنت ؟ قال يَرْفأ : هذا مَنْ يسوؤك ، هذا أميرُ المؤمنين . ففتح الباب ، فإذا سُمَّارٌ ومصباح ، وإذا هو مفترشٌ ديباجاً وحريراً ، قال : يا يَرْفأ ، البابَ البابَ ؛ ثم وضع الدِّرَّةَ بين أذنيه ضرباً ، وكوَّر المتاع فوضعه في وسَط البيت ، ثم قال للقوم : لا يبرحْ أحَدٌ منكم حتى أرجعَ إليكم .

ثم خرجنا من عنده ، فقال : يا يَرْفأ ، انطلقْ بنا إلى عمرو بن العاص ، أبصره ، عنده سُمَّار ومصباح ، مفترشاً ديباجاً من فَيءِ المسلمين فتسلِّم عليه ، فيردّ عليك ، وتستأذن عليه فلا يأذَنُ لك حتى يعلمَ مَنْ أنت ـ فذكر جويريةُ مشقَّةَ ذلك على عمر[3] ، وذكر حَلْفَه واعتذاره ـ قال : فانتهينا إلى بابه ، فقال عمر : السلام عليكم ، قال : وعليك السلام ، قال : أَدْخُل ؟ قال : ومَنْ أنت ؟ قال يَرْفأ : هذا مَنْ يسوؤك ، هذا أمير المؤمنين . قال : ففتح الباب ، فإذا سُمَّارٌ ومصباح ، وإذا هو مفترشٌ ديباجاً وحريراً ، قال : يا يَرْفأ ، البابَ البابَ ؛ ثم وضع الدِّرَّةَ بين أذنيه ضرباً ، فجعل عمرو يحلف ، ثم كوَّر المتاع فوضعه في وسَط البيت ، ثم قال للقوم : لا تبرحوا حتى أعودَ إليكم .

فخرجنا من عنده ، فقال : يا يَرْفأ ، انطلقْ بنا إلى أبي موسى ، أبصره ، عنده سُمَّارٌ ومصباح ، مفترشاً صوفاً من مال فَيءِ المسلمين ، فتستأذن عليه فلا يأذَنُ لك حتى يعلمَ مَنْ أنت ، قال : فانطلقنا إليه وعنده سُمَّارٌ ومصباح ، مفترشاً صوفاً ، فوضع الدِّرَّةَ بين أذنيه ضرباً وقال : أنت أيضاً يا أبا موسى ! قال : يا أمير المؤمنين ، هذا وقد رأيتُ ما صنع أصحابي ، أما والله لقد أصبتُ مثل ما[4] أصابوا ، قال فما هذا ؟ قال : زعم أهلُ البلد أنَّه

(١) يرفأ : مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) أبو محمد : هو سعيد بن عامر الضبعي راوي الخبر عن جويرية بن أسماء كما في سنده في التاريخ (س) ٣٨٤/١٣ أ .

(٣) كذا الأصل والتاريخ (د ، س) ولعل الصواب « عمرو » .

(٤) في الأصل « مثلما » والمثبت من التاريخ ، وكذا في جميع الجزء إذا كانت « ما » موصولة .

لا يصلح إلا هذا ؛ فكوِّر المتاع فوضعه في وسَطِ البيت ، وقال للقوم : لا يبرحْ منكم أحَدٌ حتى أعودَ إليكم .

فلما خرجنا من عنده قال : يا يَرْفأ ، انطلقْ بنا إلى أخي لتبصرَ به ليس عنده سَمَّارٌ ولا مصباح ، وليس لبابه غَلَق ، مفترشاً بطحاء ، متوسِّداً بَرْذَعةً ، عليه كساءٌ رقيق قد أذْلَقَهُ البرد ، فتسلِّم عليه فيرد عليك السلام ، وتستأذِن فيأذَنُ لك من قبلِ أنْ يعلمَ من أنت . فانطلقنا ، حتى [٧/ب] إذا قمنا على بابه قال : السلام عليكم ، قال : وعليك السلام ، قال : أأدْخُل ؟ قال : ادْخُلْ ، فدفع الباب ، فإذا ليس له غَلَق ، فدخلنا إلى بيتٍ مظلم ، فجعل عمر يلمسهُ حتى وقع عليه ، فجسَّ وسادَهُ فإذا بَرْذَعة ، وجسَّ فراشَهُ فإذا بطحاء ؛ وجسَّ دثارَهُ فإذا كساءٌ رقيق ، فقال أبو الدرداء : مَنْ هذا ؟ أميرُ المؤمنين ؟ قال نعم ، قال : أمَا والله لقد استبطأتُكَ منذ العام ، قال عمر رحمه الله : أو لم أوسِّعْ عليك ؟ ألم أفعل بك ؟ فقال له أبو الدرداء : أتذكرُ حديثاً حدَّثناهُ رسولُ الله ﷺ يا عمر ؟ قال أيُّ حديث ؟ قال : ليَكُنْ بلاغُ أحَدِكُمْ من الدنيا كزادِ الراكب . قال : نعم ، قال فماذا فعلنا بعده يا عمر ؟ قال فمازالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا .

قال محمد بن كعب القُرَظيّ :[1]

جمعَ القرآنَ في زمان النبيِّ ﷺ خمسةٌ من الأنصار : معاذُ بنُ جبل ، وعُبادة بن صامت ، وأُبيُّ بن كعب ، وأبو أيُّوب ، وأبو الدرداء ؛ فلما كان زمانُ عمر بن الخطاب كتب إليه يزيدُ بنُ أبي سفيان : إنَّ أهل الشام قد كثروا ورَبَلُوا[2] وملؤوا المدائن ، واحتاجوا إلى مَنْ يعلِّمهُم القرآن ويفقِّهُهم ؛ فأعنِّي يا أمير المؤمنين برجالٍ يعلِّمونهم . فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم : إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلِّمهم القرآن ويفقِّهُهم في الدين ، فأعينوني رحمكم الله بثلاثةٍ منكم ، إنْ أحببتم فاستهموا وإنِ انتدبَ منكم ثلاثةٌ فلْيَخرجوا . فقالوا : ما كُنَّا لنتساهم ، هذا شيخٌ كبير ـ لأبي أيُّوب ـ وأمَّا هذا فسقيم ـ لأُبيِّ بن كعب ـ فخرج معاذ وعُبادة وأبو الدرداء ، فقال عمر : ابدؤوا بحمص ، فإنكم ستجدون الناسَ على وجوهٍ مختلفة ، منهم مَنْ يَلْقَن[3] ، فإذا رأيتم ذلك فوجِّهوا طائفةً من

---

(١) كذا ضَبط في الأنساب واللباب ، وضبطه القاضي عياض بفتح القاف والراء في مشارق الأنوار ٢٠٠/٢ .

(٢) ربلوا : كثر عددهم ونَمَوْا . اللسان (ربل) .

(٣) يلقن : يفهم بسرعة ، فهو حسن التلقين لمن يسمعه . التاج (لقن) .

الناس ، فإذا رضيتم منهم ، فَلْيُقِمْ بها واحد وليخرجْ واحدٌ إلى دمشق والآخر إلى فِلَسْطين .

فقدِموا حمصَ فكانوا بها ، حتى إذا رضُوا من الناس أقام بها عُبَادة وخرج [٨/آ] أبو الدرداء إلى دمشق ، ومعاذ إلى فِلَسْطين . فأمَّا مُعَاذ فمات عام طاعونِ عَمَوَاس[١] ؛ وأمَّا عبادة فصار بعدُ إلى فِلَسْطين فمات بها ؛ وأمَّا أبو الدرداء فلم يزَلْ بدمشق حتى مات .

قال راشد بن سَعْد[٢] :

بلغ عمر أنَّ أبا الدرداء ابتنى كنيفاً بحمص ، فكتب إليه : أمَّا بَعْدُ ياعُوَيمر ، أمَا كانت لك كفايةٌ فيما بَنتِ الروم عن تزيين الدنيا ، وقد أذِن الله بخرابها ؟ فإذا أتاك كتابي هذا فانتقلْ من حمصَ إلى دمشق . قال سفيان : عاقبه بهذا .

وكان عمر أمَّر أبا الدرداء على القضاء ـ يعني بدمشق ـ وكان القاضي يكون خليفةَ الأمير إذا غاب .

قال يحيى بنُ سعيد :

استُعمل أبو الدرداء على القضاء ، فأصبح يهنِّئونه ، فقال : أتهنِّئوني بالقضاء وقد جُعلتُ على رأسِ مَهْوَاةٍ مَزَلَّتُها أبعد من عَدَن أبْيَن[٣] ؟ ! ولو علم الناسُ ما في القضاء لأخذوه بالدُّوَل رغبةً عنه وكراهيةً له ؛ ولو يعلم الناسُ ما في الأذان لأخذوه بالدُّوَل رغبةً فيه وحرْصاً عليه .

كتب أبو الدرداء إلى سلمانَ الفارسيِّ أنْ هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة ؛ فكتب إليه سلمانُ أنَّ الأرض لا تقدِّسُ أحداً ، وإنما يقدِّسُ الأنسانَ عَملُه ؛ وقد بلغني أنك جُعلتَ طبيباً

---

(١) ويقال : عِمْواس بكسر العين وسكون الميم ، وهي كورة من فلسطين على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس ، منها كان ابتداء الطاعون المذكور في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ١٨ هـ ، والذي مات فيه كثير من الصحابة . انظر معجم ما استعجم ٩٧١/٣ ومعجم البلدان ١٥٧/٤ ، ١٥٨ والتاج (عموس) . وانظر ما قيل فيها ص ٢٧٩ في المتن من هذا الجزء . وخبر الطاعون في تاريخ الطبري ٦٠/٤ وما بعدها .

(٢) في الأصل : « راشد بن سعيد » تصحيف ، وما أثبته من التاريخ (س) ٣٨٥/١٣ وتهذيب التهذيب ، والخبر يرويه عنه الأحوص بن حكيم . وترجمة راشد مضت في ٢٥٧/٨ من هذا الكتاب .

(٣) المهواة : كالهاوية ، ما بين جبلين ونحو ذلك . اللسان (هوي) . وأبين : موضع في جبل عدن ، ويقال : هو مخلاف بالين منه عدن . ويقال : « إبين » بكسر الهمزة أيضاً . انظر معجم ما استعجم ١٠٢/١ ومعجم البلدان ٨٦/١ .

يداوي ، فإنْ كنتَ تُبْرِئُ فنعم مالك ، وإنْ كنتَ متطبِّباً[1] فاحذَرْ أنْ تقتلَ إنساناً فتدخلَ النار . وكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين ثم أدْبَرا عنه ، نظر إليهما فقال : ارجعا إليَّ أعيدا عليَّ قصتكما[2] .

وفي حديث بمعناه زيادة :

وبلغني أنَّك اتخذتَ خادماً ، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إنَّ العَبْدَ لا يزالُ من الله ، واللهُ منه ما لم يُخْدَم ، فإذا خُدِم وجب عليه الحساب .

كتب أبو الدرداء إلى بعض إخوانه : أمَّا بعد فإني أوصيك بتقوى الله والزُّهْدِ في الدنيا والرغبة فيما عند الله ، فإنك إذا فعلت ذلك أحبَّكَ الله لرغبتك فيما عندَه ، وأحبَّكَ الناس لتركك لهم دنياهم والسلام .

كتب أبو الدرداء إلى مَسْلَمةَ بنِ مُخَلَّد [٨/ب] : سلامٌ عليك أمَّا بعد ، فإنَّ العبدَ إذا عمِلَ بطاعةِ الله أحبَّهُ الله ، فإذا أحبَّهُ الله حبَّبه إلى عباده ؛ وإنَّ العبد إذا عمل بمعصيةِ الله أبغضه الله ، فإذا أبغضه الله ، بغَّضَهُ إلى عباده .

قال أبو الدرداء :

إني لآمُرُكم بالأمْر وما أفعله ، ولكنْ لعلَّ اللهَ أن يأجُرَني فيه .

[3] زاد في آخر معناه :

وإنَّ أبغض الناس [إليَّ أنْ] أظلمه الذي لا يستعين عليَّ إلاَّ بالله[3] .

وعن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه

أن عمر بعث إلى أبي الدرداء وابن مسعود وأبي مسعود فقال : ما هذا الحديثُ عن رسول الله ﷺ ؟ فحبسهم بالمدينة حتى مات[4] .

---

(١) المتطبب : من يتعاطى الطب وهو لا يتقنه . (المعجم الوسيط) .

(٢) في التاريخ (س) ٣٨٥/١٢ ب : « قضيتكا » وهو أشبه بالصواب .

(٣-٣) ما بين الرقين مستدرك في هامش الأصل من أعلى الصفحة ، وما بين معقوفين ذاهب من اللوحة لانحراف عدسة المصور نحو الأسفل ، فاستدركته من التاريخ ، وسيأتي الخبر بسياق مختلف ص ٣٩ من هذا الجزء .

(٤) وفي رواية في التاريخ (س) ٣٧٦/١٣ أ عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عمر قال لعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وأبي ذر . وكذا أخرجه أبو زرعة في تاريخه ص ٥٤٥ .

قال المصنّف[1] : وهذا من عمر لم يكنْ على وجه الاتّهام لهم ، وإنما أراد إقلالَهُمْ للرواية لئلاّ يشتغلَ الناسُ بما يسمعونه منهم عن تعلُّم القرآن . وقد رُوي عن أبي الدرداء في تحرُّزه في الرواية أنّهُ كان إذا حدَّث الحديثَ عن رسولِ الله ﷺ قال : اللهمّ إلاّ هكذا فشكْله[2] .

وعن خالد بن مَعْدان قال : قال أبو الدرداء :

الدنيا ملعونة ، ملعونٌ ما فيها إلاّ ذِكْرَ الله وما أوى[3] إليه ؛ والعالِمَ والمتَعلِّم في الخير شريكان ، وسائر الناس هَمَجٌ لا خير فيهم .

قال أبو الدرداء :

لا خير في الحياة إلاّ لأحد رجلين : منصتٍ واعٍ ، أو متكلِّمٍ عالم .

وعن أبي الدرداء قال :

مالي أرى علماءكم يذهبون وأرى جُهَّالكم لا يتعلَّمون ! تعلَّمُوا ، فإنَّ العالم والمتعلم في الأجْرِ سواء ، ولا خير في سائر الناس ؛ مالي أراكم تحرِصون على ما تُكفَّلَ لكم به وتباطؤون عمَّا أُمرتم به !

وعن أبي الدرداء قال :

لا تكونُ عالماً حتى تكونَ متعلِّماً ولا تكونُ بالعلم عالماً حتى تكونَ به عاملاً .

وعن أبي الدرداء :

إنَّ أخوفَ ما أخافُ إذا وُقِفت على الحساب أنْ يقالَ لي : قد علمتَ ، فماذا عمِلتَ فيما علمت ؟

وعن أبي الدرداء قال :

ويلٌ للذي لا يعلم مرَّةً ، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرّات .

---

(١) يعني ابن عساكر في التاريخ (س) ٣٧٦/١٢ أ .

(٢) وفي رواية لأبي زرعة في تاريخه ص ٥٥٤ : « فكشكله » وكذا في التاريخ .

(٣) كذا الأصل ، ولفظ ابن عساكر: « وما أدّى إليه » وكذا لفظ ابن المبارك في الزهد ص ١٩١ ، ١٩٢ م وأخرجه الترمذي في السنن ٣٨٤/٣ في الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا ، من طريق أبي هريرة عن النبي ﷺ بلفظ : « إلا ذكر الله وما والاه » وكذا ابن ماجه ١٣٧٧/٢ في الزهد باب مثل الدنيا .

قال عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة :

سألتُ أُمَّ الدرداء : ما كان أفضلُ عبادةِ أبي الدرداء ؟ قالت : التَفكُّر والاعتبار .

[٩/آ] قالت أمُّ الدرداء

وقد قيل لها : ما كان أكثرُ عملِ أبي الدرداء يا أمَّ الدرداء ؟ فقالت : التفكُّر ، قالت : نظر يوماً إلى ثورين يَحُدَّان في الأرض ، مستقلَّين بعملها ، إذْ عَنِت أحدُهما ، فقام الآخر . فقال أبو الدرداء : في هذا تفكُّر ، استقلاً بعملها واجتمعا ، فلما عَنِت أحدُهما قام الآخر ، كذلك المتعاونان على ذِكْر الله عزَّ وجلّ .

كان أبو الدرداء يقول :

من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشرّ ولهم بذلك أجْر ، ومن الناس مفاتيح للشرّ ، مغاليق للخير وعليهم بذلك إصْر ؛ وتفكُّر ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلة .

قيل لأبي الدرداء وكان لا يفتر من الذكْر : كم تسبِّحُ يا أبا الدرداء في كلّ يوم ؟ قال : مئة ألف إلاّ أنْ تخطئ الأصابع .

وعن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن قال :

جلس رسولُ الله ﷺ ذات يوم ، فأخذ عوداً يابساً فحطّ ورقَهُ ثم قال : إنّ قولَ لا إلهَ إلاّ الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله يَحُطُّ الخطايا كما يُحَطُّ ورقُ هذه الشجرة ، خُذْهُنّ يا أبا الدرداء قبل أنْ يُحالَ بينك وبينهنّ ، فإنّهنّ الباقياتُ الصالحات ، وهُنّ من كنوزِ الجنّة . فقال أبو سلمة : فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث ، لأُهَلِّلَنّ[1] الله ، ولأكبِّرَنّ الله ، ولأُسَبِّحَنّ الله ، حتى إذا رآني جاهلٌ حَسِبَ أني مجنون .

قال مكحول :

نزل سلمانُ بأبي الدرداء ، فلمّا كان في ليلة الجمعة ، تعشّى أبو الدرداء وصلّى ونام بثيابه ، فقال سلمان لأمّ الدرداء : أنبهيه ، قالت : إنّه ليس ينزعُ ثيابَهُ ليلة الجمعة . فأنبهه سلمان فقال : ألاَ تنزعُ ثيابَك ؟ قال : إني أريدُ أنْ أقومَ أصلّي ليلتي . قال : إن لعينك

(١) كذا في الأصل والتاريخ ، ولعله سقط منه : (قال) .

عليك حقاً ، ولجسدِك عليك حقاً . فقام أبو الدرداء فقال : أحْيَيْتَني أحياك الله ، أحييتني أحياك الله ، ثلاث مرّات .

وعن أم الدرداء قالت :

قلت لأبي الدرداء : ألا تبتغي لأضيافك ما يبتغي الرجالُ لأضيافهم ! فقال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إنّ أمامَكم عقبةً كؤوداً لا يجوزُها المثقلون . فأحبُّ أنْ أتخفَّفَ لتلك العقبة .

[٩/ب] وعن حُدَير الأسلميّ

أنّه دخل على أبي الدرداء وتحته فراشٌ جِلْد وسَبَنِيَّةٌ صوف[١] ، وهو وجِعٌ وقد عرق ، فقال له حدير : ما يمنعُكَ أن تكتسب[٢] فراشاً بورق وكساءَ خزٍّ وقطيفةَ خزٍّ مما يُعطيكَ معاوية ؟ ! فقال أبو الدرداء : إنّ لنا داراً لها نعمل ، وإليها نظعن ، وإنّ المُخِفَّ فيها أفضلُ من المُثقل .

كتب أبو الدرداء إلى سلمان : يا أخي ، بلغني أنك اشتريت خادماً ، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا يزالُ العبدُ من الله عزّ وجلّ وهو منه ما لم يُخدم ، فإذا خُدم وجب عليه الحساب . وإنّ أُمّ الدرداء سألتْني خادماً وأنا يومئذ موسر ، فكرهتُ ذلك لِمَا سمعته من الحساب ؛ ويا أخي ، مَنْ لي ولك بأنْ نوافيَ رسولَ الله ﷺ يومَ القيامة ولا نخافُ حساباً ! ويا أخي لا تغترَّ بصحبةِ رسولِ الله ﷺ فإنّا قد عشنا بعده دَهْراً طويلاً ، والله تعالى أعلمُ بالذي أصبنا .

قال محمد بن واسع :

كتب أبو الدرداء إلى سلمان : من أبي الدرداء إلى سلمان ، أمّا بعدُ يا أخي ، اغتنمْ صحّتك وفراغك من قبلِ أنْ ينزلَ بك من البلاء مالا يستطيعُ أحدٌ من الناس ردّه ، يا أخي اغتنمْ دعوةَ المؤمنِ المبتلى ، ويا أخي ليكنِ المسجدُ بيتَك ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) السَّبَنية : ضرب من الثياب تُتخذ من مُشاقة الكتان أغلظ ما يكون . اللسان (سبن) . ولفظ أبي نعيم في الحلية ٢٢٢/١ : « سبتية » بالتاء .

(٢) في الأصل : « تكتسبت » ولكن بإهمال الحروف ، وما أثبتُّه من التاريخ (د) و (س) .

يقول : المسجد بيتُ كلِّ تقيّ . وقد ضمِنَ اللهُ لمن كانتِ المساجدُ بيوتَهم بالرَّوح والراحة ، والجوازِ على الصراط إلى رضوان الربّ ، ويا أخي أدْنِ اليتيمَ منك ، وامسحْ برأسه والْطُفْ به وأطعِمْهُ من طعامك ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ـ وجاءهُ رجلٌ يشكو إليه قسوةَ قلبه ـ قال : أدْنِ اليتيمَ منك والطُفْ به ، وامسَحْ برأسه وأطعِمْهُ من طعامك ، فإنّ ذلك يلينُ قلبك ، وتدركُ حاجتَك ؛ ويا أخي إيّاك أنْ تجمعَ من [١٠/آ] الدنيا ما لا تؤدّي شكره ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : يؤتى بصاحب المال الذي أطاع اللهَ فيه ، ومالُه بين يديه ، كلّما انكفأ[1] به الصراط قال له مالُه : امضِ فقد أدّيتَ حقّ الله فيّ ، ثم يُجاءُ بصاحبِ المال الذي لم يُطعِ اللهَ فيه ومالُه بين كتفيه ، كلما تكفّأ به الصراط قال له مالُه : ويلك ، ألا أدّيتَ حقّ الله فيّ ! فما يزالُ كذلك حتى يدعو بالويلِ والثُّبور ... الحديث .

قال أبو البَخْتَرِيّ :

بينا أبو الدرداء يوقدُ تحت قِدْرٍ له إذْ سمع في القدر صوتاً ، ثم ارتفع الصوتُ بتسبيحٍ كهيئةِ صوتِ الصبيّ ، ثم انكفأتِ القدر ، ثم رجعَتْ إلى مكانها ولم ينصبَّ منها شيء ، فجعل أبو الدرداء ينادي : يا سلمان انظُرْ إلى ما لم تنظرْ إلى مثله أنت ولا أبوك ، فقال له سلمان : أما إنّك لو سكتَّ لسمعتَ من آيات الله الكبرى .

قال ميمون :

مرض أبو الدرداء ففزع إلى نفقةٍ كانت عنده ، فوجدها خمسة عشر درهماً فقال : ما كانت هذه مبقيةً مني شيئاً ، إن كانت لحرقة ما بين عانتي إلى ذَقَني .

وعن مالك بن أنس أن أبا الدرداء قال :

إني لبخيل ، إنْ كان لي ثلاثةُ أثواب لا أقرض اللهَ أحدَها .

كان أبو الدرداء يقولُ في دعائه : اللهمَّ إني أعوذُ بك من تفرقة القلب . قيل له : وما تفرقة القلب ؟ قال : أنْ يوضعَ لي في كُلِّ وادٍ مال .

قالَتْ أمُّ الدرداء :

بات أبو الدرداء ليلةً يصلي ، فجعل يبكي ويقول : اللهمَّ أحسنْتَ خَلْقي فحسِّنْ

(١) في الحلية ٢١٤/١ : « تكفّأ » وفي اللسان (كفأ) : رجل يتكفّأ به الصراط ، أي يتميّل ويتقلب .

خُلقي ؛ حتى أصبح ، فقلتُ له : يا أبا الدرداء ما كان دعاؤكَ منذُ الليلة إلاّ في حسن الخلق ! فقال : يا أمَّ الدرداء ، يأتي العبدُ المسلمُ يُحسِنُ خلْقَه حتى يدخلَهُ حسنُ خُلُقِه الجنَّة ، ويُسيءُ خُلقَه حتى يدخلَهُ خلقُه النار ؛ وإنَّ العبد المسلم ليُغْفَرُ له وهو نائم . قالت : قلت : كيف ذلك يا أبا الدرداء ؟ قال : يقومُ أخوهُ من الليل فيتهجَّد ، فيدعو اللهَ عزَّ وجلّ ، فيستجيبُ له ، ويدعو لأخيه فيستجيبُ له فيه .

[١٠/ب] خرج أبو الدرداء إلى السوق ليشتري قميصاً ، فلقي أبا ذرٍّ فقال : أين تريدُ يا أبا الدرداء ؟ قال : أريدُ أن أشتري قميصاً ، قال : بكم ؟ قال : بعشرة دراهم ، قال : فوضع يدَهُ على رأسِه ثم قال : ألا إنَّ أبا الدرداء من المسرفين . قال : فالتمستُ مكاناً أتوارى فيه فلم أجدْ ، فقلت : يا أبا ذرّ ، لاتفعلْ ، مُرَّ معي فاكْسُني أنت ، قال : وتفعل ؟ قلت : نعم ؛ فأتى السوق ، فاشترى قميصاً بأربعةِ دراهم . قال : فانصرفتُ ، حتى إذا كنتُ بين منزلي والسوق لَقِيتُ رجلاً لا يكادُ يواري سَوْءَتَه ، فقلت له : اتَّقِ الله ووارِ سَوْءَتك ، فقال : واللهِ ما أجدُ ما أواري به سَوْءَتي ؛ فألقيتُ إليه الثوب ثم انصرفتُ إلى السوق ، فاشتريتُ قميصاً بأربعة دراهم ، ثم انصرفت إلى منزلي ، فإذا خادمةٌ على الطريق تبكي قد اندقَّ إناؤها ، فقلت : مايبكيك ؟ فقالت : اندقَّ إنائي فأبطأتُ على أهلي . فذهبتُ معها إلى السوق ، فاشتريتُ لها سمناً بدرهم[1] ، فقالت : يا شيخ ! أما إذْ فعلتَ ما فعلت ، فامش معي إلى أهلي فإني قد أبطأتُ وأخافُ أنْ يضربوني ؛ قال : فمشيتُ معها إلى مواليها ، فدعوتُ ، فخرج مولاها إليَّ فقال : ما عناك يا أبا الدرداء ؟ فقلت : خادمتُكم أبطأتْ عنكم وأشفقتْ أن تضربوها فسألتْني أن آتيَكُمْ لتكفُّوا عنها ، قال : فأنا أُشهدُكَ أنها[2] حرَّةٌ لوجه الله [عزَّ وجلّ] لمشاك معها . قال : فقلت : أبو ذرٍّ أرشَدُ مني حين كساني قميصاً وكسا مسكيناً قميصاً وأعتق رقبةً بعشرة دراهم .

قال عوفُ بن مالك الأشجعيّ :

رأيتُ في المنام كأني أتيتُ مَرْجاً أخضر فيه قُبَّةٌ منَ أدَم ، حَولها غنَمٌ رَبَضٌ ، تجترُّ

---

(١) في هامش الأصل إلى جانب السطر حرف (ط) وكتب تحته ما نصه : « ظاهره : واشتريت إناءً بدرهم » .

(٢) في الأصل : « أنا » وما أثبتُّه من التاريخ (س) وما بين معقوفين منه .

وتبعَرُ العجوة ، فقلت : لِمَنْ هذه ؟ فقيل لي : لعبد الرحمن بن عوف ؛ فانتظرتُه حتى خرج من القُبَّة قال : يا عوف بن مالك ، هذا ما أعطانا اللهُ سبحانه بالقرآن ، فلو أشرفتَ على هذه الثنيَّة لرأيتَ ما لم ترَ عينُك ، ولسمعتَ ما لم تسمعْ أُذُنك ، ولا يخطرُ على قلبك ، أعدَّهُ الله عزَّ وجلَّ لأبي الدرداء [١١/آ] لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر .

وعن معاوية بن قُرَّة قال :

قال أبو الدرداء : ليس الخيرُ أن يكثُرَ مالُكَ وولدك ، ولكن الخير أنْ يعظُمَ حِلْمُك ، ويكثُرَ عِلْمُك ، وأنْ تباريَ الناسَ في عبادةِ الله ؛ وإذا أحسنت حمِدتَ الله ، وإذا أسأتَ استغفرتَ الله .

وعن أبي الدرداء أنه قال :

لولا ثلاثٌ خلال لأحببتُ أن لاأبقى في الدنيا ؛ فقلت : وما هنّ ؟ فقال : لولا وضْعُ وجهي للسجودِ لخالقي في اختلاف الليل والنهار لحياتي ؛ وظمأُ الهواجر[1] ؛ ومقاعدةُ قومٍ ينتقونَ الكلامَ كما تُنتقَى الفاكهة ، وتمامُ التقوى أنْ يتقيَ اللهَ العَبْدُ حتى يتقيَهُ في مثقال ذرَّة ، حتى يتركَ بعضَ ما يرى أنه حلال ، خشيةَ أنْ يكونَ حراماً ، حاجزاً بينه وبين الحرام . إنَّ الله تبارك اسْمُه قد بيَّن للعباد الذي هو مصيرهم إليه ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يعمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[2] فلا تحقرنَّ شيئاً من الشرّ أن تتَّقِيَه ، ولا شيئاً من الخير أنْ تفعلَه .

قال أبو الدرداء :

لن تزالوا بخير ماأحببتم خيارَكم وما قيلَ فيكم بالحق فعرفتموه ، فإنَّ عارفَ الحقّ كعامله .

قال أبو الدرداء :

ثلاثٌ من مِلاك أمْرِكَ يا بن آدم : لاتشكُّ مصيبتَك ؛ وأن لاتحدّثَ بوجَعِك ؛ وأن لاتُزَكِّيَ نفسَكَ بلسانك .

---

(١) سياقه في رواية أخرى عند ابن عساكر ٣٨٠/١٣ أ : « ... في اختلاف الليل والنهار يكون تقدمة لحياتي ، وظمأ ... » وكذا في الحلية ٢١٢/١ .

(٢) سورة الزلزلة ٧/٩٩ و ٨

كان أبو الدرداء يقول :

ماأهدى إليَّ أخٌ هديّةً أحبَّ إليَّ من السلام ، ولا بلغني خبرٌ أعجَبَ إليَّ من مَوْته .

قيل لأبي الدرداء : ماتحبُّ لصديقك ؟ قال : يقلُّ اللهُ مالَهُ وولدَه ، ويُعجِّلُ موتَه ؛ قال : فما تحبُّ لعدوِّك ؟ قال : يكثر اللهُ مالَهُ وولدَه ، ويطيل بقاءَه .

قال أبو الدرداء :

ثلاثٌ أُحبُّهنَّ ويكرهُهنَّ الناس : الفقر ، والمرض ، والموت .

وعن أبي ذرٍّ أو أبي الدرداء أنَّهُ قال :

تولَدُونَ للموت وتُعَمَّرونَ للخراب ، وتحرِصُون على ما يفنى ، وتذَرُونَ ما يبقى [١١/ب] ألاَ حبَّذا المكروهاتُ الثلاثُ : الموتُ والمَرَضُ والفقر .

قال أبو الدرداء :

أحبُّ الفقر تواضعاً لربِّي ، وأحبُّ الموتَ اشتياقاً إلى ربِّي ، وأحبُّ المرض تكفيراً لخطيئتي .

حدَّث إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوَة قال :

إنَّ نفراً من الجن تكوَّنوا في صورة الإنس فأتَوْا رجلاً فقالوا : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك أن يكون لك ؟ قال : الإبل ، قالوا : أحببت الشقاءَ والعناءَ وطولَ البلاء تُلحقكَ بالغُرْبة وتُبْعِدُكَ من الأحبَّة . فارتحلوا من عنده فنزلوا بآخر فقالوا : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك أن يكونَ لك ؟ قال : العبيد ، قالوا : عِزٌّ مستفاد ، وغيظٌ كالأوتاد ، ومال وبعاد . فارتحلوا فنزلوا على آخر فقالوا : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك أن يكونَ لك ؟ قال : أحبُّ الغنم ، قال : أكْلَةٌ آكل ورِفْدَةُ سائل ، لا تحملُكَ في الحرب ، ولا تُلحِقُكَ بالنَّهْب ، ولا تنجيك من الكَرْب . فارتحلوا من عنده فنزلوا على آخر فقالوا : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك أنْ يكونَ لك ؟ قال : أحبُّ الأُصُل ، قالوا : ثلاث مئة وستون نخلة غِنى الدهر ، ومال الضَّحِّ والرِّيح[1] . فارتحلوا من عنده فنزلوا على آخر فقالوا : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك أن يكونَ لك ؟ قال : أحبُّ الحَرْث ، قالوا : نصف العيش ، حين

(١) يقال : جاء فلان بالضَّحِّ والرِّيح إذا جاء بالمال الكثير ؛ يعنون إنما جاء بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ، يعني من الكثرة . والأصُل : جمع أُصيلة ، وهي النخلة . اللسان والتاج (ضحح ، أصل) . قلتُ : أُصيلة جمعت قياساً على صحيفة وسفينة ، وهو جائز كما في شرح الشافية ١٣٢/٢

تحرث تجد وحين لا تحرث لا تجد . قال : فارتحلوا من عنده فنزلوا على آخر فقالوا : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك أن يكون لك ؟ قال : كما أنتم حتى أضيِّفكُمْ ، قال : فجاءهم بخبز فقالوا : قمح صالح ؛ ثم جاءهم بلحم فقالوا : روحٌ يأكلُ روحاً ! ماقلَّ منه خيرٌ ممَّا كَثُر . فجاءهم بتمرٍ ولبن ، تمرِ النخلات ولبن البكرات ، كُلوا بسم الله ؛ قال : فأكلوا ، قالوا : أخبِرْنا ما أحَدُّ شيءٍ وما أحسَنُ شيءٍ وما أطيَبُ شيءٍ رائحةً ؟ قال : أما أحدُّ شيء فضِرْسٌ جائع يَقذِفُ في معًى ضائع[1] ؛ وأمَّا أحسَنُ شيء فغادية في إثْرِ سارية ، في أرضٍ رابية[2] ؛ وأمَّا أطيبُ شيءٍ رائحةً فريحُ زهر في إثر مَطَر ؛ قالوا : فأخبِرْنا أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك أن يكون لك ؟ قال : أحبُّ الموت ، قالوا : لقد تمنَّيت شيئاً ما تمنَّاهُ أحَدٌ قبلك ! قال : ولِمَ ؟ قال : إنْ كنتُ [١٢/آ] محسناً ضمن لي إحساني ، وإنْ كنتُ مسيئاً كفاني إساءَتي ، وإنْ كنتُ غنيّاً فقَبْلَ فَقْري ، وإنْ كنتُ فقيراً ضمن لي فقري . قالوا : أوصنا وزوِّدْنا ؛ فأخرج إليهم قربةً من لبن فقال : هذا زادكم ، قالوا : أوصنا ، قال : قولوا لا إله إلاَّ الله ، تكفيكم ما بينَ أيديكم وما خلفكم . فخرجوا من عنده وهم يُحزمونه[3] على الجنِّ والإنس .

قالوا إنَّ الرجل الذي نزلوا عليه بأخرَة عُوَيمر أبو الدرداء .

وعن أبي الدرداء قال :

لا تزالُ نفسُ أحدِكم شابَّة في حُبِّ الشيء ولو التقت تَرْقُوَتاه من الكبَر إلاَّ الذين امتحن الله قلوبَهم للآخرة ، وقليلٌ ماهم .

أوجعت أبا الدرداء عَيْنُه حتى ذهبت ، فقيل له : لو دعوتَ الله لها العافية ، فقال : ما تفرَّغْتُ بعدُ من دعائه في ذنوبي أن يغفر لي ، فكيف أدعوهُ لعيني ؟!.

قال أبو الدرداء :

مَنْ لم يكنْ غنيّاً عن الدنيا فلا دنيا له .

---

(١) معًى ضائع : أي جائع . اللسان .

(٢) الغادية : السحابة التي تنشأ غدوة . السارية : السحابة بين الغادية والرائحة التي تكون بالليل . الرابية : فيها خؤورة وإشراف ، تنبت أجود البقل . اللسان (غدو ، سري ، ربي) .

(٣) كذا الأصل ولكن بإهمال الحروف ، وإلى جانب السطر (ط) وأعجمتها من آكام المرجان ص٨٤ ، وفي التاريخ (د) و (س) ١٣/٣٨١أ : « يحزمون » لعله من الحزم وهو الأخذ بالثقة . أي وجدوه أحزم الجن والإنس .

جاء رجلٌ إلى أبي الدرداء فقال : أوصني ، قال : اذكرِ اللهَ في السَّراء يذكُرْكَ في الضَّراء ، وإذا ذكرتَ الموتى فاجعَلْ نفسكَ كأحدهم ، وإذا أشرفَتْ نفسُكَ على شيءٍ من الدنيا فانظُرْ إلى ماتصير .

وعن أبي الدرداء قال :

اعبدوا الله كأنكم ترونه ، وعُدُّوا أنفسكم في الموتى ، واعلموا أنَّ البرَّ لا يبلى وأنَّ الإثم لا يُنسى ، واعلموا أنَّ قليلاً يكفيكم خيرٌ من كثيرٍ يُلْهيكم .

زاد في آخر :

وإيّاك ودعوةَ المظلوم ـ فكنَّا نتحدَّث أنَّ دعوة المظلوم تصعد إلى السماء .

وفي آخر :

وإيّاك ودعواتِ المظلوم ، فإنهنَّ يصعَدْنَ إلى الله عزَّ وجلَّ كأنهنَّ شرارات من نار .

قال أبو الدرداء :

مَنْ لم يعرفْ نعمةَ الله عليه إلاَّ في مَطْعَمِهِ ومشربه فقد قلَّ عِلْمُه وحضر عذابُه .

وعن أبي الدرداء قال :

ما تصدَّق مؤمنٌ بصدقةٍ أحبَّ إلى الله من موعظةٍ يعِظ بها قوماً يقومُ بعضُهم وقد نفعهُ الله بها .

كتب أبو الدرداء إلى رجلٍ من إخوانه خاف عليه حُبَّ ولده : أما بعدُ يا أخي ، فإنك لست في شيءٍ من الدنيا [١٢/ب] إلاَّ وقد كان له أهلٌ قبلك ، وسيكونُ له أهلٌ بعدَك ، وإنما تجمعُ لمَنْ لا يحمَدُك ، ويصير إلى من لا يعذرُك ، وإنما تجمعُ لأحد رجلَيْن : إمَّا محسن فيسعَدُ بما شقِيتَ له ؛ وإمَّا مفسد فيشقى بما جمعتَ له ؛ وليس واحدٌ منهما بأهْلٍ أنْ تؤثرَهُ على نفسك ، ولا تبرد[1] له على ظهرك ؛ فثقْ لمَنْ مضى منهم برحمة الله ولمَنْ بقي منهم برزق الله والسلام .

---

(١) فوق الكلمة في الأصل خط وإلى جانب السطر حرف (ط) فلعله يشير إلى غوضها ، فهي إما أن تكون من البريد وهو الرسول ، أو من الباردة ، وهي الغنية الحاصلة بغير تعب ، من قولهم : برد لي على فلان حق : أي ثبت . انظر اللسان (برد) . والخبر في الحلية ٢١٦/١ وصفة الصفوة ٦٣٦/١ ، ٦٣٧ .

قال أبو الدرداء :

أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاث : أضحكني مؤمِّلُ دنيا والموت يطلبُه ؛ وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه ؛ وضاحكٌ بملْءِ فيه ولا يدري أرضى الله أمْ أسخطه . وأبكاني فراقُ الأحبَّة محمدٍ وحِزْبِه ؛ وهولُ المَطْلع عند غَمراتِ الموت ؛ والوقوفُ بين يدي الله يوم تبدو السريرةُ علانية ، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

قال أبو الدرداء :

معاتبةُ الأخ أهْوَنُ من فقده ، ومَنْ لك بأخيك كُلِّه ؟ أعطِ أخاك وهَبْ له ، ولا تُطِعْ فيه كاشحاً فتكون مثله ، غداً يأتيه الموت فيكفيك قِبَلَه[1] ، وكيف تبكيه في الممات وفي الحياة تركتَ وصلَه ؟ .

وعن أبي الدرداء قال :

ابنَ آدم طَأِ الأرضَ بقدمك فإنها عن قليل تكونُ قبرَك ، ابنَ آدم ، إنما أنت أيام ، فكلما ذهب يوم ذهب بعضك ، ابن آدم ، إنك لم تزَلْ في هَدْم عمرك منذ يوم ولدَتْكَ أمُّك .

وعن أبي الدرداء قال :

ما من أحدٍ إلاَّ وفي غفلةٍ نقصٍ عن علمه وحلمه ؛ وذلك أنه إذا أتَتْهُ الدنيا بزيادةٍ في مالٍ ظلَّ فرحاً مسروراً ، والليلُ والنهار دائبان في هَدْم عُمره ، ثم لا يحزنُه ـ ضلَّ ضلالُه ـ ما ينفع مالٌ يزيد وعُمُرٌ ينقُص ؟

كان أبو الدرداء يقول :

لولا ثلاثُ خِلاَلٍ لصلَحَ أمر الناس : شُحٌّ مُطَاع ؛ وهوًى مُتَّبَع ؛ وإعجابُ المرء بنفسه .

وقال :

ذروةُ الإيمان أربع خصال : الصَّبْرُ في الحكم ؛ والرِّضا بالقَدر ؛ والإخلاصُ بالتوكُّل ؛ والاستسلامُ للربِّ جلَّ ثناؤه .

---

(١) في الحلية ٢١٦/١ : « فقده » وفي صفة الصفوة ٦٢٤/١ : « قتله » .

وعن أبي الدرداء قال :

يا أهل حمص ، مالي أرى علماءكم يذهبون ، وأرى جُهَّالَكم [١٣/آ] لا يتعلَّمون ، وأراكم قد أقبلتُم على ما تُكُفِّلَ لكم وضيَّعتم ما وكِّلْتُم بـه ؟ تعلَّموا قبلَ أن يُرفع العِلْم ، فـإنَّ ذهـابَ العلم ذهاب العلماء .

(١) زاد في رواية : لأنا أعلم بشراركم من البيطار بـالفَرَس : هم الـذين لا يـأتون الصلاة إلاَّ دَبْرا ، ولا يقرؤون القرآن إلا هَجْرا ، ولا يُعتَق مُحَرَّرُوهم(١) .

لولا ثلاثٌ لصَلَح الناس : شُحٌّ مُطَاع ؛ وهوًى متَّبَع ؛ وإعجابُ المرء بنفسه . مَنْ رُزق قلباً شاكراً ، ولسـاناً ذاكراً ، وزوجـةً مؤمنـة فنعم الخير أُوتيـه ، ولَنْ يتركَ من الخير شيئـاً ، مَنْ يُكثر الدعاءَ عند الرخاء يُستجابُ(٢) له عند البلاء ، ومَنْ يكثر قَرْعَ البابِ يُفْتَح له .

وعن أبي الدرداء قال :

لا يفقهُ الرجل كُلَّ الفقه حتى يمقتَ النـاسَ في جَنْب الله ، ثم يرجعُ إلى نفسـه فيكون لها أشدَّ مقتاً .

وفي آخر بمعناه :

ثم ترجعُ إلى نفسك فتجدها أمقتَ عندك من سائر الناس ، وإنك لن تفقـه كُلَّ الفقـه حتى ترى القرآن وجـوهـاً . قـال حمَّـاد : فقلت لأيُّـوب : أرأيتَ قـولـه : حتى ترى القرآن وجوهاً ؟ قال فسكت هُنيهةً ، قال : فقلت : لهو أنْ ترى له وجوهاً فتهاب الإقـدام عليـه ؛ قال : نعم هو هذا ، نعم هو هذا .

وعن أبي الدرداء قال :

يا رُبَّ مكرمٍ لنفسهِ وهو لها مُهين ، ويا رُبَّ شهوةِ ساعةٍ قـد أورثَتْ صـاحبَهـا حُزْنـاً طويلاً .

زاد في آخر : ألا رُبَّ مبيضٍ لثيابه وهو لدينه مُدَنِّس .

(١-١) مـا بين الرقمين مستدرك في هـامش الأصـل ، وانظر شرح هـذا النص في غريب الحـديث للخطـابي ٣٤٢/٢ ـ ٣٤٤

(٢) كـذا بـالرفع ، وهو جـائز على رأي ضعيف ، انظر الكتـاب ٦٦/٣ ، ٦٧ ، وشرح الكافيـة ٢٥٦/٢ ، والنحو الوافي ٤٧٤/٤

وعن أبي الدرداء قال :

أهلُ الأموال يأكلون ونأكل ، ويشربون ونشرب ، ويلبسون ونلبس ، ويركبون ونركب ، ولهم فُضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها معهم ، عليهم حسابُها ونحن منها بُرَآء .

وعن أبي الدرداء قال :

الحمدُ لله الذي جعل الأغنياء يتمنَّون أنهم مثلُنا عند الموت ، ولا نتمنَّى أننا مثلُهم عند الموت .

وقال :

ما أنصفَنا إخوانُنا الأغنياء ، يحبُّوننا في الله ويفارقوننا في الدنيا ، إذا لقِيتُه قال أحبُّك يا أبا الدرداء ، فإذا احتجتُ إليه في شيء امتنع مني .

وكان يقول : الحمد لله الذي جعل مَفرَّ الأغنياء إلينا عند الموت ولا نحبُّ أن نفرَّ إليهم عند الموت ؛ إنَّ أحدهم ليقول [١٢/ب] : يا ليتني صُعْلوكٌ من صعاليك المهاجرين . يعني بالصُّعْلوك الفقير .

كان أبو الدرداء يقف على أبوابِ المدائن الخَرِبة يقول : يا مدينة ! أين أهلُك ؟ أين سكَّانُك ؟ أين أين ... ثم لا يخرجُ حتى يبكي ويُبكي . وفي آخر : ثم يقول : ذهَبُوا وبقيتِ الأعمال .

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول :

يا حبَّذا نوم الأكياس وإفطارهم ! كيف يَغْبِنُونَ[1] سَهَرَ الحمقى وصيامَهم ؟ فَلَمِثْقالُ ذرَّةٍ من مؤمنٍ صاحبِ تقوًى ويقين ، أفضلُ وأرجح وأعظمُ من أمثال الجبال عبادةً من المغترِّين .

كان أبو الدرداء يقول :

تعلَّموا الصمت كما يُتعلَّم الكلام ، فإنَّ الصَّمْت حكم عظيم . وكُنْ إلى أنْ تسمعَ أحرصَ

---

(١) من التغابن ، وهو استنقاص لعقولهم . وفي الحلية ١/٢١١ : « يعيبون » .

منـك إلى أنْ تتكلّم ، ولا تتكلمْ في شيءٍ لا يعنيـك ، ولا تكنْ مِضْحـاكاً من غير عَجَب ، ولا مشّاءً إلى غير أرَب . يعني إلى غير حاجة .

وعن أبي الدرداء قال :

من كثُرَ كلامُه كثر كذبُه ، ومَنْ كثُرَ حَلْفُه كثر إثْمُه ، ومَنْ كثرتْ خُصومَتُه لم يسلَمْ دينُه .

وعن أبي الدرداء قال :

ادع الله يوم سرّائك لعلّهُ يستجيبُ لك يوم ضرّائك .

كتب أبو الدرداء إلى مَسْلَمة بنِ خالد :

أمّا بعد ، فإنّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبّهُ الله ، وإذا أحبّه الله حبّبَهُ إلى خَلْقه ؛ وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله ، وإذا أبغضَهُ الله بغّضَهُ إلى خلقه .

جاء رجلٌ إلى أبي الدرداء وهو في الموت فقال : يا أبا الدرداء ، عِظْني بشيءٍ لعلّ الله أنْ ينفعَني به ، وأذكرُك به ؛ قال : إنّك في أُمّةٍ مَرْحُومة ، أقِمِ الصلاة المكتوبة ، وآتِ الزكاة المفروضة ، وصُمْ رمَضان ، واجتنبِ الكبائر ـ أو قال المعاصي ـ وأبْشِرْ . فكأنّ الرجلَ لم يرضَ بما قال ، حتى رجعَ الكلمات عليه ثلاث مرّات ، فغضب السائلُ ثم قال : ﴿ إنّ الذينَ يكتمونَ ما أنزَلْنا من البيّنات والهُدَى مِنْ بعدِ ما بَيّنّاهُ للناسِ [في الكتاب][1] أولئك يلعَنُهم اللهُ ويَلْعَنُهمُ اللاعِنُون ﴾[2] ثم خرج ، فقال أبو الدرداء : أجلسوني ، فأجلسوه فقال : رُدُّوا عليَّ الرجل ، فقال : وَيْحك ! كيف بك وقد [١٤/آ] حُفر لك أربعُ أذْرُعٍ من الأرض ، ثم غرقت في ذلك الخَرْق الذي رأيته ! ثم جاءك مَلَكان أسودان أزرقان ، مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ يُعَنّيانك ويسألانك عن رسول الله ﷺ ، فإنْ ثبتَّ فنعم ما أنت فيه ، وإنْ كان غَيْرُ ذلك فقد هلكت ؛ ثم قمت على الأرض ، ليس لك إلاّ موضعُ قدمَيك ، وليس ثَمّ ظلٌ إلاّ العرش ، فإنْ ظُلّلْتَ فنعمَ ما أنت ! وإنْ أُضْحيتَ فقد هلكت ، ثم عرضت جهنّم ، والذي نفسي بيده ، إنها لتملأُ ما بين الخافقين وإنّ الحَشْرَ لعليها ، وإنّ الجنّةَ من ورائها ؛ فإنْ نجوتَ

(١) ما بين معقوفتين من المصحف والتاريخ .

(٢) سورة البقرة ١٥٩/٢ .

منها فنعم ما أنت فيه ! وإنْ وقعتَ فيها فقد هلكت . ثم حلف بالله الذي لا إلـه إلاّ هو إنّ هذا لهو الحق .

كان أبو الدرداء يقول :

كفى بك ظالماً أنْ لا تزال مخاصِماً وكفى بك آثماً أنْ لا تزالَ مخالفاً ، وكفى بـك كاذباً أن لا تزال محدّثاً في غير ذات اللهِ عزَّ وجلّ .

كان أبو الدرداء يقول :

رُبَّ شاكرِ نعمةَ غيره ؛ ومنعَمٍ عليه لا يدري ؛ ويارُبَّ حاملِ فقهٍ غير فقيه .

وكان يقول :

من فقه المرء مَمْشاهُ ومَجْلِسُه ومدخله ، قاتل اللهُ الشاعر حيثُ يقول :

[من الطويل]

عن المَرْءِ لا تسَـلْ وأبصِرْ قَرِينَـــهُ فـإنَّ القرينَ بـالمُقـارِنِ مُقْتَـدي[1]

قال أبو الدرداء :

من فقه الرجل رِفْقَهُ في معيشتـه ؛ ومن فقـه المرء أنْ يعلم أمُزْدادٌ هو أو منتقص ؛ ومن فقه الرجل أنْ يتعاهد إيمـانَـه ومـا يُغَيّر منـه ؛ ومن فقـه المرء أنْ يَعلم نَزَغـاتِ الشيطـانِ أن تأتيَه ؛ ومن فقهِ المَرْء أنْ تَسُرَّهُ حسنَتُه وتسوءَه سيِّئَتُه .

قال سالم بن أبي الجعد :

صعِد رجلٌ إلى أبي الدرداء وهو أمامَ غرفةٍ لـه ، وهو يلتقـطُ حبّـاتِ حنطـة ، فلما رآه الرجل استحيا أنْ يصعَد إليه فقال له : اصْعَدْ ، إنّ من فقهك رِفْقَك في المعيشة .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسولُ الله ﷺ :

من فقهكَ رِفْقَك في معيشتك .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٣٥١ دون أن يروي عجز البيت . وينسب البيت لطرفة بن العبد ، وهو في ديوانه ص ١٥١ ، وينسب لعدي بن زيد العبادي ، وهو في ديوانه ص ١٠٦ ، وتخريجه فيها .

كان أبو الدرداء يقول :

تبنونَ شديداً ، وتأمُلونَ بعيداً ، وتموتونَ قريباً .

[١٤/ب] قال أبو الدرداء ـ وكان من العلماء الحكماء الذين يشفون الداء ـ : يا أهل دمشق ، اسمعوا قولَ أخٍ لكم ناصح : مالي أراكم تجمعون فلا تأكلون ، وتبنون فلا تسكنون ، وتأملُون فلا تدركون ؟! إنَّ مَنْ كان قبلكم جمعوا كثيراً ،وبنَوْا شديدا ، وأمَّلُوا بعيداً ، فأصبح ما جمعوا بُورا ، وما أمَّلوا غُرورا ، وأضحَتْ مساكنُهم قُبورا .

خرج أبو الدرداء من دمشق فنظر إلى الغوطة ، وقد شُقَّتْ أنهارُها ، وغُرستْ شجراً وبُنيَتْ قصورا ؛ فرجع إليهم فقال : يا أهل دمشق ، يا أهل دمشق ، فلمَّا أقبلوا عليه ، قال : ألا تستحيون ؟ ثلاث مرّات ؛ تجمعون ما لا تأكلون ، وتأمُلُونَ ما لا تُدركون ، وتبنون ما لا تسكنون ! ألا إنه قد كان قبلكم قرون يجمعون فيوعون ، ويأملون فيطيلون ، ويبنون فيوثقون ، فأصبح جمعهم بُورا ، وأصبح أمَلُهم غُرورا ؛ وأصبحَتْ منازلُهم قُبورا ، ألا إنَّ عاداً ملأَتْ ما بين عَدَن وعمان نَعَماً وأموالاً ، فَمَنْ يشتري مني مالَ عادٍ بدرهمين ؟

وعن أبي الدرداء قال :

إنما العِلْمُ بالتعلُّم ، والحِلْمُ بالتحلُّم ، ومَنْ يتخيَّرِ الخيرَ يُعطَه ، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَه ؛ وثلاثةٌ لا ينالونَ الدرجاتِ العلا : مَنْ تكهَّن ، أو استقسم ، أو رجع من سفرٍ من طِيَرة .

وعن أبي الدرداء قال :

يا أهلَ دمشق لا يغرَّنَّكم ظَرْفُ الرجلِ ودهاؤُهُ وفصاحتُه ، وإنْ كان مع ذلك قائم الليلِ صائمَ النهار إذا رأيتم فيه ثلاثَ خصال : العُجْب ، وكثرةُ المَنْطِق فيما لا يعنيه ، وأنْ يَجِد على الناسِ مما يأتي مثلَه ؛ فإنَّ ذلك علامةُ الجاهل . وإنْ قيل إنه ظريف ، داهٍ ، لبيبٌ ، فصيحٌ ، عاقلٌ . ثم قال : ألا أنبِّئُكم بعلامة العاقل ؟ يتواضَعُ لمن فوقه ولا يُزري بمن دونه ، ويمسكُ الفَضْلَ من مَنْطِقِه ، يخالق الناس بأخلاقهم ، ويحتجز الإيمان فيما بينهُ وبين ربِّه جلَّ وعزّ ، وهو يمشي في [١٥/آ] الدنيا بالتقيَّة والكتمان .

قال أبو الدرداء :

الدنيا دارُ مَنْ لا دار له ، ولها يجمعُ مَنْ لا عقلَ له .

ومن حديث عن أبي الدرداء أنه قال :

ولو يشاءُ العالمُ منكم لازْداد علماً إلى علمه ؛ لقد خشيتُ أنْ تكونوا شباعاً من الطعام ، جياعاً من العِلْم ، اللهمَّ إني أعوذُ بك من أن أبقى في قوم إنْ ذكرتُ الله لم يعينوني ، وإنْ نسيتُ لم يذكّروني ، وإن تركتُهم أحزنوني .

وعن أبي الدرداء :

أنه مرَّ على رجُلٍ قد أصاب ذنباً ، فكانوا يسبُّونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قَليبٍ ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى ، قال : فلا تسبُّوا أخاكم ، واحْمَدُوا اللهَ الذي عافاكم . قالوا : أفلا تبغضه ؟ قال : إنما أبغضُ عمله ، فإذا تركه فهو أخي .

قال أبو الدرداء :

نعمَ صومعةُ الرجل المسلم بيتُه ! يكفُّ فيه نفسَهُ وبصره وفَرْجه ؛ وإياكم والمجالسَ في السوق ، فإنها تُلغي وتلهي .

وعن أبي الدرداء قال : قال النبيُّ ﷺ :

إنْ ناقدتَ الناس ناقدوك ، وإنْ تركتهم لم يتركوك ، وإنْ هربتَ منهم أدركوك . قال : قلتُ : فما أصنع ؟ قال هَبْ عِرضَك ليوم فقرك .

رُوي هذا الحديث مرفوعاً وروي موقوفاً .

وفي رواية

أنَّ أبا الدرداء قال : مَنْ يتفقَّدْ يَفْقِدْ ، ومَنْ لا يُعِدَّ الصبر لفواجعِ الأمور يَعجِزْ ؛ وإنْ قارضتَ الناس قارضوك ، وإنْ تركتهم لم يتركوك ، وإن هربتَ منهم أدركوك . قال : كيف أصنع ؟ قال : أَقرِضْ من عرضك ليوم فقرك .

قوله : مَن يتفقدْ يَفْقِد . يقول : مَنْ يتأمَّلْ أحوالَ الناس وأخلاقَهم يتعرَّفْها . يَفْقِد : أي يعدَم أن يجد فيهم أحداً يرتضيه . وإنْ كانتِ الرواية : مَنْ يتفقّدْ يُفْقَدْ . فإنه يُريد : من يتفقَّدْ أمور الناس يُفْقَد ، أيْ ينقطع عنهم وعن ملابستهم ، فلا يوجدُ معهم . وقوله : إن قارضْتَ الناسَ قارضوك ، يريد : إنْ طعنتَ عليهم ونلتَ منهم بلسانك فعلوا مثل ذلك بك . وقوله : أَقرِضْ من عِرْضِك ليوم فقرك ؛ أراد مَنْ شتمك منهم [١٥/ب] فلا تشتُمْهُ ،

ومَنْ ذكرك بسوءٍ فلا تذكُرْهُ ، ودَعْ ذلك قَرْضاً لك عليه ليوم الجزاء والقِصاص . ومنه قولُ النبيِّ ﷺ : وضع اللهُ الحَرَج إلاَّ مَن اقتَرض من عِرْضِ أخيه شيئاً فذاك الذي حَرَجَ وهلك . أراد أنَّ الله قد وضع عنكم الضِّيق في الدِّين وفسح لكم فلا حَرَج إلاَّ ممَّا تنالون من أعراض المسلمين .

قال أبو الدرداء لرجل :

هَبْ عِرْضك لله عزَّ وجلّ ، فمن سبَّك أو شتمك أو قاتلك فدَعْهُ لله ، وإذا أسأتَ فاستغفرِ الله .

وعن أبي الدرداء قال :

ما أمسَيْتُ ليلةً وأصبحت ، لم يَرْمِني الناس فيها بداهية إلاَّ رأيتُها نعمةً من الله عليَّ عظيمة .

وعن أبي الدرداء أنه دخل المدينة فقال :

مالي لا أرى عليكم يا أهلَ المدينة حلاوةَ الإيمان ! ؟ والذي نفسي بيده ، لو أنَّ دُبَّ الغابة طعِمَ طَعْمَ الإيمان لرأى عليه حلاوة الإيمان .

وعن أبي الدرداء أنه قال :

ما أمِن أحَدٌ على إيمانه إلا سُلبه .

وعن جُبير بن نُفير

أنه سمع أبا الدرداء وهو في آخر صلاته وقد فرغ من التشهُّد يتعوَّذُ بالله من النِّفاق ، فأكثر من التعوُّذ منه ، قال فقال له جُبير : مالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق ؟ قال دَعْنا عنك ، دعنا عنك ، فوالله إنَّ الرجل ليُقلبُ عن دينه في الساعة الواحدة فيَخلع منه .

قالت أم الدرداء :

كان أبو الدرداء إذا مات الرجلُ على الحال الصالحة قلت[1] هنيئاً له ! يا ليتني بدَله ، فقالت أمُّ الدرداء : يا أبا الدرداء ، مالك إذا مات الرجلُ على الحال الصالحة قلت هنيئاً له

---

(١) كذا الأصل والتاريخ ، ولعل الصواب « يقول » .

openkandil.com

يا ليتني بدَله ؟ قال وما تعلمين يا حمقاء أنّ الرجل يصبح مؤمناً ويُمسي منافقاً ! قلت وكيف ذلك ؟ قال : يُسلَبُ إيمانُه ولا يشعر ، لأنا لهذا بالموت أغْبَطُ مني بالبقاء في الصلاة والصيام .

وعن أبي الدرداء قال :

استعيذوا بالله من خشوع النفاق ، قيل : وما خشوعُ [١٦/آ] النفاق ؟ قال : أنْ ترى الجسد خاشعاً والقلبَ ليس بخاشع .

قيل لأبي الدرداء : كلُّ أصحابك قد قال الشعر غيرك ، فأطرق طويلاً ثم قال : [من الوافر]

يريدُ العبدُ أنْ يُعطى مناهُ ... ويأبى اللهُ إلاّ ما أرادا
يقولُ العبدُ فائدتي ومالي ... وتقوى اللهِ أفضَلُ ما استفادا[1]

فقالوا : لقد أحسنت فزِدْ ، قال : لا ، إنما قلتُ حين قلتم إنّ أصحابي كُلَّهم قد قالوا ، كرهتُ أن يعملوا عملاً لا أعمله ، وليس الشعرُ من شأني .

وعن أبي الدرداء أنه قال :

إنّ أبغض الناسِ إليّ أن أظلمه لمَنْ لا يجدُ أحداً يستغيثه عليّ إلاّ اللهَ عزّ وجلّ[2] .

كان لأبي الدرداء جملٌ يقال له دمون ، فكان إذا استعاروهُ منه قال : لا تحملوا عليه إلاّ كذا وكذا[3] فإنه لا يطيقُ أكثر من ذلك ، فلما حضرَتْهُ الوفاة قال : يا دمون لا تخاصِمْني غداً عند ربّي فإني لم أكنْ أحمِلُ عليك إلاّ ما تطيق .

وعن جُبير بن نُفَير قال :

لما فُتحت قبرس مُرَّ بالسَّبْي ، فجاء أبو الدرداء يبكي ، فقال له جُبير : تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعزَّ الله فيه الإسلامَ وأهلَه ؟ ! قال : يا جُبير ، بينا هذه الأُمّة قاهرة ظاهرة

---

(١) البيتان في الحلية ٢٢٥/١ والاستيعاب ص ١٦٤٨ وصفة الصفوة ٦٣٧/١ والكواكب الدرية للمناوي ٤٧/١ .

(٢) تقدم الخبر بنحوه في الصفحة ٢١ . ولعل الصواب فيه « يستعينه » .

(٣) في « الزهد » لابن المبارك ص ٤١٤ : « قال : هو يحمل كذا وكذا فلا تحملوا عليه إلا كذا وكذا ... » .

إذْ عَصَوْا الله فلَقُوا ما قد ترى ! ثم قال : ما أهونَ العبادَ على الله إذا هم عصَوْه .

قيل لأبي الدرداء : ﴿ ولِمَنْ خافَ مقامَ ربِّهِ جنتان ﴾[1] وإنْ زنى وإنْ سرق ؟ قال : إنَّهُ إنْ خاف مقامَ ربِّه لم يَزْنِ ولم يسرقْ .

قال حكيمُ بن جابر :

كان أبو الدرداء مضطجعاً بين أصحابه وثوبهُ على وجهه إذْ مرَّ بهم قَسٌّ ، فأعجبهم سمْتُه ، فقالوا : اللهمَّ العَنْهُ ، ما أعظَمهُ وما أسمَنَه ! فكشف الثوبَ عن وجهه فقال مَنْ ذا الذي لعنتم آنفاً ؟ قالوا : قسًّا مرَّ بنا ، فقال : لا تلعنوا أحداً فإنه لا ينبغي للعَّانِ أن يكونَ عند الله يوم القيامة صدِّيقاً .

قالت أمُّ الدرداء :

كان أبو الدرداء إذا حدث حديثاً تبسَّم في حديثه ، فقلت : إني أخشى أن يحمِّقَكَ الناس ، قال : ما سمعتُ [١٦/ب] رسولَ الله ﷺ يحدِّثُ حديثاً إلاَّ تبسَّم في حديثه .

وعن أبي الدرداء قال :

إني لأدعو لناسٍ من إخواني وأنا ساجد أسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم .

وفي رواية :

إني لأدعو وأنا ساجد لسبعين أخاً من إخواني .

وقالت أم الدرداء :

كان لأبي الدرداء ستّون وثلاث مئة خليل في الله يدعو لهم في الصلاة ، قالت : فقلت له في ذلك فقال : إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلاَّ وكَّلَ الله به ملكين يقولان : ولك بمثله : أفلا أرغبُ أنْ يدعُوَ لي الملائكة ؟ !

حضر أبو الدرداء باب معاوية ، فحُجب عنه ، فقال : اللهمَّ غَفْراً ، إنَّه مَنْ يحضرْ أبوابَ السلطان يقمْ ويقعدْ ، وإنه من يجدْ باباً مغلقاً يجدْ إلى جنبه باباً فُتُحاً[2] رحيباً إن

---

(١) سورة الرحمن ٤٦/٥٥ .

(٢) الفُتُح : الواسع ، وأراد بالباب الفُتْح : الطلب إلى الله والمسألة . اللسان (فتح) ، وغريب الحديث لأبي عبيد ١٤٩/٤

سأل أُعطي وإنْ دعا أُجيب ، وإنَّ أوَّلَ نفاقِ المرء طعنُه على إمامه . وفي رواية : وبغضَهم كُفْر .

ومن حديث آخر :

إنْ سأل أُعطي وإن استغفر غُفر له ؛ فكان رجالٌ من أهل الذِّمَّة استعانوا به على معاوية ليكلِّمَهُ أنْ يخففَ عنهم من الخراج ، قالت : فلمَّا لم يُؤذنْ له قال : أنتم أظلمُ منه . قالوا : لِمَ أصلحك الله ؟ ! قال : لو شئتم أسلمتم فلم يكنْ له عليكم سبيل .

قال حسان بن عطية :

شكا أهلُ دمشق إلى أبي الدرداء قِلَّة المطر فقال : إنكم أطلتم حيطانَها ، وأكثرتم حُرَّاسها ، فأتاها الويلُ من فوقها .

قالت أمُّ الدرداء :

دخلتُ على أبي الدرداء ، وهو غضبان فقلتُ له : ما أغضبك ؟ قال : والله ما أعرف منهم من أمْرِ محمدٍ ﷺ شيئاً غير أنهم يصلُّون جميعاً .

وعن أبي الدرداء قال :

إنَّا لنكشِّرُ في وجوه أقوامٍ ونضحك إليهم ، وإنَّ قلوبنا لتلعنُهم .

وعن أبي الدرداء أنه قال :

لوددتُ أني كبشٌ لأهلي ، فمرَّ عليهم ضيف ، فأمَرُّوا على أوداجي ، فأكلوا وأطعموا .

نظر أبو الدرداء إلى رجلٍ في جنازةٍ وهو يقول : جنازة مَنْ هذا ؟ فقال أبو الدرداء [١٧/آ] : هذا أنت ، هذا أنت ، يقولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[1] .

خرج أبو الدرداء إلى جنازة ، فرأى أهل الميت يبكون عليه فقال : مساكين موتى غداً يبكون على ميتِ اليوم .

قال أبو الدرداء :

ما أكثر عَبْدٌ ذكر الموت إلاَّ قلَّ فرَحُه وقلَّ حَسَدُه .

---

(١) سورة الزمر ٣٠/٣٩

قال أبو الدرداء :

كفى بالموت واعظاً ، وكفى بالدهر مفرّقاً اليوم في الدور ، وغداً في القبور .

مرّ أبو الدرداء بين القبور فقال : بيوت ، ما أسكن ظواهرك ! وفي دواخلك الدواهي .

قال أبو الدرداء :

إنّ لكم في هاتين الدارين لَعِبْرَة ، تزورونهم ولا يزورونكم ، وتنتقلون إليهم ولا ينتقلونَ إليكم ، يوشكُ أن يستفرغ هذه ما في هذه .

قال معاويةُ بن قُرّة :

اشتكى أبو الدرداء ، فدخل عليه أصحابُه فقالوا له : يا أبا الدرداء ما تشتكي ؟ قال : أشتكي ذنوبي ، قالوا : فما تشتهي ؟ قال : أشتهي الجنة ، قالوا : أفلا ندعو لك طبيباً ؟ قال : هو الذي أضجعني .

مرض أبو الدرداء مرضَهُ الذي مات فيه ، فكثر عليه العُوّادُ في منزله ، فأخرجوه إلى كنيسة النصارى ، فجعل الناسُ يعودونَهُ أرسالاً ، فجاء أبو إدريس إلى أبي الدرداء وهو يجودُ بنفسه ، فتخطّى الناسَ حتى جلس عند رأسه، فقال أبو إدريس : الله أكبر الله أكبر ، فجعل يُكبّر ، فرفع أبو الدرداء رأسَهُ فقال : إن الله إذا قضى قضاءً أحبَّ أنْ نرضى به ، ثم قال : ألاَ رجلٌ يعملُ لمثلِ مَصْرَعي هذا ! ألاَ رجلٌ يعمل لمثل ساعتي هذه ! ثم قضى .

لَمّا نزل بأبي الدرداء الموت دعا أمَّ الدرداء ، ضمَّها إليه وبكى وقال : يا أم الدرداء ، قد ترين ما نزل بي من الموت ، إنه والله قد نزل بي أمرٌ لم ينزلْ بي قطُّ أمرٌ أشدُّ منه ، فإن كان لي عند الله خير فهو أهونُ مابعده ؛ وإنْ تكنِ الأخرى ، فوالله ماهو فيها بعده إلاَّ كحِلابِ ناقة . ثم بكى وقال : يا أمَّ الدرداء اعملي لمثل مَصْرَعي هذا ، يا أمَّ الدرداء اعملي لمثل ساعتي هذه [١٧/ب] ثم دعا ابنَهُ بلالاً فقال : وَيْحَك يا بلال ! اعْمَلْ لساعةِ الموت ، اعمَلْ لمثلِ مصرعِ أبيك ، واذكُرْ به صَرْعتَك وساعتك ، فكأنْ قَدْ . ثم قُبض .

قالتْ أمُّ الدرداء :

أغمي على أبي الدرداء فأفاق فإذا بلالٌ ابنُه عنده فقال : قُمْ فاخرج عني ، ثم قال : مَنْ

يعملُ لمضجعي هذا ؟ مَنْ يعملُ لمثل ساعتي هذه ؟ ! ﴿ ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] أتيتم . ثم أُغميَ عليه ، فيلبثُ لبثةً ثمَّ يفيقُ فيقولُ مثلَ ذلك ، فلم يَزَلْ يردِّدُها حتى قُبض .

مات أبو الدرداء قبل قَتْلِ عثمان بسنتين ؛ وقيل بسنة . قالوا : تُوفي سنة اثنتين وثلاثين ؛ وقيل سنة إحدى وثلاثين بالشام ؛ وله عقب بالشام .

وقيل : سنة ثلاثٍ وثلاثين . وهو وَهْم .

٣ ـ عَلاَّن بن الحسين

أبو الحسن الحدَّاد

من أصحابِ أبي سليمان الدَّاراني .

قال علاَّن :

سألتُ أبا سليمان الداراني : بأيِّ شيءٍ يُعرفُ الأبرار ؟ فقال : تعرفهم بكتمانِ المصائب وصيانة الكرامات .

وقال علاَّن :

خلا بي العدوُّ في ليلةٍ من الليالي فقال : أنت تعبدُ الله وهو خلقك فمن خلق الله ؟ ! فلم يزَلْ بي على ذلك يُجهدني أكثر الليل ، فقلت : مالي سوى أبي سليمان الداراني[2] ، فقصدتُ منزله في الليل فلم يكنْ فيه ، فقلت : هو في المقابر ، فأتيتُها فإذا هو يدورُ فيها ، فلمَّا بَصُرَ بي قال من غير أنْ أكلِّمه :عَلاَّن ! كأني بك وقد خلا بك العدو فقال لك : أن تعبد الله وهو خلقك ، فَمَنْ خلق الله فشوِّش عليك ، قل له : يا لعين ، لا بدَّ أنْ ينتهيَ هذا الأمْرُ إلى واحد ، فهو ذلك الواحد .

---

(١) سورة الأنعام ١١٠/٦

(٢) في الأصل : « الدارادي » وما أثبتُّه من التاريخ .

obeikandl.com

٤ ـ العلاء بن بُرْد بن سنان

من دمشق .

[١٨/آ] حدّث عن أبيه قال :

خرجتُ أنا ونافع فَجُزْنَا بمنزلِ رجلٍ من قريش ، فاستسقى نافع ، فأُتي بنارَجيلة مضبَّبةٍ بضباب فضّة ، فأبى أنْ يشرب وقال : ائتونا بإناءٍ غير هذا ، فإني سمعتُ أبا عبد الرحمن يقول : قال رسولُ الله ﷺ : مَنْ شرب في إناء من ذهبٍ أو إناءٍ من فضّة فإنما يُجَرْجِرُ في بطنهِ نارَ جهنَّم .

وحدّث عن أبيه ، عن نافع ، عن ابن عمر أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

مَنْ جاء منكم الجمعة فليغتسل .

وحدّث عن علي بن غزيّة [١] ، عن ميمون بن مِهْران ، عن ابن عباس قال :

مررتُ بالنبيِّ ﷺ وقد انصرف من صلاة الظهر ، وعليه ثياب بيض ، وهو يُناجي دِحْيَة الكلبيَّ فيما ظننت ، وكان جبريلَ عليه السلام ولا أدري ، فقال : جبريلُ للنبي ﷺ : يا رسول الله ، هذا ابنُ عباس ، أما إنه لو سلَّم علينا ردَدْنا عليه ، أما إنه شديدُ وضَحِ الثياب ، وليلبسنَّ ذُرِّيَّتُه من بعده السواد ، فلمّا عرج جبريلُ وانصرف النبيُّ ﷺ قال : ما منعك أن تسلِّم إذْ مررتَ آنفاً ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، مررتُ بك وأنت تناجي دحْيَة الكلبيّ ، فكرهت أنْ أقطع نجواكما بردّكما عليَّ السلام . قال : لقد أُتيت النظر ، ذاك جبريل وليس أحَدٌ رآه غَيْرُ نبيٍّ إلاّ ذهب بصره ؛ وبصَرُكَ ذاهب ، وهو مردودٌ عليك يوم وفاتك . قال : فلما مات ابنُ عباس وأُدرج في أكفانه ، انقضَّ طائرٌ أبيض فأتى بين أكفانه ، وطُلب فلم يوجد ، فقال عكرمة مولى ابنِ عباس : أحمقى أنتم ! هذا بصَرُهُ الذي وعدَهُ رسولُ الله ﷺ أن يردَّ عليه يوم وفاته . فلمّا أتَوْا به القبر ، ووُضع في لَحْده تَلَقّي بكلمةٍ سمعها مَنْ كان على شفير القبر : ﴿ يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعي إلى رَبِّكِ راضيةً مَرْضِيَّةً ، فادْخُلي في عبادي ، وادْخلي جَنَّتي ﴾ [٢] .

---

(١) في الأصل والتاريخ (س) بالإهمال ، وما أثبتُّه من (د) ، ولم أظفر بترجمة له ، ولعله علي بن بذيمة ، فقد روى عن ميمون بن مهران كما في تهذيب الكمال .

(٢) سورة الفجر ٢٧/٨٩ ـ ٣٠

قال محمود بن خِدَاش الطَّالَقَاني :

لـمَّا أردتُ [١٨/ب] أنْ أُحدِّث صرتُ إلى أحمد بنِ حَنْبَل فقلت له : يا أبا عبـد الله ، إنَّ الناس سألوني أنْ أحدِّث فأنا موضعٌ للتحديث ؛ فقال لي : نعم ، ولكنِ ائْتني بمشايخكَ في رُقْعة حتى أنظرَ إليها . قال : فجئتُه بمشايخي ، فـأسقـط منهم نيِّفاً وأربعين شيخـا ، قـال : فـوضعتُ الرقعـة في البيت ، وصرتُ إلى يحيى بنِ مَعِين ، ومعي رقعـةٌ غير تلـك الرقعـة ، فضرب على النيِّف والأربعين الذين ضرب عليهم أحمدُ بن حنبل ، فوضعتُ الرقعة في البيت وكتبتُ غيرَهـا ، وصِرْتُ إلى أبي خيثـمة ، فنظر فيهـا ، فضرب على النيِّف والأربعين شيخـاً الـذين ضرب عليهم أحمـدُ بن حنبـل ويحيى ، وسمَّاهم ، ومنهم عليُّ بن عـاصم ، والعـلاء بن بُرْد بن سنان . قال أبو محمد : وجاءني ابنُ أحمد بن حنبل فقال لي : أخرجْ شيئاً أنظُرُ فيـه ، فأخرجتُ له أجزاء ، قـال : لِمَ لا تخرجُ عن عليِّ بن عـاصم ؟ فقلتُ لـه : إنَّ أبـاك نهـاني أنْ أحدِّث عنه ، فقال : إن أبي أمرني أنْ أدورَ على كلِّ مَنْ نهاهُ عنه ، فأقولَ له أنْ يحدثَ عنه .

٥ ـ العلاءُ بن الحارث بن عبد الوارث

أبو وهْب ، ويقال أبو الحارث الحضرمي

حدَّث عن مكحول ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

الجهـادُ واجبٌ عليكم مع كُلِّ أمير بَرًّا كان أو فـاجراً ، والصـلاة واجبٌ عليكم خلف كل مسلم برًّا كان أو فاجراً ، وإنْ عمل بالكبـائر ، والصلاةُ واجبـةٌ على كلِّ مسلم يموت برًّا كان أو فاجراً وإنْ عمل بالكبائر .

وحدَّث العلاء ، عن مكحول ، عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

لا يحلُّ لامرأةٍ تصومُ تطوُّعاً إلاَّ بـإذنِ زوجهـا ، ومـا تصـدَّقَتْ من صـدقـةٍ من طعـام البيت ، فلزوجها شطره ولها شطره .

وحدّث عن عبد الله بن دينار ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر أنّ رسولَ الله ﷺ قال :
مَنْ أشرك بالله فليس بمُحْصَن .

كان العلاء بن الحارث أحلم أصحابِ مكحول وأقدمهم ؛ وكان يُفتي حتى خُولط . ومات سنة ستٍّ وثلاثين ومئة ، وهو ابن سبعين سنة .

[١٩/آ] . قال يحيى بنُ مَعين :
العلاءُ بن الحارث الذي يروي عنه فرج بن فضالة هو ثقة ، قيل له : العلاءُ بن الحارث في حديثه شيء ؟ قال : لا ولكن كان يرى القَدَر .

٦ ـ العلاءُ بن [الحارث[1] بن] أبي حكيم يحيى

سيَّافُ معاوية

حدّث شُفَيُّ بن ماتع الأصبحيُّ قال :
قدمتُ المدينة فدخلتُ المسجد ، فإذا الناسُ قد اجتمعوا على رجل ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ، فلما تفرّق الناس دنَوْتُ منه فقلت : يا أبا هريرة ، حدِّثْنا حديثاً سمعتَهُ من رسولِ الله ﷺ ليس بينك وبينه فيه أحدٌ من الناس ، فقال : أفعل ، لأحدثنّك حديثاً حدثنيهِ رسولُ الله ﷺ ، ليس بيني وبينه فيه أحدٌ من الناس ؛ ثم نَشَغَ نَشْغَةً[2] فأفاق وهو يقول : أفعل ، لأحدثنّك حديثاً حدثنيه رسولُ الله ﷺ ، ليس بيني وبينه فيه أحد من الناس ؛ ثم نشغ الثانية ، فأفاق وهو يقول : أفعل لأحدثنّك حديثاً حدّثنيه رسولُ الله ﷺ ، ليس بيني وبينه فيه أحدٌ من الناس ؛ ثم نشغ الثالثة والرابعة ، ثم أفاق وهو يقول : أفعل ، لأحدثنّك حديثاً حدثنيه رسولُ الله ﷺ ، في هذا البيت ليس معي فيه غيره ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

إذا كان يومُ القيامة ينزل الله إلى العباد ليقضيَ بينهم ، وكلُّ أمّةٍ جاثية ، فأوّلُ مَنْ

---

(١) ما بين معقوفين من التاريخ .
(٢) أي شهق وغَشي عليه ؛ قال أبو عبيد : وإنما يفعل ذلك الإنسان شوقاً إلى صاحبه ، أو إلى شيء فائت ، وأسفاً عليه وحباً للقائه . اللسان (نشغ) .

يُدعى رجلٌ جمع القرآن فيقول الله عزَّ وجلَّ له : عبدي ، ألَمْ أعلِّمْكَ ما أنزلتُ على رسولي ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول : ماذا عملتَ فيما علِّمتُك ؟ فيقول : يا رب ! كنتُ أقوم به آناءَ الليلِ وآناءَ النهار ، فيقول الله له : كذبت . وتقولُ له الملائكة : كذبت ، بل أردتَ أنْ يقال : فلانٌ قارئ ؛ فقد قيل ذلك ، اذهبْ فليس لك اليوم عندنا شيء . ثم يُؤتى بصاحب المال ، فيقول الله عزَّ وجلَّ له : عبدي ، ألم أُنعِمْ عليك ؟ ألَمْ أفضلْ عليك ؟ ألم أوسع عليك ؟ أو نحوه ـ فيقول : بلى يارب [١٩/ب] فيقول : فماذا عملتَ فيما آتيتُك ؟ فيقول : يا رب ! كنتُ أصِلُ الرَّحِم ، وأتصدَّق وأفعل وأفعل ، فيقول الله له : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت ، بل أردت أنْ يقال : فلانٌ جواد ، فقد قيل ذاك ، اذهبْ فليس لك اليوم عندنا شيء . ويُدعى المقتول ، فيقول الله له : عبدي ، فيم قُتلت ؟ فيقول : يا رب فيك وفي سبيلك ، فيقول الله له : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت بل أردت أنْ يُقال : فلان جريء ، فقد قيل ذاك ، اذهبْ فليس لك اليوم عندنا شيء .

قال أبو هريرة : ثم ضرب رسولُ الله ﷺ بيده على ركبتي ثم قال : يا أبا هريرة ! أولئك الثلاثة أوَّلُ خَلْقِ الله تُسْعَرُ بهم النار يوم القيامة .

قال أبو عثمان : فأخبرني العلاء بن أبي حكيم وكان سيَّافاً لمعاوية ، أنه دخل عليه رجل ـ يعني على معاوية ـ فحدَّثه بهذا الحديث عن أبي هريرة . قال الوليد : فأخبرني عُقبة أنَّ شُفَيًّا هو الذي دخل على معاوية رحمه الله ، فحدَّثه هذا الحديث ؛ قال فبكى معاويةُ فاشتد بكاؤه ، ثم أفاق وهو يقول : صدق الله ورسولُه ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ الحياةَ الدُّنْيا وزِينتَها نُوَفِّ إليهمْ أعمالَهُمْ فيها وهُمْ فيها لا يُبْخَسُون ، أولئكَ الذينَ ليسَ لَهُمْ في الآخرةِ إلاَّ النارُ وَحَبِطَ ما صنَعُوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يعمَلُونَ[1] ﴾ .

---

(١) سورة هود ١٥/١١ و ١٦

٧ ـ العلاءُ بن أبي الزُّبير

ويقال ابنُ الزُّبير الكلابي

من فقهاء دمشق .

حدّث عن أبيه قال :

رأيتُ غلبةَ فارس الرومَ ، ثم رأيتُ غلبةَ الرومِ فارساً ، ثم رأيتُ غلبةَ المسلمين فارساً والروم ، وظهورهم على الشام والعراق ، وكلُّ ذلك في خمس عشرة سنة .

٨ ـ العلاء بن عاصم

أبو السمراء الغسّانيّ

قدم مع عبد الله بن طاهر دمشق وامتدحه .

قال [٢٠/آ] أبو السمراء :

لما توجّه عبدُ الله بن طاهر خارجاً من مصر خرجنا معه ، حتى إذا كُنّا قريباً من دمشق ، إذا نحن بأعرابيٍّ معارضِ العسكر قد سأل عن الأمير فأُرشد إلى ناحيته ، وأنا وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي رِبْعيّ نسايره ، وقد اعتور العسكر بغباره وارتفع ، ونحن مع الأمير ليس فينا إلاّ أفْرَهُ من الأمير دابّةً وأحسنُ بزةً ، فقصدنا الأعرابيُّ وكان شيخاً فيه بقيّةٌ حسنة ، فلمّا رأيناه مقبلاً قلنا : هذا أعرابيٌّ يريدُ الأمير ، فإنْ أتى مسلّماً فردُّوا عليه بأجمعكم ليتبلّدَ في أمْره ، فلا يعرفُ الأميرَ من غيره ؛ فأتى الأعرابي ، ففعلنا به ذلك ، فأشار بيدهِ نحو ابنِ أبي رِبْعيّ ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

أرى كاتباً زَهْوَ الكتابةِ بَيِّنٌ ... عليهِ وتأديبُ العراق كريمُ
وفيه علاماتٌ يشاهدْنَ أنّهُ ... بصيرٌ بتقسيطِ الخَرَاجِ عليمُ[1]

ثم أومى[2] نحو إسحاق بن إبراهيم فقال : [من الطويل]

---

(١) انظر رواية الطبري للبيتين في تاريخه ٦١١/٨ حيث رويت بقافية الأبيات الآتي ذكرها .

(٢) أومى : لغة في أوما .

ومُظْهِرُ نُسْكٍ ما عليه ضميرُهُ ... يحبُّ الهدايا بالرجالِ مَكِيرُ
أظنُّ بهِ بُخْلاً وجُبْناً وشيمةً ... تدلُّ عليهِ إنَّهُ لوزيرُ

ثم أشار إليَّ فقال :

وأنت خليلٌ للأمير ومُؤْنِسٌ ... يكونُ له بالقُرْبِ منكَ سرورُ
إخالُكَ للأشعارِ والعلم راوياً ... فأنت نديمٌ مرَّةً ووزيرُ
أظنُّ بلا شكٍّ بأنَّكَ كاتبٌ ... بصيرٌ بأبواب الرِّشاء خبيرُ

ثم أشار نحو الأمير فقال :

وهذا الأميرُ المرتجى سَيْبُ كَفِّهِ ... فما إنْ لَهُ فيما علمتُ نظيرُ
عليهِ رِداءٌ من وَقَارٍ وهَيْبَةٍ ... ووجهٌ بإدراكِ النجاحِ بشيرُ
كريمٌ له في المَكْرُماتِ سوابقٌ ... على كُلِّ مَنْ يَزْهُو بهم ويطيرُ
ألا إنما عبد الإلهِ بنُ طاهرٍ ... لنا والدٌ في دَهْرِنا وأميرُ

[٢٠/ب] قال أبو السمراء : فضحك الأمير وأمر لَهُ بعشرة آلاف درهم ، وأمرَهُ بلزُومه وصُحْبته[1] .

قال أبو السمراء :

كنتُ عند أبي العباس عبدِ الله بن طاهر ، وليس غيري وأنا بالقرب منه بين يديه ، ودخل أبو الحسن إسحاق بنُ إبراهيم فاستدناهُ لمناجاته ، واعتمد على سيفه وأصغى لمناجاته وحوَّلْتُ وجهي وأنا ثابتٌ مكاني ، وطالتِ النجوى بينهما ، واعترَتْني حَيْرةٌ فيما بين القعود على ماأنا عليه والقيام ، وانقطعا عمَّا كانا فيه ورجع إسحاقُ إلى موقفه ونظر أبو العباس فقال : يا أبا السمراء ، قلت : لبَّيك ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

إذا النجيَّانِ رَسَّا عنكَ سِرَّهما ... فانْزَحْ بسمعك تجهَلْ ما يقولانِ
ولا تُحَمِّلْهُمَا ثِقْلاً لخَوْفهما ... على تناجيهما بالمجلسِ الدَّاني

(١) انظر الخبر والشعر بألفاظ مقاربة في الطبري ٦١١/٨ ، ٦١٢ ، والكامل لابن الأثير ٣٩٧/٦ ، ٣٩٨ .

قال أبو السمراء :

فما رأيتُ أكرمَ منه ولا أرفق تأديباً ! تركَ مطالبتي في هفوتي لحقّ الأمراء فأدّبني تأديبَ النُّظَراء .

ومن شعر أبي السمراء :

فإنْ تَكُ حُمّى الرِّبْعِ شفَّك وِرْدُها ... فعُقْباك منها أنْ يطولَ بك العُمْرُ[1]

وقينـاك لو يُعطى الهوى فيـك والمنى ... لكان بنا الشكوى وكان لك الأجْرُ

٩ ـ العلاءُ بن عبد الوهاب بن أحمد

ابن عبد الرحمن بن سعيد بن حَزْم بن غالب

أبو الخطاب بن أبي المغيرة الأندلسي المَرِيّ

من المَرِيّة[2] . قدم دمشق سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة .

روى عن محمد بن الحسين بن بقاء المصريّ بسنده إلى حفص بن حُميد قال :

دخلتُ على داودَ الطائيّ أسأله عن مسألة ـ وكان كريماً ـ فقال : أرأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب ، أليس يجمع آلته ؟ فإذا أفنى عمرَهُ في جمع الآلة فمتى يُحارب ؟! إنّ العِلْمَ آلةُ العمل فإذا أفنى عمره في جمعه ، فمتى يعمل ؟!

---

(١) الرِّبْع في الحمى : إتيانها في اليوم الرابع ، وذلك أن يحمّ يوماً ويترك يومين لا يُحم ويُحم في اليوم الرابع ، وهي حُمّى رِبْع . اللسان (ربع) .

(٢) المَرِيّة : مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس ، والنسبة إليها كما في تبصير المنتبه ص ١٣٦١ : « المَرِيّيّ » . وضبط في اللباب ٢٠١/٣ بتشديد الراء . وما أثبته المختصر موافق لضبط ابن ماكولا في الإكمال ٣١٥/٧ وياقوت في معجم البلدان ١١٩/٥ .

١٠ ـ العلاءُ بن كثير

أبو سعيد ، [٢١/آ] مولى بني أميَّة

دمشقي .

حدّث عن مكحول ، عن أبي الدرداء وأبي هريرة قالا : قال رسولُ الله ﷺ :

تنتظر النُّفَساء أربعين يوماً إلاّ أنْ ترى الطُّهْرَ قبل ذلك ، فإنْ بلغَتْ أربعين يوماً ولم تر الطُّهْر فلتغتسلْ وهي بمنزلة المستحاضة .

وحدّث عن مكحول عن واثلة وأبي الدرداء وأبي أمامة قالوا سمعنا رسولَ الله ﷺ يقول :

جَنِّبُوا مساجدَكم صبيانكم ومجانينَكم وسلَّ سيوفِكم وإقامةَ حدودِكم ورفعَ أصواتِكم وخصوماتِكم وأجْمِرُوها في الجُمَع ، واجعلوا على أبوابها المطاهر .

وحدّث عن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسولُ الله ﷺ :

من بَرَكةِ المرأةِ تبكيرُها بالأنثى ، أمَا سمعتَ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً ويَهَبُ لِمَنْ يشاءُ الذكور ﴾[1] فبدأ بالإناث قبل الذكور .

وحدث عن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع قال :

أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من أهل اليمن أكسف ، أحول ، أوقص ، أحنف ، أصحم ، أعسر ، أرسح ، أفحج ، فقال : يا رسولَ الله ، أخبِرْني بما فرض اللهُ عليّ ، فلمَّا أخبرَهُ قال : إني أعاهدُ الله أنْ لاأزيد على فريضته ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنه خلقني فشوَّهَ خَلْقي فجعلني أكسفَ أحولَ أصحم أعسر أرسح أفحج . قال : ثم أدبر الرجل ، فأتاهُ جبريل فقال : يا محمد أين العاتب ؟ إنه عاتبَ ربّاً كريماً فأعتبه . قال : قُلْ له : ألا يرضى أن يبعثَهُ الله في صورة جبريل يوم القيامة ؟ قال : فبعث رسولُ الله ﷺ إلى الرجل فقال له : إنك عاتبتَ ربّاً كريماً فأعتبك ، أفلا ترضى أنْ يبعثَك الله يوم القيامة في صورة جبريل ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : فإني أعاهدُ الله أنْ لا يقوى جسدي على شيء من مرضاتِ[2] الله عزَّ وجل إلاّ عملتُه .

كان العلاء بنُ كثير منكرَ الحديث .

---

(١) سورة الشورى ٤٩/٤٢

(٢) كذا في الأصل والتاريخ ، بالتاء المبسوطة .

[٢١/ب]

١١ ـ العلاءُ بن اللجْلاج

قيل : هو أخو خالد بن اللجلاج

حدث عن أبيه قال :

أسلمتُ وأنا ابنُ خمسين سنة . ومات اللجلاج وهو ابنُ عشرين ومئة سنة . قال : [ما][1] ملأتُ بطني منذ أسلمتُ مع رسولِ الله ﷺ ، آكلُ حَسْبي وأشربُ حَسْبي .

وحدّث عن ابن عمر ، عن عائشة رضي الله عنها قالت :

لا أغبِطُ أحداً بهَوْنِ موتٍ بعد الذي رأيتُ من شدّةِ موتِ رسولِ الله ﷺ .

قال العباس بن محمد :

سألتُ يحيى بن مَعين عن القراءة عند القبر فقال : حدثنا مُبَشِّرُ بن إسماعيلَ الحلبيّ ، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ، عن أبيه ، أنه قال لبنيه : إذا أدخلتموني قبري فضعوني في اللحْد وقولوا : باسم الله وعلى سُنّة رسولِ الله ﷺ وسُنُّوا عليَّ التراب سَنّاً[2] ، واقرؤوا عند رأسي أوّلَ البقرة وخاتمتها ، فإني رأيتُ ابنَ عمر يستحبُّ ذلك .

كان العلاء بن اللجلاج ثقة .

١٢ ـ العلاءُ بن المغيرة البُنْدار

كان من صحابة عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وبقي إلى أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

حدث العلاء قال :

كان الوليد زِنْديقاً ، وكان رجلٌ من كلب من أهل الشام ، يقولُ بمقالة الثنويّة ، فدخلتُ على الوليد يوماً وذلك الكلبيُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَط قد رفع رأسه عنه ، وإذا

---

(١) ما بين معقوفين من التاريخ .

(٢) أي ضعوه وضعاً سهلاً . اللسان (سنن) .

ما يبدو منه حريرٌ أخضر ، فقال : يا علاء ادْنُ ، فدنوتُ ، فرفع الحريرة فإذا في السفَط صورةُ إنسان ، وإذا الزِّئْبَق والنوشادر قد جُعلا في جَفْنه ، فجَفْنُه يطرف كأنه يتحرّك ، فقال : يا علاء هذا ماني لم يبعثِ الله نبيّاً قبله ولا يَبْعَث نبيًّا بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ! اتَّق الله ولا [٢٢/آ] يغرَّنَّك هذا الذي ترى من دينك ؛ فقال له الكلبي : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ لك : إنّ العلاء لا يحتملُ هذا الحديث . قال العلاء : ومكث[١] أياماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناءٍ كان بناه في عسكره يشرف منه ، والكلبيُّ عنده ، وقد كان الوليد حمله على بِرْذَوْنٍ هِمْلاجٍ أشقر[٢] من أفْرَهِ ما سُخِّر[٣] ، فخرج على بِرْذَوْنِه ذلك ، فمضى في الصحراء حتى غاب في العسكر ، فما نشعر إلاّ والأعرابُ قد جاؤوا به يحملونه ، متفسِّخةً عنقه ميتاً ، وبِرْذَوْنُه يُقاد ، حتى أسلموه ؛ فبلغني ذلك ، فخرجتُ متعمِّداً حتى أتيتُ أولئك الأعراب ، وكانت لهم بالقرب أبياتٌ في أرض البَخْراء[٤] ، لا حجر فيها ولا مدَر ، فقلتُ لهم : كيف كانت قصّةُ هذا الرجل ؟ فقالوا : أقبل علينا على بِرْذَوْنٍ ، فكأنه دهنٌ يسيل على صَفاةٍ من فَراهيته ، فعجبنا لذلك ! إذ انقضّ رجلٌ من السماء ، عليه ثياب بيض ، فأخذ بضبعَيْه فاحتمله ثم نكسه فضرب برأسه الأرض ، فدقّ عنقه ثم غاب عن عيوننا ، فاحتملناهُ فجئنا به .

١٣ ـ العلاءُ بن الوليد

قال : رأيتُ عمر بن عبد العزيز صلّى على جنازة ، فجلس قبل أن توضع .

وقال العلاءُ أيضاً : رأيتُ عمر بن عبد العزيز أكل بِطّيخاً عليه سكر ، ثم توضّأ وضوءَهُ للصلاة .

---

(١) لفظ ابن عساكر : « ومكثتُ » وكذا في الأغاني ١٣٦/٦ ط بولاق .

(٢) الهملاج : الحسن السير في سرعة ومختزة .

(٣) في الأصل والتاريخ (د ، س) : « سحر » وقد وضع فوقها في الأصل ضبة .

(٤) البخراء : ماءَة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز . انظر معجم البلدان ٣٥٦/١ .

١٤ ـ عيَّاش بن أبي ربيعة ذي الرُّمْحَيْن واسمُه عمرو

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم

أبو عبد الله المخزومي

له صحبة ، وهو الذي دعا له سيدنا رسولُ الله ﷺ في الصلاة .

روى عن النبيِّ ﷺ أنه قال :

إنَّ هذه الأمة لا يزالون بخير ما عظَّموا هذه الحُرْمةَ حقَّ تعظيمها ، فإذا ضيَّعوا ذلك هلكوا . يعني مكة .

[٢٢/ب] وحدَّث عن النبيِّ ﷺ قال :

تجيءُ ريحٌ بين يدي الساعة ، تقبضُ روح كلِّ مؤمن .

وعن نافع قال : سمعتُ عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة ولا أدري عمَّنْ حدَّث قال :

يبعثُ الله ريحاً ليِّنة بين يدي الساعة ، فلا تدَعُ أحداً في قلبه من الخير شيء إلاَّ أماتَتْه .

كان عيَّاش بن أبي ربيعة هاجر إلى المدينة حين هاجر عمر بنُ الخطاب ، فقدم عليه أخواهُ لأمِّه أبو جهل بنُ هشام والحارث بن هشام ، فذكرا له أنَّ أمَّهُ حلفَتْ لا يدخل رأسها دُهْنٌ ولا تستظلّ حتى تراه ؛ فرجع معهما ، فأوثقاهُ رباطاً وحبساهُ بمكة ، فكان رسولُ الله ﷺ يدعو له . وأمُّه وأمُّ عبد الله بن أبي ربيعة أسماء بنت مُخَرِّبَةَ بن جَنْدَل بن أُبَيْر بن نَهْشَل بن دارم ؛ وهي أمُّ الحارث وأبي جهل ابني هشام بن المغيرة . وكان هشام طلَّقها ، فتزوجها أخوه أبو ربيعة ، وندم هشام على فراقِه إيَّاها .

وكان عيَّاش من مهاجرةِ الحبشة ، هاجر إليها هو وامرأتُه أسماء بنت سلمة بن مُخَرِّبة بن جندل ، فولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن عياش ، ثم قدم عياش إلى مكة فلم يزَلْ بها حتى خرج أصحابُ رسولِ الله ﷺ إلى الهجرة إلى المدينة ، فخرج معهم ، وصاحب عمر بن الخطاب ، فلما نزل قُبَاء قدم عليه أخواه لأمِّه ، أبو جهل ، والحارث ابنا هشام ، فلم يزالا به حتى ردَّاهُ إلى مكة ، فأَوْثقاهُ وحبساه ، ثم أُفلت ، فقدم المدينة فلم يزَلْ بها إلى أنْ

قُبض سيِّدُنا رسولُ الله ﷺ ، فخرج إلى الشام ، فجاهد ، ثم رجع إلى مكَّة ، فأقام بها إلى أن مات ، ولم يبرَح ابنُه عبد الله من المدينة .

وكان عيَّاش من المستضعفين ممَّنْ يعذَّبُ في الله ، ودعا النبيُّ ﷺ في القُنوت : اللهمَّ أنجِ عياش بن أبي ربيعة .

وقيل : إنه مات بالشام في خلافة عمر .

[٢٣/آ] وعن عمر بن الخطاب قال :

لمَّا أجمعنا الهجرة اتَّعدتُ أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقلنا : الميعادُ بيننا التَّنَاضِب من أضَاةِ بني غفار[1] ، فَمَنْ أصبح منكم لم يأتها فقد حُبس ، فليمضِ صاحباه ، فأصبحتُ عندها أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وحُبس عنا هشام ، وفُتن فافتتن ، وقدمنا المدينة ، فكنا نقول : ما الله بقابلٍ من هؤلاء توبة ، قومٌ عرفوا الله وآمنوا به ، وصدَّقوا رسول الله ﷺ ثم رجعوا عن الإسلام لبلاء أصابهم من الدنيا ، وكانوا يقولونه لأنفسهم فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ قُلْ يا عبادِيَ الذينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا منْ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ إلى قوله ﴿ مَثْوًى للمُتَكَبِّرين ﴾[2] . قال عمر : فكتبتُها بيدي كتاباً ثم بعثتُ بها إلى هشام ، فقال هشامُ بن العاص : فلمَّا قدِمَتْ عليَّ خرجتُ بها إلى ذي طَوًى[3] ، فجعلتُ أُصعِّد بها وأصوِّبُ[4] لأفهمها ، فقلت : اللهمَّ فهِّمْنيها ، فعرفتُ أنما أُنزلت فينا لما كنا نقولُ في أنفسنا ويقال فينا ، فرجعتُ فجلستُ على بعيري فلحقتُ برسولِ الله ﷺ . فقُتل هشام شهيداً بأجنادين في ولاية أبي بكر .

وقدم على عيَّاش المدنية أخوهُ لأُمِّه أبو جهل بن هشام فقالا له[5] : إنَّ أمَّك قد نذرَتْ

---

(١) التناضب : موضع فوق سَرِف على مرحلة من مكة . وأضاة بوزن حصاة : الغدير . انظر معجم البلدان ٤٧/٢ واللسان وشرح القاموس (أضا) .

(٢) سورة الزمر ٥٣/٣٩ ـ ٦٠

(٣) ذو طَوى : بفتح أوله وقيل بضمه : واد بمكة . معجم ما استعجم ٨٩٦/٣ ومعجم البلدان ٤٥/٤ .

(٤) في الأصل : « وأصوت » بالتاء ، وما أثبتُّه من التاريخ النسخة الأزهرية وسيرة ابن هشام ٤٧٦/١ .

(٥) كذا الأصل والتاريخ (س) وزاد في رواية أخرى له : « أبو جهل بن هشام ورجل آخر معه » وهو الحارث بن هشام كما تقدم في الخبر الذي مضى قبل السابق .

أنْ لا يظلَّها ظلٌّ ولا يَمسَّ رأسها دهن حتى تراك . وفي رواية : إنَّ أمَّك تناشدُكَ رحمها وحقَّها أنْ ترجعَ إليها ، فقال عمر بن الخطاب : والله إنْ يريدانك إلاَّ عن دينك ، ولو قد وجدَتْ أمُّك حَرَّ مكة لقد استظلت ولو قد آذاها القمل لقد امتشطت ؛ فقال : إنَّ لي بمكة مالاً لعلي آخذُه ، فقلت له : لك نصفُ مالي ولا ترجعْ إلى القوم ، فأبى إلاَّ الرجوع ، فقلت له : خُذْ هذه الناقة فإنها ناقةٌ ذَلُول ناجية ، فالزَمْ ظهرها فإنْ رابك القومُ بشيء فانجُهْ ، فخرجوا حتى إذا أتوا [٢٣/ب] قريباً من مكة قال أبو جهل : يا أخي لقد شقَّ على بعيري فأعقبْني على ناقتك فإنها أوطأ من بعيري ، فنزل فلمَّا وقعا إلى الأرض أوثقاه وربطاه ودخلا به مكة ، فقالوا : هكذا يا أهل مكة فافعلوا بسفهائكم . ثم فُتن فافتتن .

وعن أبي هريرة قال :

لَما رفع رسولُ الله ﷺ رأسه من الركعة الثانية من صلاة الصبح قال : اللهمَّ أنجِ الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين بمكة ، اللهمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَر ، واجعَلْها عليهم سنين كسني يوسف .

وعنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو في دبُر كُلِّ صلاة : اللهمَّ خلِّص الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وضعفةَ المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً من أيدي المشركين .

قالوا : ولم يزل الوليدُ بن الوليد بن المغيرة على دين قومه ، وخرج معهم إلى بدر فأُسر يومئذٍ ، أسره عبد الله بن جحش ، ويقال سَليط بن قيس المازني من الأنصار ، فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة ، فتمنَّع عبد الله بن جحش حتى افتكَّاه بأربعةِ آلاف ، فجعل خالد يُريد أن لا يبلغ ذلك ، فقال هشام لخالد : إنه ليس بابن أُمِّك ، والله لو أبى فيه إلاَّ كذا و كذا لفعلت .

ويقال : إنَّ النبيَّ ﷺ أبى أنْ يفديَهُ إلاَّ بِشكَّةِ أبيه الوليد بن المغيرة ، فأبى ذلك خالد وطاع به هشام لأنه أخوه لأبيه وأمِّه ؛ وكانتِ الشَّكَّةُ دِرْعاً فضفاضةً وسيفاً وبيضةً ، فأقيم ذلك مئة دينار ، فطاعا به وسلَّماه . فلما قبض ذلك خرجا بالوليد حتى بلغا به ذا الحُلَيفة ، فأفلتَ منهما ، فأتى النبيَّ ﷺ فأسلم ، فقال له خالد : هلاَّ كان هذا قبل أنْ تُفتدى وتُخرجَ [٢٤/آ] مأثرة أبينا من أيدينا فاتَّبعتَ محمداً إذْ كان هذا رأيك ! فقال : ما كنتُ لأُسلم حتى

أُقتدى بمثل ما افتَدي به قومي ولا تقول قريش إنما اتَّبع محمداً فراراً من الفداء . ثم خرجا به إلى مكة وهو آمنٌ لهما فحبساهُ بمكة مع نفرٍ من بني مَخْزُوم كانوا أقدمَ إسلاماً منه عياش بن أبي ربيعة ، وسلمة بن هشام ، وكانا من مهاجرةِ الحبشة ، فدعا لهما رسولُ الله ﷺ قبل بدر ، ودعا بعد بدرٍ للوليد بن الوليد معهما ، فدعا ثلاث سنين لهؤلاء الثلاثة جميعاً ، ثم أفلت الوليد بن الوليد من الوَثاق ، فقدم المدينة ، فسأله رسولُ الله ﷺ عن عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام فقال : تركتُهما في ضيقٍ وشدَّة ، وهما في وَثاق ، رجْلُ أحدِهما مع رِجْلِ صاحبه . فقال له رسولُ الله ﷺ : انطلقْ حتى تنزلَ بمكة على القَيْن فإنه قد أسلم ، تغيَّبْ عندهُ واطْلُبِ الوصولَ إلى عيَّاشٍ وسلمة فأخبِرْهما أنك رسولُ رسول الله ﷺ بأن تأمرَهما أنْ ينطلقا حتى يخرجا . قال الوليد : ففعلتُ ذلك ، فخرجا وخرجتُ معهما ، فكنتُ أسوق بهما مخافةً من الطلب والفتنة حتى انتهينا إلى ظهر حَرَّةِ المدينة .

وعن الزُّهْرِيّ قال :

كتب رسولُ الله ﷺ إلى الحارث ، ومسروح ونُعيم بن عبد كُلال من حِمْيَر : سِلْمٌ أنتم ما آمنتم بالله ورسوله ، وأنَّ الله وحدَهُ لا شريك له ، بعث موسى بآياته ، وخلق عيسى بكلماته ، قالتِ اليهود : عُزَير ابنُ الله ، وقالتِ النصارى : الله ثالثُ ثلاثة عيسى ابنُ الله . وبعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقال : إذا جئت أرضَهُم فلا تدخُلْ ليلاً حتى تصبح ، ثم تطهَّرْ فأحسِن طُهورَك ، وصلِّ ركعتين ، وسلِ الله النجاحَ والقبول ، واستعذْ بالله ، وخُذْ كتابي بيمينك ، وادفعْهُ بيمينك في أيمانهم ، فإنهم قابلون ، واقرأْ عليهم : ﴿ لَمْ يَكُنِ الذينَ كفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتابِ [٢٤/ب] والْمُشْركينَ مُنْفَكِّينَ ﴾[1] فإذا فرغت منها فقُلْ : آمَنَ محمدٌ وأنا أوَّلُ المؤمنين ، فلن تأتيك حُجَّةٌ[2] إلاَّ دُحِضتْ ، ولا كتاب زُخْرف إلاَّ ذهب نورُه ، وهم قارئون عليك ، فإذا رطَنُوا فقُلْ تَرْجِمُوا وقل حسبيَ الله ﴿ آمنتُ بما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كتابٍ ، وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللهُ رَبُّنا وربُّكُمْ لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم ، لا حُجَّةَ بيننا وبينكم ، اللهُ يَجْمَعُ بيننا وإليه المصير ﴾[3] فإذا أسلموا فَسَلْهُمْ قُضُبَهُمُ الثلاثة

---

(١) سورة البينة ١/٩٨

(٢) في الأصل : « بحجة » وما أثبتُّه من التاريخ وطبقات ابن سعد ٢٨٢/١ .

(٣) سورة الشورى ١٥/٤٢

التي إذا حضروا بها سجدوا وهي من الأُثُل ، قضيبٌ ملمَّع ببياضٍ وصُفْرَة ، وقضيبٌ ذو عُجَر كأنه خَيْزُران ، والأسودُ البَهيم ، كأنه من سَاسَم[1] ، ثم أخرجها فحرَّقها بسوقهم .

قال عيَّاش : فخرجتُ أفعلُ ما أمرني به رسولُ الله ﷺ ، حتى إذا دخلتُ ، إذا الناسُ قد لبسوا زينتهم ، قال : فمررتُ لأنظرَ إليهم ، حتى انتهيتُ إلى ستورٍ عظام على أبوابِ دورٍ ثلاثة ، فكشفتُ الستر ، فأدخل البابَ الأوسط ، فانتهيتُ إلى قومٍ في قاعة الدار ، فقلت : أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ وفعلتُ ما أمرني ، فقبِلُوا ، وكان كما قال ﷺ .

وكان الحارث بنُ هشام ، وعكرمةُ بن أبي جهل ، وعيَّاش بن أبي ربيعة أُثبتوا يومَ اليرموك فدعا الحارث بشراب ، فنظر إليه عكرمة فقال : ادفعوهُ إلى عكرمة فدُفع إليه ، فنظر إليه عيَّاش فقال عكرمة : ادفعوهُ إلى عيَّاش فما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا جميعاً وما ذاقوه .

١٥ ـ عِيَاض بن عمرو الأشعريّ

يقال إنَّ له صُحْبة ، وشهد اليرموك .

عن عامر قال :

مرَّ عياض الأشعريُّ في يومِ عيد فقال : مالي لا أراهم يُقَلِّسون فإنَّه من السُّنَّة !

وفي حديث آخر :

مالي لا أراهم يقلِّسون كما كنا نفعلُ على عهد رسولِ الله ﷺ ! .

[٢٥/آ] سُئل هُشيم عن التقليس:الضرب بالدُّفّ ؟ فقال : نعم .

وعن عياض الأشعري قال :

لمَّا نزلت ﴿ فسوف يأتي الله بقومٍ يُحِبُّهم ويُحِبُّونه ﴾[2] أومى النبيُّ ﷺ إلى أبي موسى فقال : هم قومُ هذا .

---

(١) الساسَم : شجر أسود ، وقيل : هو الآبَنُوس . اللسان (سسم) .

(٢) سورة المائدة ٥٤/٥

وروى عياض الأشعري عن عمر

أنه كان يرزقُ الإماء والخيل .

قال عياض الأشعري :

شهدتُ اليرموك وعلينا خمسة أمراء : أبو عُبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وابن حسَنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض ـ وليس عياض هذا الذي حدَّث ـ قال : وقال عمر : إذا كان قتال فعليكم أبو عُبيدة . قال : فكتبنا إليه أنه قد جاش إلينا الموت ، واستمدَدْناه[1] ؛ فكتب إلينا : إنه قد جاءني كتابُكم تستمدُّوني ، وإني أدلُّكم على مَنْ هو أعزُّ نصراً وأحْضَرُ جنداً ، اللهُ تبارك وتعالى فاستنصِرُوه ، فإنَّ محمداً ﷺ قد نُصر يوم بدرٍ في أقلَّ من عِدَّتِكم ، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني . قال : فقاتلناهم وهزمناهم ، وقتلناهم أربعةَ فراسخ ، قال : وأصبنا أموالاً . قال : فتشاوروا فأشار علينا عياض أنْ نعطيَ عن كلِّ رأسٍ عشرة ؛ قال : وقال أبو عبيدة : مَنْ يراهنّي ؟ فقال له شاب : أنا إن لم تغضبْ ، قال : فسبقه ، فرأيتُ عَقِيصتَيْ أبي عبيدة تَنْقُزَان وهو خلفه على فرسٍ عُرْي .

١٦ ـ عِيَاض بن غُطَيْف[2] الحِمْصيّ

حدث عياض قال :

دخلنا على أبي عبيدة في مرضه الذي مات فيه وعنده امرأته تجيفة[3] ووجهه مما يلي الحائط فقلنا : كيف بات أبو عبيدة ؟ قالت : بات بأجر ، فالتفتَ إلينا فقال : ما بتُّ بأجْر ، فساءنا ذلك وسكتنا ، فقال : ألا تسألوني عمَّا قلت ؟ قلت : ما سرَّنا ذلك فنسألك عنه ، قال [٢٥/ب] : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ أنفق نفقةً فاضلةً في سبيل الله

(١) في الأصل : « واستمدّناه » بإدغام الدال وكذا التاريخ (س) وما أثبتُّه من (د) ومسند أحمد ٤٩/١ . والإدغام قليل شاذ على لغة بكر بن وائل ، انظر شرح الشافية ٢٤٤/٣ ، ٢٤٥ والممتع في التصريف لابن عصفور ٦٦٠/٢ .

(٢) في الأصل : « عطيف » بالعين المهملة ، وكذا في التاريخ ، وما أثبتُّه من الجرح والتعديل ٤٠٨/٦ وتهذيب التهذيب ٢٠٢/٨ و ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣) أشار المصنف إلى من صحَّف اسم تجيفة في ترجمتها في الجزء الخامس ص ٣٢٧ بعد إيراد هذا الخبر ، وإعجامها هنا من الأصل ؛ وجاء في مسند أحمد بتحقيق شاكر ١٤٤/٣ (١٩٥/١) : « تُحَيْفة » ، وفي مجمع الزوائد ٣٠٠/٢ « نحيفة » .

فبسبع مئة ضعف ومَنْ أنفق على نفسه وأهله أو ماز أذًى عن طريق ، أو تصدَّق فبعشر أمثالها ، والصومُ جُنَّةٌ ما لم يَخْرِقْها ، ومَنِ ابتلاهُ اللهُ ببلاءٍ في جسده فهو لَهُ حِطَّة[1] .

١٧ ـ عِياضُ بنُ غَنْمِ بنِ زُهير

ابن أبي شدَّاد بن ربيعة بن هلال ، أبو سعد

ويقال له أبو سعيد الفِهْري

له صحبة وشهد بدراً مع سيِّدنا رسولِ الله ﷺ ، وهاجر الهجرتين وشهد فتوح الشام وكان أميراً باليرموك على بعض الكراديس .

روى عياض بن غَنْم

أنَّ النبيَّ ﷺ قال : لا تأكلوا حُمُرَ الإنسيَّة .

وعن عياض بن غَنْم

أنه رأى نبطاً يُشْمَسونَ في الجزية ، فقال لصاحبهم : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إنَّ الله يُعذِّبُ يومَ القيامةِ الذين يعذِّبون الناس في الدنيا .

روى جماعة قالوا :

جَلد عياضُ بن غَنْم صاحبَ دارا[2] حين فُتحت ، فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب عياض ، ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه ثم قال هشام لعياض : ألم تسمعْ بقولِ رسولِ الله ﷺ : إنَّ من أشدِّ الناس عذاباً أشدَّهم عذاباً في الدنيا للناس . ؟ فقال عياض بن غَنْم : يا هشام ، قد سمعنا ما سمعتَ ورأينا ما رأيتَ ، أو لم تسمعْ رسولَ الله ﷺ إذْ يقول : مَنْ أراد أنْ ينصحَ لذي سلطان بأمْرٍ فلا يَنكِرْ له علانيةً ، ولكن

---

(١) سبق للمختصر أن أورد الخبر بألفاظ مقاربة في ترجمة تحيفة ٣٢٧/٥ من هذا الكتاب ، وانظر المسند ١٩٥/١ .

(٢) دارا : بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين من بلاد الجزيرة ، انظر معجم البلدان ٤١٨/٢ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٦ ، وموقعها اليوم في الجنوب الشرقي من تركية وإلى الغرب الشمالي من القامشلي ، بمحاذاة الحدود السورية الشمالية .

obeikandl.com

ليأخذْ بيده فيخلُوَ به ، فإنْ قبلَ منه فذاك ، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه له . وإنَّك يا هشام لأنت الجريء إذْ تجترئ على سُلطانِ الله ، هلاَّ خشيتَ أنْ يقتلَك السلطان فتكون قتيلَ سلطانِ الله عزَّ وجلّ ! .

[٢٦/آ] روى شَهْرُ بنُ حَوْشَب ، عن عياض بن غَنْم قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

مَنْ شرب الخمر لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعين يوماً ، فإنْ مات فإلى النار ، فإنْ تاب قَبِل اللهُ منه ، فإنْ شربها الثانية لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يوماً ، فإنْ مات فإلى النار فإنْ تاب قَبِل اللهُ منه ، فإنْ شربها الثالثة والرابعة فإنَّ حقّاً على الله أنْ يسقيَهُ من رَدَغَةِ الخَبَال ، قيل : يا رسول الله ! وما رَدَغَةُ الخَبَال ؟ قال : عُصارةُ أهْلِ النار .

هذا حديثٌ غريبٌ منقطع ، وشَهْرٌ لم يسمعْ من عياض .

وشهد عياض بن غَنْم بدراً وأحُداً والخندق والمشاهد كُلَّها مع سيدِنا رسولِ الله ﷺ ولم يُعْقِب ، وكان رجلاً صالحاً سَمْحاً ، وكان بالشام مع أبي عبيدة بن الجرَّاح ، فلما حضرَتْ أبا عبيدة الوفاة ولَّى عياضَ بن غَنْم الذي كان يليه .

قال عمرُ بن الخطاب : مَنِ استخلف أبو عبيدة على عمله ؟ قالوا : عياضَ بن غَنْم فأقرَّه وكتب إليه : إني قد ولَّيتُكَ ما كان أبو عبيدة يليه ، فاعْمَلْ بالذي يُحِقُّ اللهُ[1] عليك . ورزق عمر عياض بن غنم حين ولاَّه جندَ حمص كلَّ يومٍ ديناراً وشاةً ومُدَّين[2] ، ولم يزَلْ عياض والياً لعمر على حمص حتى مات ، ومات وماله مال ، ولا عليه دَيْنٌ لأحد .

وقيل : كان عياضٌ ابنَ امرأةِ أبي عبيدةَ بنِ الجرَّاح[3] . وحضر عياض فتحَ المدائن مع سعد بن أبي وقاص ، وفتَح بعد ذلك فتوحاً كثيرة ببلاد الشام ونواحي الجزيرة ، وكان عياض يوم اليرموك على كُرْدُوس ، ومن شعره : [من الكامل]

---

(١) في الأصل : « لله » وما أثبتُّه من التاريخ وطبقات ابن سعد ٣٩٨/٧ .

(٢) لفظ ابن سعد في الطبقات ٣٩٨/٧ : « ومدًّا » .

(٣) فوق الكلمة في الأصل إشارة لَحَق ، وأُثبت في الهامش ما نصه : « وقال في موضع آخر عنه : واستخلف خاله وابن عمه عياض بن غنم » . قلتُ : لعلّ عبارة الطبري في تاريخه ٢٨٨/٤ أوضح حيث قال : « لما حُضر أبو عبيدة استخلف على عمله عياض بن غنم - وهو خاله وابن عمه - ... » ، وانظر تاريخ أبي زرعة ٢١٨/١ ففيه تصحفت كلمة « خاله » إلى « خالد » .

مَنْ مبلغُ الأقوام أنَّ جموعَنا ... حَوتِ الجزيرةَ يومَ ذاتِ زِحامِ
جمعوا الجزيرةَ والغياثَ فنَفَّسُوا ... عَمَّنْ بحمصَ غيابةَ القُدَّامِ
إنَّ الأعزَّةَ والمكارم معشرٌ ... فَضُّوا الجزيرةَ عن فراخِ الهامِ
غلبوا الملوكَ على الجزيرة فانتهَوْا ... عن غَزْوِ مَنْ يأوي بلادَ الشامِ[1]

[٢٦/ب] قال ابن إسحاق :

وفي سنة تسعَ عشرةَ كتب عمر إلى سعد بن أبي وقَّاص ، أن ابْعَثْ جنداً إلى الجزيرة وأمِّرْ عليهم أحد الثلاثة : خالد بن عُرْفُطَة ، أو هاشم بن عُتْبَة ، أو عياض بن غَنْم ؛ فلمَّا انتهى إلى سعد كتابُ عمر قال : ما أُخِّر أميرُ المؤمنين عياضاً إلاَّ أن له فيه هوًى أنْ أولِّيه ، وأنا مولِّيه . فبعثه وبعث معه أبا موسى وابنَةَ عمر بن سعد ـ وهو غلامٌ حدَثُ السِّن ، ليس له من الأمر شيء ـ وعثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفيِّ ، في سنة تسع عشرة ؛ فخرج عياض إلى الجزيرة ، فنزل بجندِه على الرُّها[2] فصالحه أهلُها على الجِزْيَة وصالحت حرَّان[3] حين صالحت الرُّها ، ثم بعث أبا موسى إلى نَصيبين ووجَّه عمر بن سعد إلى رأس العين[4] في خيلٍ رِدْءاً للناس ، وسار بنفسه في بقيَّة الناس إلى دارا[5] فافتتحها ، وافتتح أبو موسى نَصيبين ، وذلك في سنةِ تسعَ عشرة ؛ ثم وجَّه عثمان بن أبي العاص إلى أَرْمِينِيَة الرابعة ، فكان

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٥٤/٤ ، ٥٥ ومعجم البلدان (جزيرة) ١٣٥/٢ وفيه « الغياب » ، والمثبت من الأصل وتاريخ الطبري ، وأظنُّه « الغَاب » بالعين المهملة المضمومة والنون وباء موحدة في آخره ، موضع مابين بلاد يشكر وبلاد بني أسد . انظر معجم مااستعجم ٩٧٢/٣ ، ومعجم البلدان ١٥٩/٤ .

(٢) الرُّها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، بينها ستة فراسخ ، انظر معجم البلدان ١٠٦/٣ وظلت تعرف بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) فإنها بعد انتقالها إلى أيدي الترك العثمانيين عُرفت باسم « أورف » وقيل إن هذا الاسم تحريف « الرها » العربي ، انظر بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥ . وموقعها اليوم في الجنوب الشرقي من تركية شمالي تل أبيض على بضعة أميال من الحدود السورية الشمالية .

(٣) حرَّان : مدينة عظية مشهورة ، من الجزيرة ، وهي قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان . وهي على طريق الموصل والشام والروم ؛ انظر معجم البلدان ٢٣٥/٢ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٤ . وموقعها على نهر البليخ في الجنوب الشرقي من تركية وإلى الشمال الشرقي من تل أبيض ، قريبة من الحدود السورية .

(٤) نصيبين مضى تعريفها ص ٦ ح ٣ ، ورأس العين من مدن الجزيرة أيضاً ، انظر معجم البلدان ٢٨٨/٥ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥ ، وهي محاذية للحدود السورية التركية وإلى الشمال الشرقي من الرقة .

(٥) مضى تعريف دارا ص ٦٠ ح ٢ .

عندها شيءٌ من قتال ، أُصيب فيها صفوانُ بن المعطَّل شهيداً ، ثم صالح عثمان بن أبي العاص أهلها على الجزية ، على أهل كل بيت دينار .

ولما وجَّه أبو عبيدة عياض بن غَنْم إلى الجزيرة يقال إنه وجَّه خالد بن الوليد إلى الجزيرة ، فوافق أبا موسى قد افتتح الرُّها وسُمَيْساط[1] ، فوجَّه خالدٌ أبا موسى وعياضاً إلى حرَّان ، فصالحا أهلها ، ومضى خالدٌ إلى نَصِيبين فافتتحها ثم رجع إلى آمِد[2] ، فافتتحها صُلْحاً وما بينهما عَنْوةً .

وحدَّث شيخٌ من أهل الجزيرة :

أنَّ عياض بن غَنْم ولي صلح هذه المدن وغيرَها من الجزيرة ، وكتب لهم كتاباً هو اليوم عندهم باسم عياض ، ثم عُزل وتولَّى حبيبُ بن مَسْلَمة الفِهْري . ولمَّا توفي أبو عبيدة واستخلف على عمله عياضَ بن غنم ، وأقرَّه عمر على ذلك ، كتب إليه كتاباً طويلاً يأمُرُه فيه وينهاه ، وكان [٢٧/آ] عياض رجلاً سمحاً ، وكان يعطي ما يملِكُ لا يعدوهُ إلى غيره ، لربما جاءه غلامُه فيقول : ليس عندنا ما تتغدَّوْن به ، فيقول : خُذْ هذا الثوب فبِعْهُ الساعة فاشتر به دقيقاً ، فيقال له : سبحان الله ! أفلا تقترضُ خمسة دراهم من هذا المال الذي في ناحية بيتك إلى غدٍ ولا تبيعُ ثوبَك ! فيقول : والله لأنْ أُدخلَ يدي في جُحْرِ أفعى فتنالَ مني ما نالت أحبُّ إليَّ من أنْ أُطمعَ نفسي في هذا الذي تقول . فلا يزالُ يدافعُ الشيءَ بالشيء حتى يأتيَ وقتُ رزقه فيأخذَهُ فيتوسَّع فيه ؛ فَمَنْ أدركه حين يأخذُ رزقَهُ غَنِم ، ومَنْ تركه أياماً لم يجدْ عنده درهماً . فكَلَّم عمر بن الخطاب في عياض أشدَّ الكلام وقيل له : إنه رجلٌ يُبذِّرُ المال لا يمسكُ في يده شيئاً ، وإنما عزلتَ خالد بن الوليد لأنه كان يُعطي الناسَ دونك ! فقال عمر : إنَّ سماحَ عياض في ذاتِ يده حتى لا يُبقي منه شيئاً ، فإذا بلغ مالَ الله لم يُعطِ منه شيئاً ، مع أني لم أكُنْ لأعزلَ أميراً أمَّرَهُ أبو عبيدة بن الجرَّاح . وأبى إلاَّ توليتَه . فرأى من عياض كلَّ ما يُحب .

---

(١) سميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ؛ انظر معجم البلدان ٢٥٨/٣ وعند هذه المدينة ينحرف النهر إلى الغرب ؛ انظر بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٠ . وموقعها اليوم إلى الشمال الغربي من الرها التي مضى تعريفها في الحاشية (٢) من الصفحة السابقة .

(٢) آمد : أعظم مدن ديار بكر ، بلد حصين قديم ، على نشز دجلة ، محيط بأكثره ، مستديرة به كالهلال . انظر معجم البلدان ٥٦/١ تقع اليوم في الجنوب الشرقي من تركية وتسمى ديار بكر . وانظر بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٠ .

وكان افتتاحُ الجزيرة والرُّها وحَرَّان على يديه سنة ثمان[1] عشرة ، وصالَحَهم وكتب بينهم كتاباً ، ووضع الخراج على الأرض فكان ينظر إلى الأرض وما تحمل فيضعُ عليها ، ومنها أرضٌ عُشْر لا يجاوزُ بهِ غيرَه ، وأبطأ بالخراج عن وقته ، فكتب إليه عمر بن الخطاب :

إنك قد أبطأتَ بالخراج عن وقته ، وقد عرفتَ موقعَ الخراجِ من المسلمين ، وأنه قوةٌ لهم على عدوِّهم ، ولفقيرهم وضعيفهم ، وقد عرفتَ الموضعَ الذي أنا به ومَنْ معي من المسلمين ، إنما هو كَرِشٌ مَنْشُور[2] ، فاجدَّ في أخذ الخراج في غير خَرَقٍ ولا وَهْنٍ عنهم .

فلمَّا جاءه كتابُ عمر أخذَهم بالخراج أشدَّ الأخْذ ، حتى أقامهم في الشمس ونال منهم ، ثم جمع الخراجَ في أيام ، فحمله إلى عمر رضي الله عنه .

[٢٧/ب] ولَّما ولي عياضُ بن غَنْم قدم عليه نفَرٌ من أهل بيته يطلبون صِلَتَه ومعروفه ، فلقيهم بالبِشر وأبرَّ لهم وأكرمهم ، فأقاموا أياماً ، ثم كلَّموه في الصِّلَة وأخبروهُ بما تكلَّفوا من السفر إليه رجاءَ معروفِه ، فأعطى كلَّ رجلٍ منهم عشرة دنانير ، وكانوا خمسة ، فردُّوها وتسخَّطُوا ونالوا منه ، فقال : أي بني عمّ ، والله ما أنكر قرابتكم ولا حقَّكم ولا بُعدَ شُقَّتِكم ، ولكنْ ما خلصتُ إلى ما وصلتُكم به إلاَّ ببيعِ خادمي وبيعِ مالا غنًى بي عنه ، فاعذرُوني : قالوا : ما عذرك الله ، إنك والي نصفِ الشام وتعطي الرجل منا ما جهده أنْ يبلغَهُ إلى أهله . قال : فتأمروني أسرق مالَ الله ! فوالله لأنْ أُشقَّ بالمنشار ، وأُبْرى كما يُبرى السَّفَن[3] أحبُّ إليَّ من أنْ أخونَ فَلْساً ، أو أتعدَّى وأحملَ على مسلمٍ ظُلْماً أو على معاهد ! قالوا : قد عذَرْناكَ في ذاتِ يدك ومقدرتك ، فولِّنا أعمالاً من أعمالك نؤدِّي ما يُؤدِّي الناسُ إليك ، ونُصيبُ مما يُصيبون من المنفعة ، فأنت تعرفُ حالنا وأنَّا ليس نَعْدُو ما جعلتَ لنا ؛ قال : إني لأعرفكم بالفضل والخير ، ولكنْ يبلغُ عمرَ بنَ الخطاب أني ولَّيتُ

---

(١) كذا بحذف الياء من « ثماني » وهو جائز كما في شرح الكافية ١٥٣/٢

(٢) في اللسان : كَرِشُ الرجل : عياله من صغار ولده ، ويقال : عليه كرش منثورة : أي صبيان صغار .

(٣) السَّفَن : الفأس العظيمة ، وقطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة ، يُسحج بها القِدْح حتى تذهب عنه آثار المبراة ؛ وقيل : كلُّ ما ينحت به الشيء ويُليَّن من فأس أو قدوم أو حجر أو جلد خشن . اللسان والمعجم الوسيط (سفن) .

نفراً من قومي فيلومني في ذلك ، ولستُ أحتِلُ أنْ يلومَني في قليلٍ ولا كثير ؛ قالوا : فقد ولاكَ أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح وأنت منه في القرابةِ بحيث أنت ، فأنفذ ذلك عمر ، ولو ولَّيتنا فبلغ عمر أنفذَهُ ؛ فقال عياض : إني لستُ عند عمر بن الخطاب كأبي عُبيدة ، وإنما أنفذ عمرُ عهدي على عملٍ لقولِ أبي عُبيدة فيّ ، وقد كنتُ مستوراً عند أبي عُبيدة فقال فيّ ، ولو علم منّي ما أعلم من نفسي ما ذكر ذلك عني . فانصرف القوم لائمين لعياض بن غَنْم . ومات عياض ومالَهُ مالٌ ولا عليه دَيْنٌ لأحد .

حدَّث جماعةٌ قالوا :

كان عمر إذا بعث عُمَّالَهُ يشترطُ عليهم ألاَّ يتخذوا على المجالس [٢٨/أ] التي يجلسون فيها للناس باباً ، ولا يركبوا البَرَاذين ، ولا يَلْبَسُوا الرِّقاق ولا يأكلوا النَّقِيَّ[١] ، ولا يغيبوا عن صلاة الجماعة ، ولا يُطمعوا فيهم السُّعَاة . فمرَّ يوماً من طريقٍ من طُرُقِ المدينة ، وفي ناحيتِهِ رجلٌ يسأل ، فقال : أبشِرْ يا عُمَرُ بالنار ! قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : تستعملُ العمَّال وتعهدُ إليهم عهدَك ، ثم ترى أنَّ ذلك قد أجزأك ! كلا والله إنك لمأخوذٌ إذا لم تَتَعاهَدْهم . قال : وما ذاك ؟ قال : عياضُ بن غَنْم يَلْبَسُ اللَّيِّن ويفعل ويفعل ، فقال : لساعي[٢] ؟ قال : بل مؤدي[٢] الذي عليه ، فبعث إلى محمد بن مَسْلَمة ، أنِ الْحَقْ بعياض بن غَنْم فَأْتِني به كما تجدُه ؛ فانتهى إلى بابه ، وإذا عليه بوَّاب فقال له : قل لعياض : على البابِ رجلٌ يريدُ أن يلقاك ، قال : ماتقول ؟ قال : قل لَهُ ما أقول . فذهب كالمتعجِّب ، فأخبره ، فعرف عياض أنه أمْرٌ حدَث ، فخرج فإذا محمد فرحَّب به وقال له : ادْخُلْ . فإذا عليه قميص رقيق ليِّن ، فقال : إنَّ أمير المؤمنين أمرني أنْ لا يفارقَ سوادي سوادَك حتى أذهبَ بك كما أجدُك ؛ ونظر في أمره فوجد الأمْرَ كما حدَّثه السائل .

فلمَّا قدم به على عمر وأخبره دعا بدِرَّاعةٍ[٣] وكيساً وحذاءً[٤] وعصا وقال : أخرجوه من ثيابه ؛ فأُخرج منها ، وألبسه ذلك وقال : انطلقْ بهذه الغنم فأحْسِنْ رِعْيَتها وسقيها والقيامَ

---

(١) النقي : خبز الحُوَّارى المصنوع من الدقيق الأبيض . اللسان (نقي) .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (د) ، وإلى جانب السطر في الأصل (ط) . قلت : لعل فيه سقطاً والتقدير : « إنك لساعٍ » ، وإثبات ياء المنقوص هنا جائز ، انظر شرح الشافية ٣٠١/٢

(٣) الدراعة : ثوب من صوف ، أو جبة مشقوقة المقدَّم . المعجم الوسيط (درع) .

(٤) كذا الأصل .

عليها ، واشرَبْ من ألبانها واجتزَّ من أصوافها وارفق بها ، فإنْ فضَلَ شيءٌ فارْدُدْه علينا . فلمَّا مضى ردَّه ، قال : أفهمت ؟ قال : نعم ، والموتُ أهونُ من هذا ! قال : ولِمَ كذبتَ ؟ ولكن تَرْكُ الفخر أهون من هذا ؛ ثم قال له : هل تدري لِمَ سَمّي أبوك غَنْماً ؟ إنه كان راعيَ غَنَم ، فأنت خيرٌ من أبيك ، ففعل به ذلك مرَّتين ثم قال : أفرأيتَ إنْ رددتُكَ أتراهُ يكونُ فيك خير ؟ قال : نعم والله يا أمير المؤمنين ، فلا يبلغنَّكَ عني شيءٌ بعد هذا . فردَّه فلم يبلَغْهُ عنه شيءٌ إلاَّ ما أحَبَّ حتى مات ؛ وقال عمر : ما استخلفَهُ أبو عبيدةَ إلاَّ وهو صالح .

[٢٨/ب] ومات عياض بن غَنْم بالشام سنة عشرين وهو ابنُ ستين سنة وفي هذه السنة مات بلال مؤذِّنُ سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ بدمشق .

وقيل : مات عياض سنة ثلاثين وهو وَهْم .

١٨ ـ عياض بن مسلم الكاتب

كان كاتبَ الوليدِ بن يزيد بن عبد الملك ، حبسَهُ هشام بن عبد الملك ، فضربه وألْبَسه المُسوح ، فلم يزل محبوساً حتى مات هشام ؛ ولما ثَقُلَ هشام وصار في حدٍّ لا تُرجى لمن كان في مثله الحياة ، فرهِقَتْهُ غَشْيَةٌ وظنُّوا أنه قد مات ، فأرسل عياضُ بن مسلم إلى الخُزَّان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يَصِلنَّ أحَدٌ إلى شيء . وأفاق هشام من غشيته ، فطلبوا من الخُزَّانِ شيئاً فمنعوهم فقال هشام : أرانا كنَّا خُزَّاناً للوليد . ومات هشام من ساعته ، فخرج عياض من الحبس ، فختم على الأبواب والخزائن ، وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ، ومنعهم أنْ يكفِّنوه من الخزائن فكفَّنه غالب مولى هشام ، ولم يجدوا قُمْقُماً يسخِّنَ فيه الماء حتى استعاروه ، فقال الناس : إنَّ في هذا لعبرةً لمن اعتبر .

١٩ ـ عيسى بن إبراهيم

أبو نوح الكاتب

كان من كتاب المتوكل الذين قدموا معه دمشق . قيل إنه كان على المطبخ والحرس ، وكان يكتبُ للفتح بنِ خاقان ، وامتدحَهُ البُحْتريُّ وهو عليل فأنشده من قصيدة :

[من البسيط]

إذا اعْتَلَلْتَ دَمَمْنا العيشَ وهو نَدٍ ... طَلْقُ الجَوَانِب ضافٍ ظِلُّهُ رَغَدُ

لو أنَّ أنْفُسَنا اسْطَاعَتْ وُقِيتَ بها ... حتى تكونَ بنا الشكوى التي تَجِدُ[1]

فقال له أبو نوح : يا أبا عُبادة ، ما سمع شيئاً حسناً حتى نراك ، وقد أمر لك [٢٩/آ] الأمير ـ يعني الفتح ـ بمئتي دينار ، وقد أضفتُ إليها مئةً لأني لستُ مثلَه . فأخذها وانصرف .

ومن شعر البحتريّ في أبي نوح : [من الكامل]

وأخٍ لَبِسْتُ العيشَ أخضرَ ناضراً ... بكريمِ عشرتِهِ وفَضْلِ إخائِهِ

ما أكثرَ الآمالَ عندي والمُنَى ... إلاَّ دفاعُ اللهِ عن حَوْبائِهِ !

وعلى « أبي نُوحٍ » لباسُ محبَّةٍ ... تُعطيهِ مَحْضَ الوُدِّ من أعدائِهِ

تُنْبي طلاقَةُ بِشْرِهِ عن جودِهِ ... فتكادُ تَلْقى النُّجْحَ قبلَ لقائِهِ

وضياءُ وجْهِهِ لو تأمَّلَهُ امرؤٌ ... صادِي الجوانحِ لارْتَوى من مائِهِ[2]

ضَرب أحمدُ بن إسرائيل وأبو نوح عيسى بن إبراهيم على باب العامة بالسياط ، كلُّ واحدٍ خمس مئة ، وحُملا إلى منزلِ محمد بن علي السَّرْخَسيّ فمات أحمد بن إسرائيل في الطريق ، ومات عيسى بن إبراهيم في دار السَّرْخَسيّ . وكان سببُ ذلك أنهما كلَّما صالحَ بن وصيف بحضرةِ المعتز كلاماً أوحشه ، فلما قُتل المعتز وبويع المهتدي وصار صالح حاجبَهُ فعل بهما ذاك ، وقيل : كان ذلك سنة خمسٍ وخمسين ومئتين .

---

(١) البيتان في ديوان البحتري ص ٤٩٧ .

(٢) الأبيات في الديوان ص ٢٤ .

٢٠ ـ عيسى بن إبراهيم بن عبد ربِّه بن جَهْوَر

أبو القاسم القيسي الأندلسي الإشْبِيلي

قدم دمشق سنة خمسٍ وخمسِ مئة ، راجعاً من العراق .

حدَّث عن أبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني بسنده إلى عبد الله بن عمر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

يُهِلُّ أهلُ المدينة من ذي الحُلَيفة ، ويهلُّ أهل الشام من الجُحْفَة ، ويهلُّ أهلُ نَجْد من قَرْن .

٢١ ـ عيسى بن إدريس بن عيسى

أبو موسى البغدادي

حدَّث بدمشق .

روى عن محمد بن عبد الله المَخْزوميِّ بسنده إلى أبي أمامة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

كلابُ أهلِ النار الخوارج .

توفِّي عيسى بن إدريس سنة ست وثلاثِ مئة ، وكان صدوقاً .

٢٢ ـ عيسى بن أزهر [٢٩/ب]

أبو القاسم يعرف ببُلْبُل

حدَّث بدمشق سنة سبعٍ وثمانين ومئتين عن عبد الرزاق بن همام بسندهِ إلى ابن عباس قال :

مشيتُ وعمرَ بن الخطاب في بعضِ أزقَّةِ المدينة فقال لي : يا بن عباس أظنُّ القوم استصغروا صاحبَكم إذْ لم يُوَلُّوه أمورَكم . فقلت : والله ما استصغرَهُ الله إذِ اختاره لسورةٍ يراهُ

يقرؤها على أهل المدينة[1] ، فقال لي : الصواب تقول ، والله لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لعلي بن أبي طالب : مَنْ أحبَّكَ أحبني ، ومن أحبَّني أحبَّ الله ، ومن أحبَّ الله أدخله الجنة مُدِلاً .

قال المصنِّف :

هذا إسنادٌ معروف ومَتْنٌ منكر ، وبُلْبُل هذا غير مشهور ، ورجالُ الإسناد سواه مشاهير ، وعبد الرزاق يتشيَّع .

٢٣ - عيسى بن أيُّوب

أبو هاشم القَيْني الأَزْدي[2]

حدث عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بسنده إلى أبي سعيد الخُدْريِّ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إنَّ أهلَ الدرجاتِ العُلا من الجنة ليراهم مَنْ أسفلَ منهم كما تَرَوْنَ الكوكبَ في أُفقِ السماء وإنَّ أبا بكر وعمر لمنهم ، وأنْعَما . يقول : وحُق لهما[3] .

وحدث عيسى بن أيوب قال :

قوله : التصفيح للنساء ؛ أنْ تضرب بأصبعين من يمينها على كفِّها اليسرى[4] .

وكان لعيسى بن أيوب زُهْدٌ وورَعٌ وفضل .

---

(١) في الأصل فوق (المدينة) ضبة ، وإلى جانب السطر في الهامش ما نصه : « ظاهره مكة » .

(٢) يقول مغلطاي في نسبته : إن الأزد والقين لا يجتمعان . انظر تهذيب التهذيب ٢٠٧/٨ .

(٣) وفي اللسان : أي زادا وفَضَلا . انظر اللسان (نعم) .

(٤) يعني إذا سها الإمام في الصلاة وكانت خلفه امرأة نبَّهَتْه بفعلها ذلك . وهذا في حديث الصلاة : التسبيح للرجال والتصفيح للنساء . اللسان (صفح) .

obeikandl.com

٢٤ ـ عيسى بن جعفر

أبو موسى البغدادي ، الورَّاق

حدّث عن أبي بدر شجاع بن الوليد بسنده إلى أبي هريرة قال :

جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، النُّقْبَة تكون بِشِقِّ البعير أو بعَجُبِه فتشتمِلُ الإبلَ كُلَّها جَرَباً ! قال : فقال النبيُّ ﷺ : [٣٠/آ] فَمَنْ أعدى الأوَّل ؟ ثم قال : لا عَدْوَى ولا هامَةَ ولا صَفَر[1] ، خلق اللهُ كُلَّ نفسٍ فخلق حياتَها ومصيباتِها ورِزْقَها .

حدث عن قَبِيصة بن عقبة بسنده إلى عثمان ، عن النبيِّ ﷺ :

خَيْرُكم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه .

كان أبو موسى من أفاضل الناس وشجعان المجاهدين ، مع وَرَعٍ وعَقْلٍ ومعرفة ، وحديثٍ كثيرٍ عالٍ ، وصدْقٍ وفَضْل .

توفِّي أبو موسى سنة اثنتين وسبعين ومئتين .

٢٥ ـ عيسى بن أبي الخَيْر حمَّاد

ابن عبد الله التِّيناتيّ

أحد الصالحين .

سأل بعضُ الفقراء عيسى بن أبي الخير في جامع دمشق فقال : احْكِ لنا حكايتَكَ مع والدك حين طلبتَ منه الخبز ؛ فقال : كنتُ صبيّاً فطلبتُ من والدي الخبز فقال : أيّما أحبُّ إليك ، أعطيك الخبز وتكون عند السَّبُع ، أو تكون عندي بلا خبز ؟ فقلتُ في نفسي : هو

---

(١) الهامة : الصداء ، وهو طائر كبير يضعف بصره بالنهار ، ويطير بالليل ويصوت فيه ، ويقال له بوم ، والناس يتشاءمون بصوته ؛ ومن زعمات العرب أن روح القتيل الذي لا يدرك ثأره تصير هامة فتبدو وتقول اسقوني ، فإذا أدرك ثأره طارت . والصفر : حيّة تكون في البطن تصيب الحاشية والناس ، وهي أعدى من الجرب عند العرب . (المناوي في فيض القدير ٤٢٤/٦) وانظر اللسان (صفر) .

obeikandl.com

والدي ولا يطيبُ قلبُه أنْ يتركني مع السَّبُع ، فقلت : أعطني الخبز واحبسني حيث شئت ، فأعطاني الخبز ، فلمَّا أكلتُ قال : قُمْ ، فقلت : تُرى يحملني إلى السَّبُع ؟ ! فقمتُ معه ، فدخل الغابة وأنا خلفه ، فإذا بسبعَيْن ، فلمَّا بَصُرا به قاما ، فقال لي اجلِسْ ، فجلست ومضى هو ، وربض السبعان ، فكنتُ أرجفُ من الخوف ، ثم سكنتُ وقلت : لو أراد أبي أمْراً لكانا قد فعلا ، ثم خطر لي أنه وكَّلهما بحفظي ، فبَقِيتُ إلى قريب المغرب هناك ، فلمَّا صار قربَ العشي جاء والدي ، فلمَّا بَصُرا به قاما ، فأخذ بيدي وأخرجني وخرج كلٌّ واحد منهما إلى جانب .

٢٦ - عيسى بن خُذَابَنده بن أبي عيسى

واسم أبي عيسى عبد الله ، أبو موسى الأَذَريّ

حدث عن صالح بن حكيم التمّار بسنده إلى أبي أُمَامة قال : قال رسول الله ﷺ :

[٣٠/ب] لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الإسلامِ عُرْوَةً عُرْوَة ، فكلَّما نُقِضَتْ عروةٌ نَشِبَتْ بأخرى[1] ، وأوَّلُهم نَقْضاً الحُكْم ، وآخِرُهم الصلاة .

تُوفي قبل سنةِ ثلاث مئة .

٢٧ - عيسى بن خالد

أبو عبد الله القرشيُّ اليماني[2]

حدث عن أيُّوب بن عُتْبَة اليمامي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عُبيد بن عُمير ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

الكبائرُ تسع : الإشراكُ بالله ، وقَتْلُ النفسِ المؤمنة ، وقَذْفُ المُحْصَنَة ، والفِرارُ من

---

(١) وفي رواية : « تشبُّث الناس بالتي تليها » انظر فيض القدير للمناوي ٢٦٣/٥ .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (د) و (س) ، والصواب : « اليامي » نسبةً إلى اليمامة ، وهو ما أثبته ابن عساكر في سند الحديث الآتي ذكره ، وكما في تاريخ أبي زرعة ٦٢٢/١ والجرح والتعديل ٢٧٥/٦ .

الزَّحْف ، والسِّحْر ، وأَكْلُ مالِ اليتيم ، وعُقوقُ الوالدين المسلمَيْن ، والإلْحادُ بالبيت الحرام قِبْلَتِكم أحياءً وأمواتاً[1] .

وكان عيسى بن خالد ثقةً ، مَحَلُّه الصدق .

٢٨ ـ عيسى بن سنان

أبو سنان الحَنَفيّ القَسْمَليُّ الفِلَسْطيني

يُعرف بصاحبِ عمر بن عبد العزيز

حدث قال :

دفنتُ ابني[2] سناناً وأبو طلحة الخَوْلاني على شَفِير القبر ، فلمَّا أردتُ الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال : ألا أُبَشِّرُك ؟ حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عَرْزَب[3] عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسولُ الله ﷺ : إذا مات ولَدُ العبد قال اللهُ عزَّ وجلَّ للملائكة قبضتم ولد عَبْدي ؟ قالوا نعم ، قال : فما قال ؟ قالوا : استرجعَ وحمِدَك ، قال : ابْنُوا لَهُ بيتاً في الجنَّة وسمُّوهُ بيتَ الحَمْد .

وحدَّث عن الضحاك بن عَرْزَب ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال :

مَنْ ماتَ في بيتِ المقدس فكأنما مات في السماء .

وحدَّث عن يعلى بن شدّاد قال : سمعتُ عبادة بن الصامت يقول :

عادني رسولُ الله ﷺ في نفَرٍ من أصحابه فقال : هل تدرون مَنِ الشهداءُ من أُمتي ؟ مرَّتين أو ثلاثاً ـ فسكتوا ، فقال عُبَادة : أجيبوا رسولَ الله ﷺ ، فقال : القَتْلُ[4] في سبيل الله شهيد ، والمَبْطُونُ شهيد ، والنُّفَساءُ شهيد ، يجرُّها [٣١/آ] ولَدُها بسَرَرِهِ إلى الجنة .

---

(١) سقط منه : « وأكْل الرِّبا » انظر سنن أبي داود كتاب الوصايا ١١٥/٣ ، ١١٦ وتفسير القرطبي ١٦٠/٥ وفيض القدير ٦٢/٥ .

(٢) في الأصل : « أبي » تصحيف ، وما أثبتُّه من تاريخ ابن عساكر (د) و (س) .

(٣) قال ابن حجر في تقريب التهذيب : الباء من (عرزب) قد تبدل ميماً .

(٤) كذا في الأصل والتاريخ (د ، س) ، ولعل الصواب « القتيل » .

قال أبو سنان :

كنتُ في نفَرٍ عند عمر بن عبد العزيز ، فأُتي بطعامٍ من هذه الحبوب ، ثم أُتي بطَبَقٍ من تَمْر فقال للجارية : من أين هذا التمر ؟ فذهبت الجارية إلى فاطمة فسألتها من أين هذا التمر ؟ قالت بُعث إلينا من أرضنا بالمدينة ، فإنْ شئتَ فكُلْ وإنْ شئتَ فدَعْ . فسألوا جاريته قالوا : ماطعامه ؟ قالت : نحو ماترون .

قال أبو سنان :

بعث معي عمارة بن نُسَيّ إلى عمر بسلتين من رُطَب ، أول ماجاء الرطب ، فأتيته بها فقال : على ما[1] جئتَ بها ؟ قلتُ على دوابّ البريد ، قال : فاذهَبْ فبِعْها ، فذهبتُ فبعتُها بثلاثةَ عشرَ دِرْهماً ، فاشتراها مني رجلٌ من بني مروان ، فأهداها إلى عمر ، فلما أُتي بها قال : ياأبا سنان كأنها السلّتان اللتان أُتينا بها ! قال : قلت : نعم ، قال : فوضع إحداهما بين أيدينا فأكلنا منها وبعث بالأخرى إلى امرأته وألقى ثمنَها في بيت المال .

٢٩ ـ عيسى بن الشيخ بن السَّلِيل بن ضَبِيس

من بني جسَّاس بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة

أبو موسى الشيباني الذَّهْليّ

المتغلِّب على إمْرَةِ دمشق في أيام المهتدي بالله وأول أيام المعتمد ، إلى أنْ وجَّه المعتمد أماجور التركيّ أميراً على دمشق فانهزم عيسى إلى بلاد أرْمِينِيَة ، واستولى أماجور على البلد في سنة سبعٍ وخمسين ومئتين .

قال عيسى بن شيخ : قال المأمون :

دخول الحمّام بالغَدوات دخول الملوك ، ودخوله وقت الظهر دخول التجّار ، ودخولُه بعد العصر دخولُ السُّفّل ، ودخوله في السَّحَر دخول العيّارين والطرّارين[2] .

---

(١) كذا الأصل والتاريخ ، وإثبات الألف في « ما » المجرورة قليل شاذ . انظر خزانة الأدب ٩٩/٦ وما بعدها بتحقيق هارون ، والبيان والتبيين ١٢٥/٣ .

(٢) العيّار : كثير الطواف والحركة ، النشيط . والطرّار : الذي يشق كُمّ الرجل ويسل ما فيه . اللسان (طرر ، عير) .

وكان عيسى قد ولاّه بُغَا الكبير فِلَسْطينَ والأُرْدُنّ سنة اثنتين وخمسين ومئتين ؛ وفي سنة خمسٍ وخمسين ومئتين أظهر عيسى الخلاف وأخذ مالَ الشام .

[٣١/ب] قصد بعضُ الظُّرَفاء عيسى بن الشيخ بآمِدَ[1] فأنشده : [من الوافر]

رأيتُكَ في المنامِ خلعتَ خَزّاً ... عليَّ بَنَفْسَجاً وقضَيْتَ دَيْني
فعجّلْ لي فداك أبي وأُمّي ... مقالاً في المنامِ رأَتْهُ عيني

فقال : ياغلام اعرِضْ كُلَّ ما في الخزائن من الخَزّ ، فعرضه فوجد فيه سبعين شُقَّةً بنفسجيّة ، فدفعها إليه وقال : كم دَيْنُك ؟ قال : عشرة آلافِ درهم . فدفع إليه عشرة آلاف قضى بها دَيْنه ، وعشرة آلاف درهم أخرى عِدَةً له ، ثم قال لاتُعاوِدْ ترى مناماً آخر .

٣٠ ـ عيسى بن طَلْحة بن عُبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّةَ بن كعب

أبو محمد القرشيُّ التيميُّ المدنيّ

كان من حُلَماء قريش ، ووفد على معاوية .

حدّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال :

وقف رسولُ الله ﷺ بمِنى للناس يسألونه ، فجاء رجلٌ فقال : يارسولَ الله ، لم أشعر فحلقتُ قبل أنْ أذبح ، فقال : اذْبَحْ ولا حرَج . وجاءه رجلٌ آخر فقال : يارسول الله ، لم أشعر فنحَرْتُ قبل أنْ أرمي . فقال : ارْمِ ولا حرَج . قال : فما سُئل رسولُ الله ﷺ عن شيءٍ قُدِّم ولا أُخِّر إلاّ قال : افعَلْ ولا حرج .

قال يحيى بن طلحة : حدثني عمي عيسى بن طلحة قال :

كنتُ معه في سفر فصلّيتُ بعد ماصلّى هو ، فلم يزِدْ على ركعتَيْن ، فقال له رجلٌ من قريش : ياأبا محمد ! مالي أراك تركتَ ابن أخيك يصلّي ولم تصلّ أنت إلاّ ركعتين ؟ قال :

---

(١) مضى التعريف بآمد ص ٦٢ ح ٢ .

إني سايرتُ ابنَ عمر بين مكة والمدينة فلم يكن يَزِدْ[1] على ركعتين ، لم يصلِّ قبلها ولا بعدها ، وقال : أصلِّي كما رأيتُ أصحابي يصلُّون ، وما أنا بمانعٍ أحداً يستزيدُ من خيرٍ أراده .

وفي حديثٍ آخر بمعناه :

فقلت له : مالك لاتطوَّع ؟ فقال : إنما أصنع كما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصنع .

[٣٢/آ] قال عيسى بن طلحة : كنتُ أكونُ مع ابن عمر في السفر ، فيرى بني أخيه يتطوَّعون في السفر فلا يعيبُ ذلك عليهم .

وعيسى ويحيى ابنا طلحة أمُّهما سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة ، وأخواهما لأمِّهما المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة . وكان عيسى ثقةً كثير الحديث .

قال مُصْعَبُ بن عثمان :

قيل لعيسى بن طلحة : ماالحِلْم ؟ قال : الذُّلّ . وكان صديقاً لعروة بن الزُّبير ، خاصّاً به، فلمَّا قدم عروةُ من الشام وقد أُصيب بابنهِ محمد وبرِجْلِه نزل قصرَهُ بالعقيق ؛ فجاءه الناسُ يسلِّمونَ عليه ويُعَزُّونه ، وكان فيمن جاءَهُ عيسى بنُ طلحة ، فقال عروةُ لأحد بنيه : يابنيَّ اكشِفْ لِعَمِّكَ عن رِجْلِ أبيكَ ليراها ، فقال له عيسى : إنا والله ياأبا عبد الله ، ما كنا نُعِدُّكَ للصِّراعِ ولا للسباق ، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاجُ إليه ، عَقْلَكَ وفضلَك وعِلْمك ؛ فقال عروة : ماعزَّاني أحدٌ عن رِجْلي بمثلِ ماعزَّيتَني به .

دخل رجلٌ إلى عيسى بن طلحة بن عبيد الله فتحدَّث عنده وأنشدَهُ قوله : [من الطويل]

يقولونَ لو عزَّيْتَ قَلْبَكَ لارعوى ... فقلتُ وهَلْ للعاشقين قلوبُ
عَدِمْتُ فؤادي كيف عذَّبَهُ الهوى ... أمَا لِفؤادي من هواهُ نَصِيبُ[2]

---

(١) كذا الأصل والتاريخ .

(٢) البيت الأول لبشار بن برد ، وهو في ديوانه ١٨٦/١ ، وأورده صاحب الأغاني في ترجمته ١٧١/٣ ، والبيتان أيضاً في سير أعلام النبلاء ٣٦٧/٤ .

ثم قال : أجدتَ والله ! ثم قام يجرُّ رِداءَهُ حتى بلغ الحُجْرةَ ثم رجع يجري حتى عاد لمجلسهِ طَرِباً وقال : أحسنتُ والله ، فضحك عيسى ومَنْ بحضرته من طربه .

قال عبد الله بن مسلم بن جُندب :

طرقني عيسى بن طلحة بن عبيد الله في الليل ، فأشرفتُ عليه فقلت : ماحاجتك ؟ قال : إنَّ جاريةَ ابنِ حمران غنَّتْني لك : [من الطويل]

تعالوا أعينوني على اللَّيلِ إنَّهُ على كُلِّ عَيْنٍ لاتنامُ طويلُ

وقد جئتك أعينك على طول الليل ، فقلت : أدّى الله عنك الحق ، أبطأتَ عني حتى أتى الله عزَّ وجلَّ بالفرج .

[٣٢/ب] ٣١ ـ عيسى بن عبد الله بن الحكم بن النعمان بن بَشِير

أبو موسى بن أبي عون الأنصاريُّ النُّعْمانيّ

حدث عن نافع ، عن ابن عمر

أنَّ رسولَ الله ﷺ كان ربما يضَعُ يدَهُ على لحيتِهِ في الصلاة من غير عَبَث .

وحدّث عيسى بن عبد الله عن جُوَيْبر بن سعيد ، عن الضحاك بن مُزَاحِم ، عن البَرَاء بن عازب قال :

صلى رسولُ الله ﷺ وليس هو على وضوء ، فتَمَّتْ للقوم وأعاد النبيُّ ﷺ .

قال البيهقي : وهذا غير قويّ .

وحدث عن نافع ، عن ابن عمر قال :

كان النبيُّ ﷺ إذا دنا من مِنْبرِهِ يومَ الجمعة سلَّم على مَنْ عندَهُ من الجلوس ، فإذا صَعِد المنبر استقبل الناس بوجهه ثم سلَّم .

وحدّث عن عبد الله بن العلاء بن زَبْر ، عن مسلم بن مِشْكَم ، عن أبي ثعلبةَ الخُشَنى قال :

كان الناس إذا نزلوا مع النبيِّ ﷺ تفرَّقُوا في الشِّعاب والأودية ، فقال النبيُّ ﷺ : إنَّ تفرُّقكم في هذه الأودية من الشيطان . فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلاَّ انضمَّ بعضُهم إلى بعض حتى لو بُسط ثوبٌ لوسعهم .

٣٢ ـ عيسى بن عبد الله بن سُليمان العَسْقَلاني

سمع بدمشق .

حدث عن أبي عبد الله بن سليمان بسنده إلى الزُّبير بن العوّام قال :

سَخَّى[١] رسولُ الله ﷺ بأنفسنا عن أولادنا ، قال : مَنْ مات له ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحِنْث كانوا له حجاباً من النار .

وحدّث عن الوليد بن مسلم بسنده إلى ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ قال :

البركة مع أكابركم .

٣٣ ـ عيسى بن عُبيد الجُبَيْليّ

[٣٣/آ] قال عيسى بن عبيد : سمعتُ أبا كريبة الكلبي ـ وكان من عُبّاد أهل الشام يقول :

ابنَ آدم ، ليس لما بقي من عمرك في الدنيا ثمن . وسمعته يقول : عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى[٢] ، وعند المماتِ يحمد القومُ التُّقَى .

٣٤ ـ عيسى بن أبي عطاء الشاميُّ الكاتب

وذكر أنّ مروان بن محمد استعمله على خراج مصر .

قال عيسى بن [أبي][٣] عطاء :

سمعتُ عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر وهو يقول : لقد علمتُ أنّ الله قد وظّف

---

(١) في الأساس (سخو) : سخَّيتُ نفسي وبنفسي عن هذا الأمر : إذا تركتَهُ ولم تنازعك إليه نفسُك ؛ قال الخليل بن أحمد :

سخّى بنفسيَ أني لا أرى أحداً ... يموتُ هَزْلاً ولا يبقىٰ على حال

(٢) هذا القول من أمثالهم ، يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . انظر مجمع الأمثال ٣/٢ والمستقصى ١٦٨/٢

(٣) ما بين معقوفين من التاريخ (س) ١٠/١٤ ب .

أعمالاً في رقابِ أقوامٍ لابُدَّ لهم أنْ يعملوها ـ وقال بيده في عُنقه ـ ألاَ فمن ألَمَّ بذنبٍ فليستغفِر الله ، وإياكم والإصرار فإنَّ الهَلَكة في الإصرار .

قال عيسى :

وكان عمر بن عبد العزيز رُبَّما أعطى المال مَنْ يستألفُ على الإسلام .

٣٥ ـ عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس

ابن عبد المطلب بن هاشم ، أبو العباس ويقال : أبو موسى الهاشميّ

أخو محمد وداود وعبد الصمد وسليمان

قدم دمشق .

حدث عن أبيه ، عن جدِّهِ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

يُمْنُ الخيلِ في شُقْرِها .

وفي رواية :

مَيَامِنُ الخيلِ في شُقْرِها .

وحدث عن أبيه ، عن جدّه قال :

رأيتُ النبيَّ ﷺ كُلَّما جلس للصلاة استَنَّ[1] .

كان عيسى بن علي من أهل السلامة والعافية ، وكان لأُمِّ ولد ، ولم يلِ لأهل بيته عملاً حتى تُوفي في خلافة المهدي ؛ وولد سنة ثلاثٍ وثمانين ، وتوفي سنة ثلاثٍ وستين ومئة وله ثمانون سنة . وقيل : وُلد سنة إحدى وثمانين وتوفي سنة أربعٍ وستين ومئة ، وأمُّه بَرْبريَّة اسمها لبابة . وقيل : توفي سنة ستين ومئة .

قال الرشيد لابنه :

كان أبو العباس عيسى بن علي راهبَنا وعالمنا أهلَ البيت .

---

(١) استن : أي استاك .

قال جعفر بن سليمان :

سمعتُ عيسى بن علي يقول في مَرْضَةٍ مرضها ، وعاده الناس بمدينة السلام : إنَّ في قصري الساعة لألف مَحْمومة .

[٣٣/ب] ٣٦ ـ عيسى بن أبي عيسى بن بَزَّاز بن مجير

أبو موسى القابسيُّ الفقيه المالكي الحافظ

حدَّث عن أبي طالب محمد بن علي بن الفتح بسنده إلى أنس بن مالك قال :

صلَّيتُ خلف النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعمر وعثمان فلم أسمعْ أحداً منهم يَجْهَرُ ببسم الله الرحمن الرحيم .

وحدث عن أبي القاسم علي بن الحسن بن محمد بن أبي عثمان الدقاق بسنده إلى مالك بن أنس عن الزُّهْريّ ، عن سالم ، عن أبيه قال :

إنما سُمِّي رمضان لأنَّ الذنوب ترمَضُ فيه ، وإنما سُمي شوَّال لأنه يشولُ الذنوب كما تشولُ الناقة ذنبها . قال : وقال ابنُ عباس : يوم الفِطْر يوم الجوائز .

وبزَّاز : بزاي مشدَّدة قبل الألف وزاي بعدها .

توفي بمصر سنة سبعٍ وأربعين وأربع مئة ، وكان قدم دمشق طالباً للعلم ، وحدث بها .

٣٧ ـ عيسى بن محمد بن إسحاق

ويقال ابن محمد بن عيسى ، أبو عُمير الرَّمْلي ، يعرف بابن النحَّاس

حدث عن ضَمْرة بسنده إلى أبي ثعلبة الخُشَني ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

كُلْ ما ردَّتْ عليك قوسك .

وحدث عنه أيضاً بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت :

طيَّبْتُ رسولَ الله ﷺ لإحرامه ، وطيبتُهُ لإحلاله بطيبٍ لا يشبه طيبكم هذا .

قال ابن يونس في حديثه : تعني ليس له بقاء .

كان أبو عُمير ثقة ، رضًى ، من عُبّاد المسلمين . كان يطلبُ العلم وعلى ظهره خُريقةٌ قَدْرَ ذراع ؛ ومات أبو عمير سنة ست وخمسين ومئتين .

٣٨ ـ عيسى بن محمد بن حبيب

أبو عبد الله الأندلسي

قدم دمشق وحدَّث بها وبغيرها .

حدث عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حماد زُغْبَة قال : سمعتُ عبد الغني بن أبي عقيل يقول : سمعتُ المفضّل بن فَضَالَةَ القِتباني ـ وكان قاضياً لأهل مصر ـ يقول :

مَنْ أراد أنْ يأكُلَ من بَوْشِ مصر فليأكل [٣٤/آ] من بَوْشها بالغداة ومن ناطِفها القَنْد[1] بالعشي .

قال أبو عامر العَبْدَريُّ الحافظ :

أراه أراد بِبَوْش مصر أخلاطَها من تلك الموالح والكوامخ ؛ والبَوْش الجماعة من الناس ، وبوَّش القوم كثروا وخلطوا[2] .

وحدث عن أبي بكر أحمد بن هارون بن هانئ بن المتوكل بسنده إلى محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قال :

وُصف لي رجلٌ من العُبّاد باليمن ، وذُكر من فضله ، فارتحلتُ حتى قدمتُ عليه بالجَنَد[3] ، فإذا رجلٌ كما وُصف لي أو فوق ذلك ، وإذا به راكعاً وساجداً ! فقلت : رحمك الله من أجلك ارتحلت ، فانفتل عن صلاته وكتب بإصبعه على الأرض : [من الكامل]

---

(١) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . المعجم الوسيط (قند) .

(٢) كذا الأصل ، وفي التاريخ (س) : « اخلطوا » والوجه : « اختلطوا » كما في اللسان (بوش) .

(٣) الجَنَد ، بالتحريك : من مدن اليمن ، بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً . انظر معجم البلدان ١٦٩/٢ .

مُنـع السـلامُ من الكـلامِ لأنَّـهُ خَبَثُ الردى ومـواضـع الآفـاتِ

ثم قام إلى الصلاة فلم يزدْ عليه شيئاً .

٣٩ ـ عيسى بن محمد بن السِّمْط

أبو محمد الشاهد

حدث عن أبي زيد محمد بن أحمد بن عبد الله المروزيّ الفقيه بسنده إلى ابن عمر أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

لاتدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلاّ أنْ تكونوا باكين ، فإنْ لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، فيصيبَكم مثلُ ماأصابهم .

ورُوي من طريقٍ آخر عن ابن عمر قال : قال رسولُ الله ﷺ لأصحاب الحِجْر : لاتدخلوا على هؤلاء القوم المعذَّبين[1] إلا أن تكونوا باكين الحديث .

٤٠ ـ عيسى بن محمد بن الطيِّب بن علي

أبو طالب البغداديُّ الباقِلاّني

سمع بدمشق .

حدث عن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالمخلص بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :

لكلِّ شيءٍ زكاة ، وزكاة الدار بيتُ الضيافة .

---

(١) في الأصل : « المحدس » فلعله سهو ، وما أثبتُّه من التاريخ (د) ومسند أحمد ٥٨/٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١١٣ وفيه : « قال لأصحابه » و « وهو بالحجر » .

[٣٤/ب]

٤١ ـ عيسى بن محمد بن عبد الله بن الشهريج

أبو موسى مولى بني هاشم ، البغدادي

حدث بدمشق ، وروى عن الحسين بن إبراهيم البابي بسنده عن حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : قال النبيُّ ﷺ :

لما عُرج بي رأيتُ على ساق العرش مكتوباً : لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله ، أيَّدتُه بعليّ ونصرته بعليّ[1] .

وحدث عنه أيضاً بالسند أنَّ رسول الله ﷺ قال :

تختَّموا بالعقيق فإنه ينفي الفقر ، واليمينُ أحقُّ بالزينة .

٤٢ ـ عيسى بن مريم

روح الله وكلمته ، وعبدُهُ ورسولُه

صلى الله على نبيِّنا محمدٍ وعليه وسلَّم

كان يأوي إلى الرُّبْوَة خوفاً من الكفَّار وقد تقدَّم ذلك في فضل الرُّبْوَة[2] .

عن ابن عباس :

في قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وبَرّاً بوالِدَيْه ﴾ قال : كان لا يعصيهما . ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جبَّاراً ﴾ لم يكن قتَّالَ النفسِ التي حرَّم الله ﴿ عَصِيّاً ﴾ لم يكنْ عاصياً لربِّه ﴿ وسَلاَمٌ عليه ﴾ يعني حين سلَّم الله عليه ﴿ يومَ وُلد ويوم يموتُ ويَوْمَ يُبعث حيّاً ﴾[3] قال : لمَّا وهب الله لزكريَّا يحيى بلغ ثلاث سنين بشَّر الله مريم بعيسى ، فبينا هي في المحراب إذ قالتِ الملائكة ـ وهو

---

(١) عقب الذهبي على هذا الحديث بقوله : « وهذا اختلاق » . انظر ميزان الاعتدال ٥٣٠/١ .

(٢) انظر ٨٧/١ من هذا الكتاب . وراؤها مثلثة ، انظر معجم البلدان ٢٦/٣ واللسان (ربو) .

(٣) سورة مريم ١٤/١٩ و ١٥

جبريل وحده ـ : ﴿ يا مريمُ إنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وطهَّرَكِ ﴾ من الفاحشة ﴿ واصْطَفَاكِ ﴾ يعني اختارك ﴿ على نساءِ العالمين ﴾ عالَمِ أُمَّتِها ﴿ يا مريمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ يعني صلِّي لربِّك ، يقول : اذكري لربك في الصلاة بطول القيام ، فكانت تقوم حتى ورمَتْ قدماها ﴿ واسْجُدي وارْكَعي مع الرَّاكعين ﴾ يعني مع المصلِّين مع قُرَّاء بيت المقدس ، يقول اللهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ ذلك مِنْ أنباءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إليك ﴾ يعني بالخبر الغيب في قصة زكريّا ويحيى ومريم ﴿ وما كُنْتَ لدَيْهِم ﴾ يعني عندهم ﴿ إذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ ﴾[1] في كفالة مريم [٣٥/أ] ثم قال : يا محمد ـ يخبر بقصة عيسى ـ ﴿ إذْ قالتِ الملائكةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بكلمةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عيسى ابنُ[2] مَرْيَمَ وَجِيهاً في الدُّنْيا ﴾ يعني مَكِيناً عند الله في الدنيا من المقرَّبين في الآخرة ﴿ وَيُكَلِّمُ الناسَ في المَهْدِ ﴾ يعني في الخِرَق في محرابه ﴿ وكَهْلاً ﴾ ويكلِّمهم كهلاً إذا اجتمع قبلَ أنْ يُرفع إلى السماء ﴿ ومن الصالحين ﴾[3] يعني من المرسلين .

وعن ابن عباس

في قوله : ﴿ واذْكُرْ في الكتابِ مَرْيَمَ ﴾ يقول : قُصَّ ذِكْرَها على اليهود والنصارى ومشركي العرب ﴿ إذِ انْتَبَذَتْ ﴾ خرجَتْ ﴿ مِنْ أَهْلِها مكاناً شَرْقِيّاً ﴾ قال : كانت خرجَتْ من بيت المقدس ممَّا يلي الشرق ، ﴿ فاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً ﴾ وذلك أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَمَّا أراد أنْ يبتدئَها بالكرامة ويبشِّرَها بعيسى ، وكانت قد اغتسلت من المحيض فتشرَّقت وجعلت بينها وبين قومها حجاباً ، يعني جبلاً ، فكان الجبل بين مجلسها وبين بيت المقدس ﴿ فأَرْسَلْنا إليها روحَنا ﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿ فتَمَثَّلَ لَهَا بشَراً سَوِيّاً ﴾ في صورةِ الآدميِّين ، سويّاً : يعني معتدلاً شابّاً ، أبيضَ الوجه جَعْداً قَطَطاً ، حين اخضرَّ شاربه ، فلمَّا نظرَتْ إليه بين يديها ﴿ قالَتْ إنِّي أَعُوذُ بالرحمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ وذلك أنها شبَّهَتْهُ بشابٍّ كان يراها ونشأ معها يقال له يوسف من بني إسرائيل ، وكان من خدم بيت المقدس ، فخافت أن يكون الشيطانُ استزلَّه ، فمِنْ ثَمَّ قالت : ﴿ أعوذُ بالرحمنِ منكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾[4]

---

(١) سورة آل عمران ٤٢/٣ ـ ٤٤

(٢) ألف « ابن » تحذف هنا على التحقيق ، كما في الأصل والتاريخ والمطالع ص ١١٩ ، وأثبتُّها هنا وفيما يأتي من آيات فقط ، تبعاً لرسم المصحف .

(٣) سورة آل عمران ٤٥/٣ و ٤٦

(٤) سورة مريم ١٦/١٩ ـ ١٨

يعني إنْ كنت تخافُ الله ﴿ قال ﴾ جبريل وتبسَّم : ﴿ إنما أنا رسولُ رَبِّكِ لأهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ﴾ يعني لله مطيعاً من غير بشر ﴿ قالَتْ أنّى يكونُ لي غلامٌ ﴾ أو وَلَد ﴿ ولَمْ يَمْسَسْني بَشَر ﴾ يعني زوجاً ، لأنَّ الأنثى تحملُ من الذكر ﴿ ولَمْ أَكُ بغيّاً ﴾ أي مُومسة ﴿ قال ﴾ جبريل ﴿ كذلك ﴾ يعني هكذا ﴿ قال رَبُّكِ هو[1] عليَّ هَيِّنٌ ﴾ يعني خلقه من غير بَشَر وهو من غير زوج ، وهو يخلق ما يشاء ﴿ ولِنَجْعَلَهُ آيةً للناسِ ﴾ قال : يعني عِبْرَةً للناس . قال ابنُ عباس : والناس هاهنا للمؤمنين خاصَّةً [٣٥/ب] ﴿ ورَحْمَةً منَّا ﴾ لمن صدَّق بأنه رسولُ الله ﴿ وكانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ﴾[2] يعني كائناً أن يكونَ من غير بَشَر ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكتابَ ﴾ يعني يخطُّ الكتاب بيده ﴿ والحِكْمَةَ ﴾ يعني الحلالَ والحرام ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكتابَ والحكمة ﴾ والسنَّةَ ﴿ والتَّوْرَاة والإنْجِيلَ ، ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾[3] وأجعلُ على يديه الآيات والعجائب ﴿ فَحملَتْهُ ﴾[4] قال ابنُ عباس : فدنا جبريل عليه السلام فنفخ في جيبها ، فدخلتِ النفخةُ جَوْفَها ، فاحتملَتْ كما تحملُ النساء في الرحم والمَشِيمة ووضعَتْهُ كما تضع النساء .

قال أُبَيٌّ بن كعب :

كان رُوحُ عيسى بن مريم عليه السلام من تلك الأرواح التي أُخذ عليها الميثاق في زمنِ آدم عليه السلام ، فأرسله الله إلى مريم في صورةِ بشر ﴿ فتمثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً ﴾[5] إلى قوله : ﴿ فحملَتْهُ ﴾ قال : حملت الذي خاطبها ، وهو رُوح عيسى ، قال : ودخل من فيها .

قال أبي بن كعب

في قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بني آدَمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهم ﴾ إلى قوله : ﴿ أَفَتُهْلِكُنا بما فَعَلَ المُبْطِلُون ﴾[6] قال : جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صوَّرهم واستنطقهم

---

(١) في الأصل : « وهو » .

(٢) سورة ١٩/٢١

(٣) سورة آل عمران ٣/٤٨ و ٤٩

(٤) سورة مريم ١٩/٢٢

(٥) سورة مريم ١٩/١٧

(٦) سورة الأعراف ٧/١٧٢ و ١٧٣ . و ﴿ ذريتهم ﴾ بالإفراد قراءة الكوفيين وابن كثير و ﴿ ذرياتهم ﴾ بالجمع قراءة الباقين . انظر الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٨٣ .

فتكلّموا وأخذ عليهم العَهْدَ والميثاق ﴿ وأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بربِّكُمْ قالوا بَلَى شَهِدْنا أَنْ تقولوا ﴾ إلى قوله : ﴿ المُبْطِلُون ﴾ قال : فإني أُشهدُ عليكم السمواتِ السبع والأرضينَ السبع ، ويشهد عليكم أبوكم آدم أنْ تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيري ولا ربَّ غيري ، فلا تشركوا بي شيئاً ، فإني سأرسلُ إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتابي ؛ قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا ، لا ربَّ لنا غيرك ولا إله لنا غيرك . فأقرُّوا يومئذٍ بالطاعة ، ورفع عليهم أباهم آدم فنظر إليهم ، فرأى فيهم الغنيَّ والفقير والحسَنَ الصورةِ ودون ذلك فقال : ربِّ ! لو سوَّيْتَ بين عبادك ، قال : إني أحبُّ أنْ أُشْكَر ؛ ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرُج ، عليهم النور وخُصُّوا بميثاق آخر في الرسالة [١/٣٦أ] والنبوة ، وهو قوله : ﴿ وإذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيِّينَ مِيثاقَهُمْ ومِنْكَ ومنْ نُوحٍ وإبْراهيمَ وموسى وعيسى ابنِ مَرْيَمَ وأَخَذْنا منهم مِيثاقاً غَلِيظاً ﴾[1] وهو الذي يقول : ﴿ فأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَةَ اللهِ التي فطَرَ الناسَ عليها ، لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾[2] وكان رُوحُ عيسى في تلك الأرواح التي أُخذ عليها العهدُ والميثاق ، فأرسل ذلك الرُّوحَ إلى مريم ، قال : ﴿ فأَرْسَلْنا إليها رُوحَنا ﴾ إلى قوله : ﴿ وكان أمْراً مَقْضِيّاً ﴾ قال : ﴿ فحمَلَتْهُ ﴾[3] حملتِ الذي خاطبها وهو رُوحُ عيسى .

قال : فسأله مُقَاتلُ بن حيَّان : مِنْ أين دخل الرُّوح ؟ فذكر عن أبي العالية عن أُبَيِّ بنِ كعب أنه دخل من فيها .

وعن مجاهد قال :

كانت مريم عليها السلام تقول : كان عيسى إذا كان عندي أحَدٌ يتحدَّثُ معي سبَّح في بَطْني ، وإذا خلَوْتُ فلم يكن عندي أحد حدَّثْتُه وحدَّثني وهو في بطني .

وعن الحسن قال :

بلغني أنها حمَلَتْهُ لسبعٍ أو لتسعِ ساعات ووضَعَتْهُ من يومِها . وقيل حمَلَتْه تسعة أشهر كما تحملُ النساء ، فالله أعلم أنَّى[4] ذلك كان .

---

(١) سورة الأحزاب ٧/٣٣

(٢) سورة الروم ٣٠/٣٠

(٣) سورة مريم ١٧/١٩ ـ ٢٢

(٤) في التاريخ (س) : « أي » .

قال الشعبي :

كتب قيصر إلى عمر أنَّ رسلي أتتْني من قِبَلِك فزعَمتْ أنَّ قِبَلكم شجرةً ليست بخَليقةٍ لشيءٍ من الخير ، تخرجُ مثل آذان الحمير ، ثم تشقَّقُ عن مثل اللؤلؤ ثم تخضرُّ فتكون مثل الزُّمُرُّد الأخضر ، ثم تحمرُّ فتكون كالياقوت الأحمر ، ثم تَيْنَعُ وتَنْضَجُ فتكونُ كأطيب فالوذَجٍ أُكل ، ثم تتشقَّقُ فتنتثرُ فتكون عصمةً للمقيم وزاداً للمسافر ، فإنْ تَكُنْ رُسلي صدَقَتْني فلا أرى هذه الشجرةَ إلاَّ من شجر الجنَّة . فكتب إليه عمر :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملكِ الروم ، إنَّ رسُلَكَ قد صدقَتْك ، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها اللهُ تعالى على مريم عليها السلام حين نُفِسَتْ بعيسى ابنِها ، فاتَّقِ الله ولا تتخذْ عيسى إلهاً من دون الله فإنَّ ﴿ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ ترابٍ ثم قال لَهُ كُنْ فيكونُ ، الحقُّ من ربِّكَ فلا تَكُنْ من المُمْتَرين ﴾[1] .

قال : وبلغني أنَّ من آدم إلى مولد المسيح عليه السلام خمسةَ آلاف وخمسَ مئة سنة [٣٦/ب] ومن الطُّوفان إلى مولده ثلاثة آلاف ومئتان وأربعٌ وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى مولده ألفان وسبعُ مئة وثلاث عشرة ، ومن مُلْكِ داود إلى مولده ألفٌ وتسع وخمسون سنة ، وولد في خمسةٍ وعشرين يوماً من كانون الأول ، ومن رفع المسيح إلى هجرة النبيِّ ﷺ تسع مئة[2] وثلاث وثلاثون سنة .

وعن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

ما من بني آدَمَ من مولودٍ إلاَّ يَمَسُّه الشيطانُ حين يولد فيستهلُّ صارخاً من مسِّ الشيطان غيرَ مريمَ وابنِها . ثم قال أبو هريرة : اقرؤوا إنْ شئتم ﴿ إني أُعيذُها بكَ وذُرِّيَّتَها من الشيطان الرجيم ﴾[3] .

---

(١) سورة آل عمران ٥٩/٣ و ٦٠

(٢) كذا في الأصل والتاريخ (د ، س) ، وهو خلاف المشهور ، انظر ما جاء في ص ١٤٣ من هذا الجزء : « الفترة ما بين عيسى ومحمدٍ ﷺ ستُّ مئة سنة » .

(٣) سورة آل عمران ٣٦/٣

وعن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال :

كلُّ ابنِ آدمَ يطعَنُ الشيطان بإصبعه في جنبه حين يولد إلاَّ عيسى بن مريم فإنه ذهب ليطعن فطعن في الحجاب .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه :

لَمَّا ولد عيسى بنُ مريم أتتِ الشياطين إبليس ـ لعنهم الله ـ فقالوا : أصبحت الأصنامُ قد نُكِّست رؤوسها ، فقال : هذا حادثٌ حدث ، مكانَكم ، وطار حتى جاب خافقَي الأرض فلم ير شيئاً ولم يجد شيئاً ، ثم جاب البحار فلم يقدرْ على شيء ، ثم طاف أيضاً فوجد عيسى قد ولد عند مِذْوَدِ حِمار ، وإذا الملائكةُ قد حفَّتْ حوله ، فرجع إليهم فقال : إنَّ نبيّاً قد ولد البارحة ما حملَتْ أنثى قطُّ ولا وضعَتْ إلاَّ وأنا بحضرتها إلاَّ هذا . فأيِسوا أن تُعبَدَ الأصنامُ بعد هذه الليلة ، ولكن ائتوا بني آدمَ من قِبَلِ الخِفَّةِ والعجلة .

وعن عكرمة بن خالد المخزوميِّ قال :

لما ولد عيسى بن مريم لم يبقَ شيءٌ يُعبد من دون الله إلاَّ خرَّ لوجهه ففزعَتْ لذلك الشياطين واجتمعوا إلى إبليس فأخبروه ، فركب ، فإذا بعيسى في مهده ، فأراده ، فحال الله بينه وبينه وملائكته ، فقال له إبليس : أتعرفني ؟ قال : نعم أنت إبليس ، قال : صدقت ، قال : أمَا إني ما جئتُكَ تصديقاً بك ، ولكن رَحِمْتُكَ [٣٧/آ] ورَحِمْتُ أمَّك لما قالت بنو إسرائيل فيها ، فلو أمرْتَ أمَّكَ فجعلَتْكَ على شاهقةٍ من الجبل ثم طرحَتْكَ فإنَّ ربَّك وملائكته لم يكنْ ليُسْلِمَك ولا ليكسرك ، فقال عيسى : ياقديم الغَيِّ ! إنما أفعلُ ما يأمرُني ربي ، وإني أريدُ أنْ أعرفَ كرامتي عند الله عزَّ وجلَّ .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه :

سألني ابنُ عباس عن عيسى بن مريم وميلاده ، وعن لُقِيِّه إبليس بعقبة بيت المقدس ، وعن نعت الإسلام ، وعن صفة محمد ﷺ في الإنجيل فقلت : نعم ، إنَّ إبليس عدوَّ الله اتخذ مجلساً على اللُّجَّةِ الخضراء ، ثم بثَّ شياطينه في ولد آدم فقال : انطلقوا فأْتوني بأحداثِ الدنيا ، فأتَوْهُ بجماعتهم لست ساعاتٍ مضَيْنَ من النهار ، فقال : أخبروني عما كنتُ وجَّهتُكم ؟ فقالوا : سيِّدنا ، قد كانتِ الأصنام بُغْيَتنا ورجاء ضلالةِ ابنِ آدم ، فلم يبق صنَمٌ إلاَّ أصبح مَنْكوساً قد انحدرَتْ حدقتاه على وجنتَيْه ، فساء ظنُّنا وأُسقط في أيدينا . فأتَوْهُ لستِّ ساعاتٍ مضَيْنَ من النهار ، فقال لهم إبليس : على رِسْلكم ، أعلم علمَ ما أتيتموني ، وكان ذلك

ليلةَ ولد عيسى بنُ مريم في ثلاثَ عشرةَ ليلة مضَيْنَ من ذي القعدة ، فخرَّتِ الأصنام كلُّها سجَّداً وتنكَّس كلُّ صنمٍ كان يُعبدُ من دون الله تعالى مابين المشرق والمغرب ، فانطلق إبليس وطار ، فغاب عنهم مقدارَ ثلاثِ ساعاتٍ من النهار ، فانصرف إليهم عَوْده على بَدْئه فقال : إني لم أدَعْ مشارق الأرض ومغاربها ولابرَّها ولا بحرها ، ولا سَهْلها ولا جبلَها إلاَّ أتيتُه ، فوجدت ذلك المولود وُلد لغير بشر ، فأتيتُهُ من بين يديه لأضع يدي عليه فإذا الملائكةُ دونه كأنهم بنيانٌ مرصوص ، من تخوم الثرى إلى أعنانِ السماء ، فأتيتُهُ من فوقه فإذا الملائكة مناكبها ثابتةٌ في السماء وأرجُلها تحت الأرضِ السفلى [٣٧/ب] فلم أصلْ إلى ماأردتُ به ولأُضِلَّنَّ به أكثر ممَّن[1] تبعه .

فلمَّا بلغ عيسى ثلاثين سنة ، وبعثه الله رسولاً إلى بني إسرائيل ، مصدِّقاً لما بين يديه من التوراة ومبشِّراً برسولٍ يأتي من بعده اسْمُهُ أحمد ، واتخذ الآيات والعجائب ، من إحياء الموتى وخَلْق الطير ، وإبْراء الأكْمَهِ والأبرص . لَقِيَهُ إبليس خالياً عند عقَبَةِ بيتِ المقدس ، فقال الخبيثُ في نفسه : لأنتهزَنَّ اليومَ فرصتي من عيسى ، فقال له إبليس : أنت عيسى بنُ مريم ؟ قال نعم ، قال : أنت الذي تكوَّنْتَ من غيرِ أبٍ ؟ إنَّك لعظيمُ الخطر ! قال : بل العَظَمةُ للذي كوَّنني ؛ قال : أنت عيسى بنُ مريم الذي بلغ من عِظَم ربُوبيَّتِكَ أنك تبرئُ الأكْمَهَ والأبرص وتشفي المريض ؟ ! قال : بلِ العظَمةُ للذي بإذنهِ أشفيهم ، وإذا شاء أمرضني ؛ قال : أنت عيسى بن مريم الذي يحيي الموتى ؟ إنك لعظيمُ الخطر ! قال : بل العظمَةُ للذي بإذنهِ أُحييهم ، ولا بُدَّ أنْ سوف يُميتُني ؛ قال : أنت عيسى بن مزيم الذي بلغ من عظمتك أنك تمشي على الماء ؟ ! قال : بل العظمة للذي بإذنه مشيت ، وإذا شاء أغرقني ؛ قال : أنت عيسى بن مريم الذي يبلغ من عظمتك أنك تعلو السماوات فتدبِّرُ فيها الأمْر ، ماأعرفُ لله نِداً غيرَك ولا مثلاً إلاَّ أنت ! فارتعد عيسى من الفرق ، فخرَّ مغشيّاً عليه ودعا على إبليس دعوةً ، فخرج يَتَدَأْدَأُ[2] ، ما يملكُ من نفسه شيئاً حتى بلغ الخافقَ الأقصى ، فنهض بالقوَّةِ التي جُعلت فيه فسدَّ على عيسى العقبة من قبل أن يزولَ عيسى من مكانه ، فقال له : ألم أقل لك إنك إلـهٌ عظيم وليس لله شبهٌ غيرك ، ولكنَّك لاتعرفُ نفسك ، فهَلُمَّ

---

(١) كذا الأصل والتاريخ .

(٢) دأدأ : عدا أشد العدو ، ومثله تدأدأ . اللسان .

فآمر الشياطين بالعبادة لك ، فإنهم لم يعترفوا لبشرٍ كان قبلك ، فإذا رأى بنو آدم أنهم قد عَبَدُوك عبدوكَ بعبادتهم ، فتكون أنت الإله في الأرض والإله الذي تصفُه إلهاً في السماء . فخرَّ عيسى مغشيّاً عليه ، فبعث اللهُ عزَّ وجلَّ [٣٨/آ] إليه ثلاثة أملاك : جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فنفحَهُ ميكائيلُ نفحةً فخرج يتدأْدأُ ما يملكُ من نفسه شيئاً حتى بلغ الخافق الأقصى حصيداً محترقاً ، ثم مثل له إسرافيل فنفحَهُ نفحةً بجناحه ، فخرج يتدأْدأُ ما يملكُ من نفسه شيئاً حتى مرَّ بعيسى على العقبة وهو يقول : ياوَيْلَه ! لقد لَقِيتُ منك يابن العذراء تعباً ! ثم مثل له جبريل فنفحَهُ نفحةً فخرج يتدأْدأُ ما يملك من نفسه شيئاً ، حتى وقع في العين الحامية فتخلَّص منها بعد ثلاثةِ أيَّام حتى رجع إلى مجلسه .

وعن مجاهد

في قوله ﴿ وجَعَلَني مُبَارَكاً ﴾[1] قال : نفّاعاً للناس ، وقال : مباركاً ، معلّماً للخير .

وعن جابر

﴿ وجعلني مباركاً أينَ ما كنتُ ﴾ لعيسى بن مريم قال : معلّماً ومُؤدّباً وحناناً ، قال : ورحمةً وزكاةً ، وطاهراً من الذنوب .

وعن يزيد بن أبي حبيب

في قوله ﴿ وكَهْلاً ﴾[2] قال : الكَهْل منتهى الحِلْم .

وقال مجاهد :

الكَهْل ، الحليم .

وعن ابن عباس

في قوله ﴿ وبَرًّا بوالدتي ﴾ فلا أعقُّها . فعلموا أنه خُلق في غير بشَر ﴿ ولَمْ يَجْعَلْني جبَّاراً شقيًّا ﴾ يعني متعظّماً سفّاكاً للدم ﴿ والسلامُ عليَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ويَوْمَ أموتُ ويَوْمَ أُبْعَثُ حيّاً ﴾ يقول الله تعالى ﴿ ذلكَ عيسى ابنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحقّ الذي فيه يَمْتَرُونَ ﴾[3] يعني يَشُكُّون ـ يقولُه لليهود ـ ثم أمسك عيسى عن الكلام حتى بلغ ما يبلغُ الناس .

---

(١) سورة مريم ٣١/١٩

(٢) سورة آل عمران ٤٦/٣

(٣) سورة مريم ٣٢/١٩ ـ ٣٤

قال عبد الله بن عباس :

ما تكلّم عيسى إلاّ بالآيات حتى بلغ ما يبلغُ الصبيان .

وعن أبي سعيد الخُدْريّ وأبي هريرة

أنّ الله تعالى أطلق لسانَ عيسى مرّةً أخرى في صباه ، فتكلّم ثلاث مرّات حتى بلغ ما يبلغُ الصبيان فيتكلمون فتكلم ، فحمد الله أيضاً بتحميدٍ لَمْ تسمعِ الآذانُ بمثله ، حيث أنطقَهُ طفلاً فقال : اللهمّ أنت القريبُ في عُلوّك ، المتعالي في دنُوّك ، الرفيعُ على كلّ شيءٍ من خلقك ، أنت الذي نفذ بصَرُكَ في خَلْقِك ، وحارتِ الأبصارُ دون النظر إليك ، أنت الذي عَشِيَتِ الأبصارُ دونك وشمخ بك [٣٨/ب] العلياءُ في النور ، وتشعشع بك البناء الرفيع في المتباعد[1] ، أنت الذي جلَيْتَ حِنْدِسَ الظُّلَمِ بنورك ، أنت الذي أشرقت بضَوْء نورك دلادج[1] الظلام وتلألأتْ تعظيماً أركانُ العرش نوراً ، فلم يبلغْ أحَدٌ بصفتِهِ صفَتَك ، فتباركتَ اللهم خالقَ الخلق بعزّتك ، مقدّرَ الأمور بحكمتك ، مبتدِئ الخلق بعظمتك . ثم أمسك الله لسانه حتى بلغ .

وعن ابن عمر قال :

ما قال رسولُ الله ﷺ لعيسى أخي ، ولكن رسول الله . قال : بينما أنا نائم أراني أطوفُ بالكعبة فإذا رجلٌ آدم سَبْطُ الشعر ، بين الرجلين ، ينطِفُ رأسُهُ ماءً ـ أو يهراق رأسه ـ فقلتُ : من هذا ؟ قالوا : هذا ابنُ مريم ، فذهبتُ ألتفتُ ، فإذا رجلٌ أحمر جسيم ، جَعْد الرأس ، أعورُ العين اليمنى ، كأنّ عينَهُ عِنبَةٌ طافية ، فقلتُ : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا الدجّال ـ وفي رواية : هذا المسيحُ الدجّال ـ أقربُ الناسِ به شبهاً ، رجلٌ من خُزَاعة يُقال له ابن قَطَن .

قالوا : وهو من بني المُصْطَلِق ، هلك في الجاهلية .

وعن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال :

ليلة أُسْريَ بي رأيتُ إبراهيم وهو يشبهني ، ورأيتُ موسى جعداً آدَم ، طويلاً كأنّهُ من رجالِ شَنُوءَة ، ورأيت عيسى رجلاً أحمر رِبْعَةً سَبْطاً ، كأنّ رأسَهُ يقطُر الدُّهْن .

وفي رواية : جعداً أحمر عريضَ الصَّدْر .

---

(١) كذا الأصل والتاريخ (د ، س) .

وعن أبي هريرة

أنَّ رسولَ الله ﷺ وصف لأصحابه ليلة أُسري به إبراهيمَ وموسى وعيسى وقال : أمَّا إبراهيم فلم أرَ رجلاً أشبَه بصاحبكم منه ـ أو قال : أنا أشبَهُ ولدِهِ به ـ وأمَّا موسى فرجلٌ آدَم طُوالٌ جَعْدٌ أقنى ، كأنَّه من رجال شَنُوءَة . وأمَّا عيسى فرجلٌ أحمر ، بين القصير والطويل ، سَبْطُ الشعر ، كثيرُ خِيلانِ الوَجْه[1] ، كأنَّه خرج من دِيماس ـ يعني الحمَّام ـ تحالُ رأسَهُ يقطر ماءً ، وما به ماء ، أشبَهُ من رأيتُ به عروةُ بن مسعود . قال : وأُتيتُ بإناءين في أحدهما خمر وفي [٣٩/آ] الآخر لبَن ، فقيل لي : خُذْ أيَّهما شئت ، فأخذتُ اللبن ، فشربتُ منه ، فقيل لي : هُديتَ إلى الفِطْرة ـ أو أصبتَ الفِطْرة ـ أما إنَّك لو أخذتَ الخَمْرَ غوتْ أمَّتك .

وفي حديث بمعناه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

إني ليلة أُسريَ بي وضعتُ قدمي حيث توضع أقدامُ الأنبياء من بيت المقدس فعرض عليَّ عيسى بن مريم ... الحديث .

وعن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال :

الأنبياء إخوةٌ لِعَلاَّت ، أمَّهاتهم شتَّى ودينهم واحد[2] ، وأنا أولى الناسِ بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنَّهُ نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجلٌ مَرْبوع الخَلْق ، إلى الحمرة والبياض ، سَبْط ، كأنَّ رأسَهُ يقطر وإنْ لم يُصبْهُ بلَل ، بين مُمَصَّرَتَيْن[3] ، فيدقُّ الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجِزْيَة ، ويُعطِّل المِلَل ، ويقاتلُ على الإسلام حتى يُهلِكَ اللهُ في زمانه المِلَلَ كلَّها غير الإسلام ، ويهلك في زمانه مسيح الضلالة ، الدجَّال الكذَّاب ، وتقعُ الأمَنَةُ في الأرض ، حتى يرتَع الأُسْدُ مع الإبل ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الغلمانُ والصبيان بالحيَّات ، لا يضرُّ بعضُهم بعضاً ؛ حتى يمكث في الأرضِ ما شاء الله ، ثم يُتوفَّى ويصلِّي عليه المسلمون ، ويدفنونه .

قوله ﷺ : ويهلك في زمانه المِلَل كلَّها ، صريح البيان عن أنَّ اليهود والنصارى

---

(١) خيلان : جمع خال ، وهي الشامة في الجسد . اللسان (خيل) .

(٢) بنو العلات في الأصل : بنو رجلٍ واحد من أمهات شتى . وهنا أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة . اللسان (علل) .

(٣) الممصَّرة من الثياب : التي فيها صفرة خفيفة . اللسان (مصر) .

والمجوس وسائر المشركين ذوو مِلَلٍ مختلفة ، وليسوا أهلَ مِلّةٍ واحدة وإنْ جمعَهم الكفر وأنه لا توارث بين أحدٍ منهم ، وبين مَنْ هو على غير مِلّته لقولِ النبيِّ ﷺ : لا يتوارث أهل مِلّتين شتى . وكان أبو حنيفةَ وأصحابه يرونَ الكفر كُلَّه مِلّةً واحدة ويوقعون التوارث بينهم[1] ، وإليه يذهبُ أصحابُ الشافعي .

ومن حديث آخر :

وأنا وعيسى أخوان ، لأنه بَشَّر بي وليس بيني وبينه نبيّ .

قالوا : والدِيماس مَحْبِس .

وعن أبي حازم قال :

كنتُ أرى أبا هريرة يأتي الكتّاب فيقولُ للمعلم : مُرْ غِلْمانَكَ [٣٩/ب] فَلْيُنْصِتُوا ولْيَفْقَهوا ما أقولُ لهم ، فيقول : يا معشر الغلمان ، أيُّكم أدركَ عيسى بن مريم فإنّهُ شابٌّ أحمر ، حسَنُ الوجه ، فليقرأ عليه مني السلام .

قال عبد الله عن عمرو بن العاص :

كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان ، فكان يقول لأحدهم : تريدُ أن أخبرك ماخبَّأتْ لك أمُّك ؟ فيقول : نعم ، فيقول : خبَّأتْ لك كذا وكذا . فيذهب الغلامُ منهم إلى أمّه ، فيقول لها : أطعميني ما خبَّأتِ لي ، فتقول : وأيّ شيءٍ خبَّأتُ لك ؟ فيقول كذا وكذا فتقول له : مَنْ أخبرك ؟ فيقول : عيسى بن مريم ، فقالوا : واللهِ إنْ تركتمْ هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسِدَنَّهم ، فجمعوهم في بيت ، وأغلقوا عليهم ، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدْهم حتى سمع ضَوْضاءهم في بيت ، فسأل عنهم فقال : ما هؤلاء ؟ كأنَّ هؤلاء الصبيان ! قالوا : لا ، إنما هم قردة وخنازير ، قال : اللهم اجعلْهم قردةً وخنازير . فكانوا كذلك .

وعن أبي سعيد الخُدْريّ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إنّ عيسى ﷺ أسْلَمَتْهُ أمُّه إلى الكُتّاب ليعلمه ، فقال له المعلِّم : اكتبْ بسم الله ، فقال له عيسى : وما باسْم ؟ قال المعلم : لا أدري ، قال عيسى : الباء بهاءُ الله ، والسين سناؤه ،

---

(١) إلى جانب السطر في الأصل حرف (ط) .

والميم مُلْكُه ، والله لا إله إلاَّ هو ، الرحمن رحمانُ الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة ... الحديث .

وعن ابن عباس :

أنَّ عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد إذْ كلَّمهم طفلاً ، حتى إذا بلغ ما يبلغ الغلمان ، ثم أنطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان ، قال : فأكثر اليهودُ فيه وفي أُمِّه من قول الزُّور ، فكان عيسى يشربُ اللبن من أمه ، فلما فُطم أكل الطعام وشرب الشراب حتى بلغ سبع سنين ، فكانتِ اليهود تُسَمِّيه ابن البَغِيَّة ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ وقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بُهْتاناً عظيماً ﴾[1] فلما بلغ سبع سنين أسلَمَتْه أمُّه للكتَّاب عند رجلٍ من المُكْتِبين يعلِّمه كما يعلِّمُ الغلمان ، فلا يعلِّمه شيئاً إلاَّ بدَرَهُ عيسى إلى علمِه قبل أنْ يُعَلِّمَهُ إيَّاه ، فعلَّمه أبا جاد[2] ، [٤٠/آ] فقال عيسى : ما أبجد ؟ قال المعلِّم : لا أدري ، فقال عيسى : فكيف تعلمني ما لا تدري ؟ فقال المعلم : إذاً فعلِّمْني ، فقال له عيسى : فقم من مجلسك ، فقام فجلس عيسى مجلسَه ، فقال : سَلْني ، فقال المعلم : فما أبجد ؟ فقال عيسى : الألف آلاءُ الله ، باء بهاءُ الله ، جيم بَهْجَةُ الله وجمالُه ـ زاد في غيره : دال اللهُ الدائم ـ فعجب المعلِّم من ذلك ، فكان أوَّلَ من فسَّر أبجد عيسى بنُ مريم .

قال : وسأل عثمانُ بن عفَّان رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، ما تفسيرُ أبجد ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : تعلَّموا تفسير أبجد ، فإنَّ فيه الأعاجيبَ كُلَّها ، وَيْلٌ لعالمٍ جهل تفسيره ! فقيل : يا رسول الله وما أبجد ؟ فقال : أمَّا الألف آلاءُ الله ، حرفٌ من أسمائه ؛ وأمَّا الباء فبهجةُ الله وجلال الله ؛ وأمَّا الجيم فمجد الله ، وأمَّا الدَّال فدينُ الله ؛ وأمَّا هوَّز ، فالهاء الهاوية ، فَوْيلٌ لمن هوى فيها ، وأمَّا الواو فويلٌ لأهل النار ، وأمَّا الزاي فالزاوية ، فنعوذ بالله مما في الزاوية ، يعني زوايا جهنم ؛ وأما حُطِّي ، فالحاء حطُوطٌ خطايا المستغفرين في ليلةِ القدر ، وما نزل به جبريل مع الملائكة إلى مطلع الفجر ، وأما الطَّاء فطوبى لهم وحُسْنُ مآب ، وهي شجرة غرسَها الله بيده ، وإنَّ أغصانها لتُرى من وراء سور

---

(١) سورة النساء ١٥٦/٤

(٢) كذا في الأصل ، وتحتها « أبجد » وإلى جانب السطر كتب : « كذا » .

الجنة ، نبتت بالحلي والحُلَل ، والثمار متدلّية على أفواههم ، فطوبى لهم وحُسْنُ مآب ، وأمّا الياء فيد الله فوق خلقه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ؛ وأمّا كَلَمْن ، فالكاف كلامُ الله ، لا تبديلَ لكلماته ﴿ ولَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدا ﴾[1] وأمّا اللام فإلمامُ أهل الجنة بينهم بالزيارة ، والتحيّة والسلام ، وتلاوم أهلِ النار بينهم ، وأمّا الميم فملكُ الله الذي لا يزول ، ودوامُ الله الذي لا يفنى ، وأمّا نون فنون ﴿ والقلمِ وما يَسْطُرون ﴾[2] فالقلم قلمٌ من نور وكتابٌ من نور ، في لوحٍ محفوظ يشهده المُقَرّبون ، وكفى بالله شهيدا ؛ وأمّا صَعْفَص ، فالصادُ صاعٌ بصاع [٤٠/ب] وقسطٌ بقسط ، وقضًى بقضى[3] . يعني الجزاءُ بالجزاء وكما تَدِين تُدان ، والله لا يريدُ ظلماً للعباد ؛ وأمّا قريشات ، يعني قرشهم يجمعهم يوم القيامة يقضي بينهم وهم لا يظلمون .

قال ابنُ عباس :

فكان عيسى يُري العجائب في صباه إلْهاماً من الله تعالى ، ففشا ذلك في اليهود ، وترعرع عيسى ، فهمّتْ به بنو إسرائيل ، فخافت أمُّه عليه ، فأوحى الله إليها أنْ تنطلقَ به إلى أرض مصر فذلك قولُه عزّ وجلّ : ﴿ وجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَة ﴾[4] فسُئل ابنُ عباس : ألاَ كانَ آيتان وهما اثنان ؟ فقال : إنما قال آية لأنّ عيسى من أمِه ولم يكنْ من أبٍ لم يشاركْها في عيسى أحد ، فصار آيةً واحدة ﴿ وآوَيْنَاهُمَا إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ ومعين ﴾[4] قال : يعني أرض مِصْر .

قال وَهْب :

ولمّا بلغ عيسى ثلاثَ عشرةَ سنةً أمَرهُ الله تعالى أنْ يرجع من مصر إلى بيت إيلِيَاء[5] ، فقدم عليه يوسف ابنُ خالِ أمّه فحملها على حمار ، حتى جاء بها إلى إيلِيَاء وأقامها حتى أحدث[6] الله تعالى له الإنجيل ، وعلّمه التوراة ، وأعطاه إحياءَ الموتى ، وإبراء الأسْقام ، والعلم بالغيوب بما يدّخرون في بيوتهم ؛ وتحدّث الناسُ بقدومه ، وفزِعوا لما كان يأتي من

---

(١) سورة الكهف ٢٧/١٨

(٢) القلم ١/٦٨

(٣) القضى : حب الزبيب أو نواه اللسان والتاج (قضي) .

(٤) سورة المؤمنون ٥٠/٢٣

(٥) إيلياء : اسم مدينة ببيت المقدس . قيل : معناه بيت الله . انظر معجم البلدان ٢٩٣/١ .

(٦) جانب السطر في الأصل حرف (ط) .

العجائب ، وجعلوا يعجبون منه ، فدعاهم إلى الله ، ففشا فيهم أمْرُه .

وعن عُبادة بن الصامت قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

مَنْ شهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه ، وأنَّ عيسى عَبْدُ الله وكلمتُهُ ألْقاها إلى مَرْيَم ، وروحٌ منه ، وأنَّ الجنَّةَ حقٌ ، وأنَّ النارَ حق ، أدخلَهُ اللهُ الجنَّةَ على ما كان من عمل .

زاد في آخر : وأنَّ الساعة آتيةٌ لا رَيْبَ فيها .

سُئل الأوزاعيُّ عن رجلٍ قال لامرأته : أنتِ طالقٌ ثلاثاً بتَّةً إن لَمْ أكُنْ من أهل الجنة ؟ فقال الأوزاعي : لا يفرِّقُ بينه وبين امرأته ؛ حدَّثني عُمير بن هانئ ، عن جُنَادة بن أبي أميَّة [٤١/آ] عن عُبَادةَ بن الصامت أنَّ النبيَّ ﷺ قال : مَنْ شهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه ، وأنَّ عيسى عبدُهُ ورسولُه وابنُ أمَتِه وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ؛ أدخله الله الجنةَ على ما كان منه فلا يفرِّقُ بينهما بالشكِّ لما جاء من هذا الحديث .

وفي رواية : أدخلَهُ اللهُ من أي أبواب الجنة الثمانية شاء .

وعن يعلى بنِ شدَّاد عن النبيِّ ﷺ قال :

لَيُخرِجنَّ اللهُ بشفاعةِ عيسى بنِ مَرْيَم من جهنَّم مثلَ أهلِ الجنَّة .

أُنزلتِ التوراة على موسى صلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ وعليه وسلم في ستِّ ليالٍ خلَوْنَ من شهر رمضان ؛ ونزل الزَّبُورُ على داودَ صلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ وعليه وسلم في اثنتي عشرةَ خلَتْ من شهر رمضان ، وذلك بعد التوراة بأربعِ مئةِ سنة واثنتين وثمانين سنة ؛ وأُنزل الإنجيل على عيسى بن مريم صلى الله على نبيِّنا محمدٍ وعليه وسلم في ثماني عشرةَ ليلةً خلَتْ من شهر رمضان بعد الزَّبُور بألفِ عام وخمسين عاماً ؛ وأُنزل الفُرْقان على النبيِّ ﷺ في أربعٍ وعشرين من شهر رمضان .

وعن أبي هريرة قال :

أوحى اللهُ تعالى إلى عيسى بن مريم : يا عيسى خُذْ في أمري ولا تَهِنْ ، واسْمَعْ وأطِع ، يابنَ الطاهرةِ البِكْرِ البَتُول ، إنَّك من غير فَحْل ، وأنا خلَقْتُكَ آيةً للعالمين ، إيَّاي فاعْبُدْ ،

وعليٌّ فتوكّلْ ، خُذِ الكتابَ بقوّة ، فسّرْ لأهل السريانيّة السريانيّة ، بلّغْ بين يديك أني أنا الحيُّ القائم الذي لا أزول ، صدّقوا النبيَّ الأُمّيَّ العربيَّ ، صاحبَ الجَمَل والتاج - وهي العِمامة - والمِدْرعة والنعلين والهِراوة - وهو القضيب - الأَنْجَلَ العينين ، الصَّلْتَ الجبين ، الواضحَ الخدَّين ، الجَعْدَ الرأس ، الكثَّ اللحية المَقْرُونَ الحاجبين ، الأقنى الأنف ، المُفَلَّج الثنايا البادِيَ العَنْفَقَة ، الذي كأنَّ عُنُقَه إبريقُ فضَّة ، كأنَّ الذهبَ يجري في تراقيه ، له شعيراتٌ من لَبَّتِهِ إلى سُرَّتِه [٤١/ب] يجري كالقضيب ، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره ، شَثْنَ الكفِّ والقدم ، إذا التفتَ التفتَ جميعاً ، وإذا مشى كأنما يتقلَّعُ من صَخْر وينحدرُ من صَبَب ، عَرَقُهُ في وجهه كاللؤلؤة ، ريحُ المسك يَنْفَحُ منه ، لم يُرَ قبلَهُ ولا بعده - يعني مثله - الحسَنَ القامة ، الطيِّبَ الريح ، نكّاحَ النساء ، ذا النسلِ القليل إنما نَسْلُهُ من مباركة ، لها بيتٌ - يعني في الجنة - من قصب ، لا نَصَبَ فيه ولا صَخَب ؛ تكَفَّلْهُ يا عيسى في آخر الزمان ، كما كفِل زكريّا أُمَّك ، له منها فرَحان مستشهدان وله عندي منزلةٌ ليس لأحد من البشر ، كلامُهُ القرآن ودينُه الإسلام ، وأنا السلام ، طوبى لمن أدرك زمانَهُ وشهد أيّامه وسمع كلامه . قال عيسى: يا ربِّ ! وما طوبى ؟ قال : غَرْسُ شجرة أنا غرستها بيدي ، فهي الجنان كلُّها ، أصْلُها من رضوان وماؤها من تَسْنيم ، وبَرْدُها بَرْدُ الكافور وطعمها طعم الزَّنْجَبيل ، وريحُها ريحُ المسك ، مَنْ شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . قال عيسى : يا رب اسقني منها ، قال : حرامٌ على النبيِّين أنْ يشربوا منها حتى يشربَ ذاك النبيّ ، وحرامٌ على الأمم أن يشربوا منها حتى تشربَ أمّةُ ذاك النبيّ . قال : يا عيسى أرفعك إليّ ، قال : يا رب ! ولِمَ ترفَعُني ؟ قال : أرفعك ثم أُهْبِطُكَ في آخرِ الزمان لترى من أمّة ذلك النبيِّ العجائب ، ولتعينَهُمْ على قتال اللعين الدجّال ، أُهبِطُكَ في وقتِ صلاة ، ثم لا تصلّ بهم لأنهم أمّةٌ مرحومة ، ولا نبيَّ بعد نبيّهم[1] .

ورُوي أنَّ عيسى بن مريم قال : ربِّ أنبئني عن هذهِ الأمّةِ المرحومة ؟ قال : أمّةُ أحمد ﷺ ، هم علماء حُلماء ، كأنّهم أنبياء ، يرضَوْن مني بالقليلِ من العطاء ، وأرضى منهم باليسير من العمل ، وأدْخلُهم الجنة بلا إلهَ إلاّ الله ،يا عيسى هم أكثر سُكّان أهل الجنة لأنها لم تَذِلَّ ألْسُنُ قوم قطُّ بلا إلهَ إلاّ الله ، كما ذلّتْ ألسنتُهم ، ولم تذِلَّ رقابُ قومٍ قطُّ بالسجود [٤٢/آ] كما ذلّتْ رقابهم .

---

(١) إلى جانب السطر في الهامش (ط) .

وعن عبد الله بن عَوْسَجة قال :

أوحى الله إلى عيسى بن مريم : أنزلْني من نفسك كهمك ، واجعلْني ذُخْراً لك في معادك ، وتقرَّبْ إليَّ بالنوافل أُحِبَّك ، ولا تَوَلَّ غيري فأخذلك ، اصبرْ على البلاء ، وارضَ بالقضاء ، وكنْ كسرَّتي فيك ، فإنَّ مسرَّتي أنْ أُطاعَ فلا أُعصى ،وكنْ مني قريبا ، وأحيِ ذِكْري بلسانك ، ولتكن مودَّتي في صدرك تُيَقِّظُ من ساعات الغفلة ، وأحْكِمْ لي لُطْفَ الفطنة ، وكنْ لي راغباً راهباً ، وأمِتْ قلبك من الخشيةِ لي ، وراعِ الليلَ بحقّ مسرَّتي واظْمَ نهارَك ليوم الرِّيِّ عندي ، نافسْ في الخيراتِ جهْدَك ، واعرفْ بالخير حيث توجَّهت ـ تفسيره : يقول : ولتعرف بالخير ـ وقُمْ في الخلائق بنصيحتي ، واحكم في عبادي بعَدْل ، فقد أنزلتُ عليك شفاء وساوسِ الصدر من مرض النسيان وجلاء الأبصار من عَشَا الكلال ؛ ولا تكُنْ حلْساً[1] كأنك مقبوض وأنت حيٌّ تنفس ؛ يا عيسى بن مريم مأمنْتُني خليقةً إلاّ خشعَتْ ، ولا خشعت لي إلاّ رجَتْ ثوابي ، فأشهدك أنها آمنةٌ من عقابي ما لم تُغيِّرْ أو تبدِّلْ سُنَّتي ؛ يا عيسى بنَ مريمَ البِكْرِ البتولِ ، ابْكِ على نفسك أيام الحياة بكاء مَنْ ودَّع الأهل وقلى الدنيا ، وترك اللذاتِ لأهلها وارتفعت رغبته فيما عند إلهه ، وكنْ في ذلك تلينُ الكلام ، وتُفْشي السلام وكنْ يقظاناً[2] إذا نامتِ عيونُ الأنام حذارَ ما هو آتٍ من أمر المعاد ، وزلازل شدائد الأهوال قبل أنْ لا ينفعَ أهلٌ ولا مال ، واكحل عينك بمُلْمُول[3] الحُزْنِ إذا ضحك البطَّالون ، وكنْ في ذلك صابراً محتسباً ، فطوبى لك إنْ نالكَ ما وعدتُ الصابرين ، زَجٌّ من الدنيا بالله[4] ، يومٌ بيوم ، وذُقْ مَذَاقَه ، ما هرب منك أين طَعْمُه ؟ وما لم يأتك كيف لذَّتُه ؟ فزَجٌّ من الدنيا بالبُلْغَة ، وليكفِكَ منها [٤٢/ب] الخَشِنُ الخَشِب ، قد رأيتَ إلى ما تصير ؛ اعمل على حساب ، فإنك مسؤول ؛ لو رأتْ عينَكَ ما أعددْتُ لأوليائي الصالحين ذاب قلبك ، وزَهَقَتْ نفسُك .

---

(١) الحلس : اللازم الذي لا يبرح مكانه . اللسان (حلس) .

(٢) كذا بالتنوين ، وهو جائز على لغة بني أسد في تأنيث « فعلان » على « فعلانة » . انظر شرح المفصل ٦٧/١ والنحو الوافي ٢١٧/٤ .

(٣) الملمول : المِكحال يُكتحل به . المعجم الوسيط (ململ) .

(٤) في اللسان : تزجّى بكذا ، اكتفى به . وفي الأساس : وهو يُزَجّي أيامه بشيء يسير ، وهو يتزجّى ببلاغ ؛ قال :

تزجّ من دنياك بالبلاغ

زاد في آخر : اشتياقاً إليهم .

كان عيسى يصلّي على رأس جبل ، فأتاه إبليس فقال : أنت الذي يزعم أنّ كلّ شيءٍ بقضاءٍ وقدر ؟ قال: نعم ، قال : ألقِ نفسك من الجبل وقل قُدّر علي ، قال : يا لعين ! اللهُ يختبرُ العباد ، ليس العبادُ يختبرون اللهَ عزّ وجلّ .

وفي حديثٍ بمعناه : فقال : أمَا علمت أنّ الله تعالى قال : لا يجرّبْني عبدي فإني أفعَلُ ماشئت .

صلّى عيسى بن مريم ببيتِ المقدس فانصرف ، فلمّا كان ببعض العقبة عرض له إبليس فاحتبسه ، فجعل يعرضُ عليه ويكلّمه ويقول له : إنه لا ينبغي لك أنْ تكون عبداً ؛ فأكثر عليه وجعل عيسى يَحْرِصُ على أن يتخلّص منه ، فجعل لا يتخلّص منه ، فقال له فيما يقول : لا ينبغي لك ياعيسى أن تكون عبداً ؛ فاستغاث عيسى بربّه فأقبل جبريلُ وميكائيل ، فلمّا رآهما إبليس كفّ ، فلما استقرّا معه على العقبة اكتنفا عيسى ، وضرب جبريلُ إبليسَ بجناحه فقذفه في بطنِ الوادي ، قال : فعاد إبليس معه وعلم أنها لم يُؤمرا بغير ذلك ، فقال لعيسى : قد أخبرتك أنه لا ينبغي لك أنْ تكونَ عبداً ، إنّ غضَبَك ليس غضبَ عبد ، وقد رأيتُ مالقيتُ منك حين غضِبت ، ولكنْ أدعوك[1] إلى أمرٍ هو لك ، آمُرُ الشياطين فليُطيعوك ، فإذا رأى الإنس أنّ الشياطين قد أطاعوك عبدوك ، أما إني لا أقول أنْ تكونَ إلهاً ليس معك إله ، ولكنّ الله يكون إلهاً في السماء وتكونُ أنت إلهاً في الأرض ، فلمّا سمع عيسى ذلك منه استغاث بربّه وصرخ صَرْخةً شديدة ، فإذا إسرافيلُ قد هبط فنظر إليه جبريلُ وميكائيل فكفّ إبليس ، فلمّا استقرّ معهم ضرب إسرافيل إبليسَ بجناحه فصَكّ به عين الشمس ، ثم ضربه ضربةً أخرى [٤٣/أ] فأقبل إبليس يهوي ، ومرّ بعيسى وهو مكانه فقال : ياعيسى لقد لقِيتُ منك اليوم تعباً شديداً ، فرمى به في عين الشمس ، وجرّهُ سبعةُ أملاك عند العين الحامية ؛ قال : فغطّوه ، فجعل كلّما خرج غَطّوهُ في تلك الحَمْأة . قال : والله ما عاد إليه بعد .

---

(١) تكرر في الأصل لفظ « ولكن أدعوك » مرتين .

قال أبو حُذيفة :

واجتمع إليه شياطينه فقالوا : سيِّدَنا قد لقيتَ تعباً ! قال : إنَّ هذا عبد معصوم ليس لي عليه من سبيل ، وسأُضِلُّ به بشراً كثيراً وأَبُثُّ فيهم أهواء مختلفة ، وأجعَلُهم شِيعاً ، ويجعلونه وأُمَّهُ إلهين من دون الله . وأنزل الله فيما أيَّد به عبدَهُ عيسى وعصَمَهُ من إبليس قرآناً ناطقاً يذكر نعمتَه على عيسى فقال : ﴿ يا عيسى ابنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عليكَ وَعَلى والِدَتِكَ إذْ أيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾[1] يعني إذْ قوَّيْتُك بروح القدس يعني جبريل ﴿ تُكَلِّمُ الناسَ في المَهْدِ وكَهْلاً ، وإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ ﴾ يعني الانجيلَ والتوراة ﴿ والحِكْمَةَ ﴾ ﴿ وإذْ كَفَفْتُ بني إسْرائيل عَنْكَ ﴾[1] الآية كلّها ، وإذْ جعلتُ المساكينَ لك بطانةً وصحابةً وأعواناً ترضى بهم ، وصحابةً وأعواناً يرضَوْنَ بك هادياً وقائداً إلى الجنة ، فذلك فاعلم خُلقانِ عظيمان ، من لَقِيَني بهما فقد لقيني بأزْكى الخلائق وأرضاها عندي ، وسيقولُ لك بنو إسرائيل : صُمنا فلم يقبَلْ صيامنا ، وصلَّينا فلم يقبَلْ صلاتنا ، وتصدَّقنا فلم يقبل صدقاتِنا ، وبكينا بمثل حَنِين الجمال فلم يرحَمْ بكاءنا ؛ فقلْ لهم : ولِمَ ذاك ؟ وما الذي يمنعُني ؟ أنَّ ذاتَ يدي قلَّتْ ؟ أوليس خزائنُ السمواتِ والأرض بيدي أُنفقُ منها كيف أشاء ؟ أو أنَّ البخلَ يعتريني ؟ أو لستُ أجودَ من سُئِل وأوسع مَنْ أعطى ؟ وأنَّ رحمتي ضاقَتْ ؟ وإنما يتراحَمُ المتراحمون بفضل رحمتي . ولولا أنَّ هؤلاء القوم يا عيسى بن مريم غذَّوْا أنفسهم بالحكمة التي نوَّرتْ في قلوبهم ، فاستأثروا به[2] الدنيا أثرةً على الآخرة لعرفوا من أين أُتوا ، وإذاً لأيقنوا أنَّ أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم ، وكيف أقبَلُ صيامهم وهم يتقوَّوْنَ عليه [٤٣/ب] بالأطعمة الحرام ؟ وكيف أتقبل صلاتَهم وقلوبهم تركن إلى الذين يحاربوني[3] ويستحلُّون محارمي ! ؟ وكيف أقبل صدقاتِهم وهم يَغْصِبون الناس عليها فيأخذونها من غَيْرِ حِلِّها ؟ ! يا عيسى ، إنما أجزي عليها أهلها ؛ وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطرُ من دماء الأنبياء ؟ ! ازددتُ عليهم غضباً ، يا عيسى ، وقضيتُ يوم خلقتُ السماوات والأرض أنه من عبَدك

(١-١) سورة المائدة ١١٠/٥

(٢) كذا الأصل والتاريخ .

(٣) كذا بحذف إحدى النونين ، وهو جائز استخفافاً . انظر الكتاب ٥١٩/٣ (١٥٤/٢) وشرح الكافية ٢٣٠/٢ والنحو الوافي ١٨٠/١ . وسيرد منه كثير دون أن أشير إليه .

وعبّد أُمّك وقال فيكما بقولي أنْ أجعلهم جيرانك في الدار ، ورفقاءَك في المنازل ، وشركاءك في الكرامة ؛ وقضيتُ يوم خلقتُ السماواتِ والأرض أنه من اتخذك وأُمّك إلهين من دون الله أنْ أجعلَهم في الدَّرْكِ الأسفل من النار ؛ وقضيتُ يوم خلقتُ السماواتِ والأرض أني مسبِّبٌ هذا الأمر على يدي محمد ، وأختم به الأنبياءَ والرسل ، ومولدهُ بمكة ، ومُهَاجَرَهُ بطَيْبَة ، وملكَهُ بالشام ، وليس بفظٍّ ولا غليظ ، ولا سَخّاب[1] في الأسواق ، ولا متزيِّنٍ بالفحش ، ولا قوّالٍ بالخنا ، أُسدِّدُهُ لكلِّ أمرٍ جميل ، وأهَبُ له كلَّ خُلقٍ كريم ، أجعلُ التقوى ضميرَه ، والحِكْمةَ معقولَه ، والوفاءَ طبيعتَه ، والعَدْلَ سيرتَه ؛ والحقَّ شريعتَه ، والإسلام مِلّتَه ، واسْمُه أحمد ، أهدي به بعد الضلالة ، وأُعلِّم به بعد الجهالة ، وأُغني به بعد العايلة[2] ، وأرفعُ به بعد الضَّعة ، أهدي به وأفتح به من آذانٍ صُمّ ، وقلوبٍ وأهواء مختلفةٍ متفرّقة ، أجعل أُمّتَه خيرَ أمةٍ أُخرجَتْ للناس ، تأمُر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، إخلاصاً لاسمي وتصديقاً لما جاءتْ به الرسل ، أُلهمُهم التسبيحَ والتهليل والتقديسَ في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومتقلَّبهم ومثواهم ، يصلُّون لي قياماً وقعوداً ورُكّعاً وسُجّداً ، ويُقاتلون في سبيلي صفوفاً وزُحوفاً ، قُرْبانُهم دماؤهم ، وأناجيلُهم في صدورهم ، وقُرْباتُهم في بطونهم ، رهبانٌ بالليل ، ليوثٌ بالنهار ، ذلك فضلي أوتيهِ مَنْ أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه :

كان دعاءُ عيسى بن مريم [٤٤/آ] الذي يدعو بهِ للمرضى والزَّمْنى والعميان والمجانين : اللهمَّ أنت إلهُ مَنْ في السماء وإلهُ مَنْ في الأرض ، لا إلهَ فيهما غيرُك ، وأنت جبّارُ مَنْ في السماء وجبّارُ مَنْ في الأرض ، لا جبّار فيهما غيرُك ، وأنت مَلِكُ مَنْ في السماء ومَلِكُ مَنْ في الأرض ، لا مَلِكَ فيهما غيرُك ، قدرتُك في الأرض كقدرتك في السماء ، وسلطانُكَ في الأرض كسلطانك في السماء ، أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير ومُلْكِك القديم إنك على كلِّ شيءٍ قدير .

قال وهب : هذا للفَزِع والمجنون ، يُقرأ عليه ويُكتب له ويُسقى ماءه إن شاء الله .

---

(١) سخّاب : من الصخب ، وهو الصياح . وفي الحديث في ذكر المنافقين : « خُشُبٌ بالليل سُخبٌ بالنهار » أي إذا جنّ عليهم الليل سقطوا نياماً ، فإذا أصبحوا تساخبوا على الدنيا شُحّاً وحِرْصاً . التاج (سخب) .

(٢) كذا في الأصل والتاريخ ، والوجه (العَالة) لتناسب الفاصلة قبلها من جهة ، ولعدم وجود معنى الفاقة في لفظ (العائلة) من جهة أخرى .

كان عيسى بنُ مريم إذا أراد أنْ يُحيِيَ الموتى صلَّى ركعتين يقرأ في الأولى ﴿ تبارَكَ الذي بيدِهِ المُلْك ﴾[1] وفي الثانية ﴿ تَنْزِيلُ ﴾[2] السجدة ، فإذا فرغ مدح اللهَ وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء : يا قديم ! يا حيّ ! يا دائم ! يا فَرْد ! يا وِتْر ! يا أحَد ! يا صَمَد !

قال البيهقي : ليس هذا بالقويّ .

وعن هلال بن خبّاب قال :

سألَتْ بنو إسرائيل عيسى بنَ مريم عليه السلام فقالوا : يا رُوحَ الله وكلمتَه ، إنَّ سامَ بن نُوح دُفن هاهنا قريباً ، فادْعُ اللهَ أنْ يبعثه ، قال : فهتف نبيُّ الله فلم يرَ شيئاً فقال : أتتعنَّتُوني[3] !؟ فقالوا : ما نتعنَّتُك ، لقد دُفن ها هنا قريباً ، فهتف نبيُّ الله فخرج أشمط ، قالوا : يا نبيَّ الله ! إنه مات وهو شاب ، فما هذا البياض ؟ فسأله فقال : ظننتُ أنها الصيحة ففزِعت ، قالوا : دَعْهُ يكنْ فينا ، قال : كيف يكونُ فيكم وقد نفِد رِزْقُه ! .

وحدث جماعةٌ عن عِبَرِ عيسى وقصته ، وما كان من الآيات والعجائب ، وزاد بعضُهم عن بعض قالوا : إنَّ أوَّلَ مَنْ أحيا عيسى بنُ مريم من الموتى حين قال لهم ﴿ إني أخلقُ من الطِّين ﴾ بإذْنِ الله ﴿ وَأُحْيِي الموتى بإذْنِ اللهِ وأُنَبِّئُكُمْ بما تَأْكُلونَ وما تَدَّخِرُونَ في بيوتكم ﴾[4] فتعاظم ذلك عند الكفار والمنافقين فأنكروه ، وازداد المؤمنون بذلك إيماناً ؛ فكانتِ اليهودُ تجتمعُ إليه في ذلك ويستهزئون به ويقولون له : يا عيسى ، ما أكل فلانٌ البارحة وما ادَّخر في بيته لغدٍ ؟ فيخبرهم ، فيسخرون منه حتى طال ذلك به [٤٤/ب] وبهم ، وكان عيسى ليس له قرارٌ ولا موضعٌ يُعرف ، إنما هو سائحٌ في الأرض فمرَّ ذاتَ يوم بامرأةٍ قاعدةٍ عند قبرٍ وهي تبكي فقال لها : ما لكِ أيتها المرأة ؟ فقالت : ماتتِ ابنةٌ لي لم يكن لي ولد غيرها ، وإني عاهدتُ ربِّي أنْ لا أبرحَ من موضعي هذا حتى أذوقَ ما ذاقتْ من الموت ، ولا أبرحُ من موضعي أو يبعثها اللهُ لي فأنظر إليها أو أحشر معها من موضعي ، لو يحييها الله لي فأنظر إليها ، فقال عيسى : إنْ نظرتِ إليها أراجعةٌ أنت ؟ قالت : نعم ،

---

(١) سورة الملك ١/٦٧

(٢) سورة السجدة ٢/٣٢

(٣) تعنته : سأله عن شيء أراد به اللبْس عليه والمشقة . اللسان (عنت) .

(٤) سورة آل عمران ٤٩/٣

قال : فصلّى عيسى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر ، فنادى يا فلانة ، قومي بإذن الرحمن فاخرجي ، قال : فتحرك القَبْر ، ثم نادى الثانية ، فانصدع القبر بإذن الله ، ثم نادى الثالثة فخرجَتْ وهي تنفُضُ رأسها من التراب ، فقال لها عيسى : ما بطْأ بكِ عني ؟ قالت : لما جاءَتْني الصيحةُ الأولى بعث الله لي ملكاً فركَّب خَلْقي ، ثم جاءتني الصيحةُ الثانية فرجَع إليَّ رُوحي ، ثم جاءتني الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحةُ القيامة ! فشاب رأسي وحاجباي وأشفار عيني من مخافة القيامة ، ثم أقبلَتْ على أمها فقالت يا أمتاه ! ما حملكِ على أنْ أذوقَ كَرْبَ الموتِ مرتين ؟ يا أمتاه ، اصبري واحتسبي فلا حاجةَ لي في الدنيا ، يا رُوحَ اللهِ وكلمتَه يسأل ربي أن يردَّني إلى الآخرة وأن يُهَوِّنَ عليَّ كربَ الموت ، قال : فدعا ربَّه ، فقبضها إليه ، فاستوَتْ عليها الأرض .

فبلغ ذلك اليهود ، فازدادوا عليه غضباً ، وكان مَلِكٌ منهم في ناحيةٍ منهم في مدينةٍ يقال لها نَصِيبين[1] جبَّاراً عاتياً ، وأمر عيسى بالمسير إليه ليدعوَه وأهلَ تلك المدينةِ إلى المراجعة . قال : فمضى حتى شارف المدينة ومعه الحواريُّون ، فقال لأصحابه : ألا رجلٌ منكم ينطلق إلى المدينة فينادي فيها فيقول : إنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه . قال : فقام رجلٌ من الحواريِّين يقالُ له يعقوب فقال : أنا يا رُوحَ اللهِ وكلمتَه ؛ قال : فاذْهَبْ فأنت أولُ من يبرُّ أُمتي . فقام آخر يقالُ له توصار قال له : أنا معه ، قال : وأنت معه ؛ ومشيا ، فقام شمعون فقال : يا رُوحَ اللهِ وكلمتَه ! أكونُ [٤٥/آ] ثالثهم ؟ فأُذَنْ لي بأنْ أنالَ منك إن اضطُرِرْتُ إلى ذلك ، قال : نعم .

قال : فانطلَقوا ، حتى إذا كانوا قريباً من المدينة فقال لهما شمعون : ادخلا المدينة فبلِّغا ما أُمِرْتما وأنا مقيمٌ مكاني ، فإن ابتليتما احتلتُ لكما . فانطلقا حتى دخلا المدينة ، وقد تحدَّث الناسُ بأمر عيسى وهم يقولون فيه أقبحَ القول وفي أُمِّه ، فنادى أحدهما ـ وهو الأول ـ ألا إنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه ؛ فوثبوا إليهما : من القائل إنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه ؟ فتبرَّأ الذي نادى فقال : ما قلتُ شيئاً ؛ فقال الآخر : قد قلتَ وأنا أقوله : إنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، فآمِنُوا به يا معشر بني إسرائيل خيرٌ لكم . فانطلقوا به إلى ملكهم ـ وكان جبَّاراً طاغياً ـ فقال له : ويلك ! ما تقول ؟ قال : أقولُ إنَّ

(١) مضى تعريف نصيبين ص ٦ ح ٣ .

عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ؛ قال : كذبت ؛ فقذفوا عيسى وأمَّهُ بالبُهْتان ، ثم قال له : تبرَّأْ ويلك من عيسى وقُلْ فيه مقالتَنا ! فقال : لا أفعل ، فقال الملك : إنْ لم تفعل قطعتُ يديك ورجليك وسَمَرْتُ عينيك[1] ، فقال : افعلْ ما أنت فاعل . قال : ففعل به ذلك ، فألقاه على مزبلةٍ في وسط مدينتهم .

قالوا : قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : كونوا كحواريِّي عيسى بنِ مريم ، رُفعوا على الخشب وسُمروا بالمسامير وطُبخوا في القدور ، وقُطعت أيديهم وأرجلُهم وسُمرَتْ أعينُهم فكان ذلك البلاءُ والقتل في طاعة الله أحبَّ إليهم من الحياة في معصية الله .

قال الرواة : إنَّ الملك همَّ أنْ يقطعَ لسانَهُ إذْ دخل شمعون وقد اجتمع الناس ، فسلم ، فلما نظروا إليه أنكروه ، فقال لهم : ما قال هذا المسكين ؟ قالوا : يزعمُ أنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه ، فقال شمعون : أيُّها الملك أتأذَنُ لي فأدْنُوَ منه فأسألَه ؟ قال : نعم ، فقال له شمعون : أيُّها المبتلَى ! ما تقول ؟ قال : أقول : إنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه ، قال : فما آيتُه [٤٥/ب] نعرفه ؟ قال : يُبرئُ الأكْمَهَ والأبرصَ والسقيم ، قال : هذا يفعله الأطباء فهل غيره ؟ قال : نعم ، يخبرُكم بما تأكلون وما تدَّخرون ، قال : هذا يعرفه الكهنة فهل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، يخلقُ من الطين كهيئة الطير ، قال : هذا قد تفعله السحرة ، يكون أخذَهُ منهم . قال : فجعل يتعجَّبُ الملك منه وسؤاله ، فقال : هل غير هذا ؟ قال : نعم ، يُحيي الموتى ، قال : أيُّها الملك ! إنه ذكر أمراً عظيماً ! وما أظنُّ خَلْقاً يقدِرُ على ذلك إلاَّ بإذْن الله ، ولا يقضي الله ذلك على يديْ ساحرٍ كذَّاب ، فإنْ لم يكن عيسى رسولاً فلا يقدرُ على ذلك ، وما فعل اللهُ ذلك بأحد إلاَّ بإبراهيم حين سأله ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموتى ﴾[2] ومَنْ مثل إبراهيم خليل الرحمن ! فقال الله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى ﴾[2] .

ذكر الحسن

أنَّ عيسى بنَ مريم مرَّ ومعه ناسٌ من الحواريِّين ، فأتَوا على ذهبٍ كثير موضوع ، فقال عيسى النجاء النجاء ! إنما هي النار . ثم مضى ومضى أصحابه ، وتخلَّف منهم ثلاثة ،

---

(١) سَمْرُ العين مثل سَمْلِها ، وفي حديث العرنيين : فسمَرَ النبي ﷺ أعينهم ، أي أحمى لهم مسامير الحديد ثم كحلهم بها ، أو سملها بمعنى فقأها بشوك أو غيره . التاج (سمر) .

(٢) سورة البقرة ٢٦٠/٢

فقال رجلانِ منهم لصاحبها : إنا لا نستطيع هذا الذهب إلاَّ أنْ نحملَه على شيء فخذ من هذا الذهب فاشترِ لنا به طعاماً واشترِ لنا ظَهْراً نحمل عليه من هذا الذهب . فانطلق لما أمراهُ به ، فأتى الشيطان للرجلين فقال لهما : إذا أتاكما فاقتلاه واقسما المال نصفين ، فلمَّا أحكم أمرها انطلق إلى الآخر فقال : إنك لن تُطيق هذين ، فاجعَلْ في الطعام سُمًّا فأطْعِمْهما واذهبْ بالمالِ وحْدَك . فابتاعَ من المدينة سُمًّا ، فجعله في طعامها ؛ فلما أتاهما وثبا عليه فقتلاه ، ثم قرَّبا الطعام فأكلا منه فماتا . فانطلق عيسى إلى حاجته ثم رجع ، فإذا هو بهم قد مُوِّتوا عند الذهب فقال : انظروا إلى هؤلاء ! ثم حدثهم حديثهم ، ثم قال لأصحابه : النجاء النجاء ! فإنما هي النار .

وعن ابن عباس قال :

لَّما بعث الله عيسى وأمَرَه بالدعوة لقيه بنو إسرائيل فأخرجوه ، فخرج هو وأُمُّه يسيحون في الأرض ، فنزلوا في قرية على [٤٦/آ] رجلٍ فأضافهم فأحسن إليهم ، وكان للمدينة مَلِكٌ جبَّارٌ معتدٍ ، فجاء ذلك الرجل يوماً وقد وقع عليه هَمٌّ وحزن ، فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها : ما شأنُ زوجِك أراهُ حزيناً ؟ فقالت : لا تسَليني ، قالت : أخبريني لعلَّ الله يفرجُ كربَه ، قالت : فإنَّ لنا ملكاً يجعل على كلِّ رجلٍ منا يوماً يطعمه هو وجنوده ويسقيهم الخمر ، فإنْ لم يفعلْ عاقبه ، وإنه قد بلغَتْ نَوْبَتُه اليومَ ، يريدُ أنْ يصنعَ له فيه ، وليس الآن عندنا سَعَة ، قالت : فقولي له فلا يهتم ، فإني آمُرُ ابني فيدعو له ، فيلقى ذلك ، فقالت مريم لعيسى في ذلك ، فقال عيسى : يا أمَّهْ ! إني إنْ فعلت كان في ذلك شرّ ! قالت : لا تبالي فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا ، فقال عيسى : فقولي له إذا اقترب ذلك فامْلأْ قدورَكَ وخوابيك ماءً ثم أعْلِمْني ، فلما ملأهنَّ أعلمه ، فدعا الله ، فتحوَّل ما في القدور لحماً ومرقاً وخبزاً ، وما في الخوابي خمراً لم ير الناسُ مثلهُ قطّ ، فلما جاءه الملك أكل منه ، فلمَّا شرب الخمر سأل : من أين لك هذا الخمر ؟ قال : هو من أرض كذا وكذا ، قال الملك : فإن خمري أوتي به من تلك الأرض ، وليس هو مثل هذا ! قال : هو من أرضٍ أخرى : فلمَّا خلَّط على الملك اشتدَّ عليه فقال : أنا أخبرك ، عندي غلامٌ لا يسألُ اللهَ شيئاً إلا أعطاه ، وإنه دعا الله فجعل الماء خمراً ، فقال له الملك ـ وكان له ابنٌ يريد أنْ يستخلفه فمات قبل ذلك بأيّام ـ وكان أحبَّ الخلقِ إليه ـ فقال : إنَّ رجلاً دعا الله فجعل الماء خَمْراً لَيُستجابَنَّ له حتى يُحيِيَ ابني ؛ فدعا عيسى فكلَّمه وسأله أنْ يدعوَ الله أنْ يُحيِيَ ابنه ، فقال

عيسى : لا تفعلْ إنه إنْ عاش كان شرًّا ! قال الملك : ليس أبالي ، أليس أراه ؟ فلا أبالي ما كان ؛ قال عيسى : فإنْ أحييتُهُ تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء ، قال الملك : نعم . فدعا الله ، فعاش الغلام ، فلما رآه أهلُ مملكته قد عاش تنادَوْا بالسلاح وقالوا : أكَلَنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أنْ يستخلفَ علينا ابنَهُ فيأكلنا كما أكَلَنا أبوه . فاقتتلوا .

وذهب عيسى وأمُّه ، وصحِبَهما يهوديّ ، وكان مع اليهودي [٤٦/ب] رغيفان ومع عيسى رغيف ، فقال له عيسى تشاركُني ؟ قال اليهودي : نعم . فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلاَّ رغيف ندم ، فلمَّا ناما جعل اليهودي يريدُ أن يأكل الرغيف أكل لقمة ، قال له عيسى : ما تصنع ؟ فيقول له : لا شيء ، فيطرحها ، حتى فرغ من الرغيف كلِّه ، فلمَّا أصبحا قال له عيسى : هلمَّ طعامَك ، فجاء برغيف فقال له عيسى : أين الرغيف الآخر ؟ قال : ما كان معي إلا واحد ، فسكت عنه ؛ وانطلقوا فمرُّوا براعي غنم ، فنادى عيسى : يا صاحب الغنم ، أجْزِرْنا[1] شاةً من غنمك ، قال : نعم ، أرسلْ صاحبك يأخذها ، فأرسل عيسى اليهودي ، فجاء بالشاة فذبحوها وشوَوْها ، ثم قال لليهودي : كُلْ ولا تكسِرْ عظماً ؛ فأكلا ، فلمَّا شبعوا قذف عيسى العظام في الجلد ، ثم ضربها بعصاه وقال : قومي بإذن الله . فقامت الشاة تثغو ، فقال : يا صاحب الغنم ، خُذْ شاتك ، فقال له الراعي : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عيسى بنُ مريم . قال : أنت الساحر ! وفرَّ منه . قال عيسى لليهودي : بالذي أحيا هذه الشاةَ بعدما أكلناها ، كم كان معك من رغيف ؟ قال : فحلف ما كان معه إلاَّ رغيف واحد ؛ فمرَّ بصاحب بقر ، فقال له : يا صاحبَ البقر ، أجْزِرْنا من بقرك هذه عِجْلاً ، فقال : ابعثْ صاحبكَ يأخذه . فقال : انطلقْ يا يهوديّ فجِئْ به . فانطلق فجاء به فذبحوه وشوَوْه ، وصاحبُ البقر ينظر ، فقال له عيسى : كُلْ ولا تكسِرْ عظماً فلمَّا فرغوا قذف العظامَ في الجلد ثم ضربه بعصاهُ وقال ، قُمْ بإذن الله ؛ فقام ، له خُوار ، فقال : يا صاحب البقر ، خُذْ عِجْلَك ، قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا عيسى ، قال : أنت عيسى الساحر ! ثم فرَّ منه . قال اليهودي : يا عيسى أحييتهُ بعدما أكلناه ! قال : يا يهودي ، فبالذي أحيا الشاةَ بعدما أكلناها ، والعجلَ بعدما أكلناه كم رغيفاً كان معك ؟ فحلف بذلك ما كان معه إلاَّ رغيف

---

(١) أجزرْنا : أي أعطنا شاة تصلح للذبح ؛ وأجزر فلان القومَ : أعطاهم جزوراً . اللسان (جزر) .

واحد .فانطلقا حتى نزلا قريةً ، فنزل اليهوديُّ في أعلاها وعيسى في أسفلها ، وأخذ اليهوديُّ عصاً [٤٧/آ] مثل عصا عيسى وقال : أنا الآن أحيي الموتى . وكان ملكُ تلك القرية مريضاً شديدَ المرض ، فانطلق اليهوديُّ ينادي من يبغي طبيباً ؟ حتى أتى ملكَ تلك المدينة ، فأخبر بوجعه فقال : أدخلوني عليه فأنا أُبرئُه ، وإنْ رأيتموه قد مات فأنا أُحييه . فقيل له : إنَّ وجع الملك قد أعيا الأطباءَ قبلك ، ليس من طبيب يداويه ولا يُغني دواؤه شيئاً إلاَّ أمَر به فَصُلب ، فقال : أدخلوني عليه فإني سأبرئه ؛ فأُدخل عليه ، فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات ! فجعل يضربُه وهو ميت ويقول : قُمْ بإذن الله ، فأُخذ ليُصلَب فبلغ عيسى ، فأقبل عليه وقد رُفع على الخشبة فقال : أرأيتم إنْ أحيَيْتُ لكم صاحبَكم أتتركون لي صاحبي ؟ قالوا : نعم ، فأحيا عيسى الملك ، فقام وأُنزل اليهودي ، فقال : يا عيسى ! أنت أعظم الناس عليَّ مِنَّةً ! والله لا أُفارقك أبداً . فخرجوا فمرُّوا بثلاث لبنات ، فدعا اللهَ عزَّ وجلَّ عيسى فصيَّرهُنَّ من ذهب ، قال : يا يهودي لَبِنةٌ لي ولَبِنةٌ لك ولَبِنةٌ لمن أكل الرغيف ؛ قال : أنا أكلتُ الرغيف .

وعن ابن عباس

أنَّ عيسى بن مريم قال للحواريِّين : صوموا ثلاثين يوماً ، ثم سلوا الله ما شئتم يُعْطِكموه . فصاموا ، فلمَّا قَضَوا ثلاثين يوماً قالوا لعيسى : يا معلم الخير ، إنه لو عملنا لأحد وقضينا عمله أطعَمَنا طعاماً ، وإنَّا قد صُمْنا الذي أمَرْتنا به ، فادْعُ الله أنْ يُنزِّل علينا مائدةً من السماء ، فنزلت الملائكة بمائدةٍ يحملونها ، عليها سبعة أحْوات وسبعة أرغفة ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولُهم .

وفي حديثٍ آخر : فأنزلها الله عليهم ، فكان يُنزل عليهم كلَّ يوم تلك المائدةَ من ثمار الجنة ، فيأكلون من ضروب شتى ، فكان يقعد منا أناسٌ يلطِّخون ثيابنا ، فلو بنينا لها بناءً حتى نرفعها ؛ فبنَوْا لها بناءً ، فلما فعلوا ذلك أنزلها الله عليهم ذلك اليوم ، فجاء أشرافهم وأصحاب الثياب ، فارتفعوا على غيرهم ، فأكلوا ذلك منها ثم رفعها الله عنهم حين بدَّلوا أمْرَ الله عزَّ وجلّ .

[٤٧/ب] وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ :

أُنزلتِ المائدةُ من السماء خبز ولحم ، وأُمروا أنْ لا يَخْبَؤوا ولا يدَّخروا ولا يرفعوا لغدٍ ، فخانوا وادَّخروا وخَبَؤوا ، فَمُسِخوا قِردةً وخنازير .

وعن سَلْمان

أنه قال في المائدة التي أنزلها الله على عيسى قال : لَمَّا سأل الحواريُّون عيسى ـ وذلك أنهم حين سألوه ـ قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئنَّ قلوبُنا للذي رأينا من العجائب ، ونكون عليها من الشاهدين . قال : فقام عيسى فألقى عنه الصوف ولبس جُبَّةً من شعر ولحافاً من شعر ، ثم وضع يمينَهُ على شماله وصفَّ قدميه ، وألصق كعب قدمه مع الآخر ، وسوَّى بين إبهاميه ، وطأطأ رأسَهُ خاشعاً لله عزَّ وجلّ ، وأرسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو الله ويتضرَّع ، ثم قال : ﴿ اللهمَّ ربَّنا أنزِلْ علينا مائدةً من السماءِ تكونُ لنا عِيداً لأوَّلِنا وآخرِنا ﴾[1] يعني تكونُ لنا عظةً ﴿ وآيةً منك ﴾ يقول : علامة بيننا وبينك ﴿ وارْزُقْنا ﴾ عليها طعاماً نأكله وارزقنا ﴿ وأنْتَ خَيْرُ الرازقين ﴾[1] فنزلَتْ سُفْرَةٌ حمراء بين غمامتين ، غمامة من فوقها وأخرى من تحتها ، تهوي منقضَّةً في الهواء والناس ينظرون إليها ! فأوحى الله تعالى : يا عيسى هذه المائدة ، فمن كفر بعد ذلك ﴿ منكم فإني أعذِّبُه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾[2] . فبلَّغ عيسى قومه فقالوا : نعم ، فقال الله : يا عيسى إنْ كفروا أخذتُهم بالشَّرْط . ونزلتِ المائدة وعيسى يبكي ويقول : إلهي اجعلْها رحمةً ولا تجعلها عذاباً ! كم أسألك من العجائب [فتعطيني ، إلهي ، أعوذُ بك أن يكونَ نزولُها عذاباً ورِجْزاً ، وأسألك أن تجعلَها عافيةً وسلامةً ، ولا تجعلْها مُثْلَةً ولا فتنة] فمازال [ ][3] يدعو ويتضرَّع حتى استقرَّت بين يدي عيسى ، والناس حوله [يجدون ريحَ][3] طيبها ، لم يجدوا ريحاً قطُّ أطيبَ منها ، فخرَّ عيسى ساجداً ، وسجد الحواريُّون [٤٨/آ] معه .

---

(١) سورة المائدة ١١٤/٥

(٢) سورة المائدة ١١٥/٥

(٣) ما بين معقوفين بياض في اللوحة ناشئ عن سوء التصوير ، استدركته من التاريخ (س) ٢٧/١٤ أ .

وبلغ ذلك اليهود ، فأقبلوا مغمومين مكروبين ، فنظروا إلى أمرٍ مُعجِب ، فإذا سفرةٌ مغطَّاةٌ بمنديل ، فرفع عيسى رأسَه واستوى قاعداً ، فقال : لننظر مَنْ كان خيرنا وأوثقنا بنفسه ، وأحسننا عملاً عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى ننظرَ إليها ونأكلَ منها ونحمدَ الله عليها ؛ فقال الحواريُّون : أنت أولانا وأحقُّنا يا روحَ الله ! فقام عيسى فتوضأ وضوءاً حسناً وصلَّى صلاةً حسنة ، ودعا دعاءً كثيراً وبكى بُكاءً طويلاً ، ثم جلس عند السُّفْرة ثم قال : بسم الله خيرِ الرازقين وكشف المِنْديل ، فإذا سمكةٌ مشويَّة وليس عليها فُلُوس[1] ولا فيها شوك ، يسيلُ السمنُ منها سيلاناً وقد نُضد حولها من ألوان البقول إلاَّ الكُرَّاث ، وخلٌّ عند رأسها وملْحٌ عند ذنبها ، وخمسةُ أرغفةٍ على كل رغيف زيتون وخمسُ رُمَّانات وتُميرات ، فقال شمعون وهو رأسُ الحواريِّين : يا رُوحَ الله وكلمتَه ! أمِنْ طعامِ الدنيا أو من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى : ما أخوفَني عليكم أنْ تُعاقَبوا ! فقال : لا و إلهِ بني إسرائيل ما أردتُ بما سألتُك عنه سوءاً ، فقال عيسى : نزلَتْ وما عليها من السماء ، وليس شيءٌ منها من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ، وهي مما ابتدعه الله بالقدرة البالغة ، فقال : كُنْ فكان ، فقال : كلوا مما سألتم واذكروا اسم الله عليه واحْمَدُوا إلهكم واشكروه يزدْكم ، فإنه القادرُ على ما يشاء إذا يشاء ، فقال الحواريُّون : يا روحَ الله ! كنْ أنت أوَّلَ مَنْ يأكلُ منها ثم نأكلُ منها ، فقال عيسى : معاذَ الله ، بل يأكلُ منها الذي سألها وطلبها .

وفرِقَ الحواريون أن يكون [نزولُها سخطةً ومُثْلَة ، فلم يأكلوا منها ، فدعا عيسى لها أهلَ الفاقةِ والزَّمانَةِ من العميان والمُجَذَّمين والمجانين والمُخَبَّلين ، وهذا الضربَ من أنواع البلاء من الناس ، فقال : كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم ، وآيةٌ من ربكم ، فليكنْ مَهْناها لكم وبلاؤها لغيركم][2] فأكلوا ، فصدر عن تلك السمكة والطعام [ألف وثلاث مئة من بين رجلٍ وامرأةٍ شِباعاً][2] [٤٨/ب] يتجشَّؤون من بين فقيرٍ جائع ، وزَمِنٍ ناقِهٍ رَغِيب[3] ، ثم نظر عيسى إلى السُّفْرة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ، ثم رُفعت إلى السماء وهم ينظرون

---

(١) الفلوس : القشور على ظهر السمكة .

(٢) ما بين معقوفين بياض في اللوحة ناشئ عن سوء التصوير ، استدركته من التاريخ (س) ٢٧/١٤ أ ، ب .

(٣) الزَّمِن : المبتلى ، البيِّن الزمانة ، والزمانة : العاهة . والناقِه : من صحَّ وهو في عقب عِلَّته . والرَّغِيب : الأكول ، واسع الجوف . اللسان (زمن ، نقه ، رغب) .

إليها صاعدة ، وينظرون إلى ظِلِّها حتى توارت ، فاستغنى كلُّ فقيرٍ أكل منها حتى مات ، وبَرَأ كلُّ مبتلًى يومئذٍ فلم يزلْ صحيحاً غنياً حتى مات ، وندم الحواريُّون وندم سائر الناس ندامةً شابَتْ حواجبهم وأشفارُ أعينهم ، فكانت إذا نزلَتْ بعد ذلك أقبلوا إليها من كلِّ مكان يسعَوْن ، يزاحمُ بعضهم بعضاً ، الأغنياء والفقراء ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار ، وكل ضعيف ومريض ، يركبُ بعضُهم بعضاً ، حتى جعلها عيسى نوائب فيما بينهم ، ثم كانت تنزل غِبّاً ، تنزل يوماً ولا تنزل يوماً ، كناقة ثمود ، ترعى يوماً وتردُ يوماً فلبثوا بذلك أربعين صباحاً ، فلا تزال موضوعة يُؤكل منها ، فإذا فاء الفيءُ ارتفعتْ صاعدةً في السماء ؛ ثم أوحى الله إلى عيسى : أن اجعلْ مائدتي ورزقي لليتامى والزَّمْنى والفقراء دون الأغنياء ، فتعاظم ذلك عند الأغنياء ، وأذاعوا القبيح وارتابوا وشكُّوا فيها ، ووقعت الفتنةُ في قلوب المرتابين حتى قال قائلهم : يا رُوحَ الله وكلمتَه ! إنَّ المائدة بحق أنها تنزلُ من عند ربِّنا ؟ فقال : عيسى ويلكم هلكْتُم ! العذاب نازلٌ بكم إلاَّ أنْ يعفوَ اللهُ ويرحمكم .

فأوحى اللهُ إلى عيسى أني آخِذُهم بالشَّرْط الذي اشترطت ، إني معذِّبٌ منهم مَنْ كفر بعد نزولها بعذابٍ ﴿ لا أعذِّبُهُ أحداً من العالمين ﴾[1] فقال عيسى : ﴿ إنْ تعذِّبْهم فإنهم عبادُك وإنْ تَغْفِرْ لهم فإنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم ﴾[2] وخبَّرهم بنزول العذاب عليهم ، فمسخ الله منهم ثلاثةً و ثلاثين رجلاً خنازير ، وأصبحوا يأكلون العَذِرة في الحُشوش[3] ويتبعون الزِّبْلَ في الطرق ، وكانوا باتوا أولَ الليل على فُرشهم مع نسائهم آمنين في دورهم ، في أحسن صورةٍ وأوسع رزق فأصبحوا خنازير ، وأصبح الناسُ - مَنْ بقي - خائفين [٤٩/آ] من عقوبةِ اللهِ ، وعيسى يبكي ويتضرَّع وأهلوهم يبكون معه عليهم . وجاءتِ الخنازير تسعى إلى عيسى حين أبصرَتْه ، فطفِقوا وعيسى يدعوهم : يا فلان يا فلان ، فيقول برأسه : نعم ، فيقول : ألَمْ أُنذِرْكم عقوبةَ الله ؟ فيقولون برؤوسهم : أي نعم ، وأُحذِّرْكم وأُخوِّفْكم عذابَه ! وكأنِّي كنتُ أنظر إليكم في غير صُوَرِكم ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الذينَ كفَرُوا من بني إسرائيلَ على لسانِ داوُدَ وعيسى ابنِ مَرْيَمَ ذلكَ بما عصَوْا وكانوا يعتدون ﴾[4] وأنزل الله على

---

(١) سورة المائدة ١١٥/٥

(٢) سورة المائدة ١١٨/٥

(٣) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، مفردها : حش . اللسان (حشش) .

(٤) سورة المائدة ٧٨/٥

نبيِّه ﷺ ﴿ و يَسْتَعْجِلُونَكَ بالسيِّئةِ قبلَ الحسنة وقدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهم المَثُلاتُ ﴾[1] ثم إنَّ عيسى سأل ربَّهُ أنْ يُميتَهم ، فأماتهم بعدَ ثلاثةِ أيام ؛ فما رأى أحَدٌ من الناس لهم جيفةً في الأرض لأنَّ العقوبة إذا نزلَتْ من الله استأصلَتْ ، فنعوذُ بالله من غضبه .

قالوا : وكان ذلك بين إيلياء[2] وبين أرضِ الرُّوم .

وفي رواية : فأكلوا ، فصدر عنها سبعة آلاف شباعاً ـ وفي رواية اثنا عشر ألفاً ـ فكانتِ المائدة تنزلُ عليهم أربعين صباحاً ، فعمد قومٌ منهم فخَبَنوا منه[3] ، فقال لهم الحواريُّون : لا تفعلوا فإنكم إنْ فعلتم عُذِّبتم . وكان قومٌ منهم مداهنين فقال : دعوهم وما الذي يتخوَّفون عليهم ، إنكاراً لما قالوا لهم ، فقال الذين جهلوا : ما سمعتم بساحرٍ يخرجُ في آخرِ الزمان يزرع من يومه ويحصدُ من يومه ، ويُطعم الناس من يومه فغضِب الحواريُّون وغيَّروا عليهم ، وسكت المداهنون ؛ فانطلق الحواريُّون إلى عيسى فأخبروهُ بذلك ، فأوحى اللهُ إلى عيسى أني آخِذُهم بشَرْطي . فاعتزل عيسى والحواريُّون عن عسكرهم ، فلمَّا كان عند وجه الصبح بعث اللهُ عزَّ وجلَّ جبريل عليه السلام فصاح عليهم صيحةً فزعوا منها فحُوِّلوا عن صورهم خنازير ، فلما أصبحوا نادى منادي عيسى بالرحيل ، وكان يرتحلُ بغَلَس ، فلم يخرجْ من عسكر القوم ، فأقام عيسى حتى أسفر ، فنظر الناس إليهم فقالوا : يا عجباً خنازير لها أذناب يُسمع لها وحاوح ! فلما رأى ذلك [٤٩/ب] عيسى بكى بكاءً شديداً . قال : فجعلوا يُومُونَ برؤوسهم إلى عيسى أنِ ادْعُ ربَّك ، وعيسى يدعوهم بأسمائهم ويقول : ألم أنهكم ؟ فيُومُون برؤوسهم أنْ نعم ، فمضى عيسى عليه السلام ، فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه أنْ يُقيم بمكانه ثلاثة أيام ، فأقام عيسى ، فاجتمع الناس ينظرون إليهم ، ثم ارتحل عنهم ، فأخذتِ الخنازير على إثر عيسى ، فأوحى الله إلى الأرض أن خذيهم فأخذَتْهم إلى رُكَبهم على المَحَجَّةِ أربعة أيام ، ينظر الناسُ إليهم ثم أماتهم بعد سبعة أيَّام ، ثم أوحى الله إلى الأرض أنِ اخسفي بهم ، فخسفَتْ بهم فطهَّر الله الأرضَ من خَسيفتهم[4] ، فانكسرتِ اليهودُ أعداءُ الله ، فقُطعتْ

---

(١) سورة الرعد ٦/١٣

(٢) مضى التعريف بإيلياء ص ٩٤ ح ٥ .

(٣) خبنوا الطعام : خبؤوه وادَّخروه للشدة . المعجم الوسيط (خبن) .

(٤) الخسيفة : النقيصة . اللسان (خسف) .

ألسنتُهم عن عيسى بن مريم فذلك قولُ الله عزَّ وجلّ : ﴿ لُعِنَ الذينَ كفَرُوا مِنْ بني إسرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى ابنِ مريم ﴾[1] فأمّا الخنازير على لسانِ عيسى ، وأمّا القِرَدة فهم أهلُ أيْلَةَ[2] الذين اعتدَوْا في السبت وهم على لسان داود .

وفي حديثٍ آخر بمعناه : عندما قالَ لهم : ليس شيءٌ مما ترون عليها من طعام الدنيا ولا من طعامِ الآخرة ، هي وما عليها شيءٌ ابتدعه الله تعالى بالقدرة الغالبة ، إنما قال كُنْ فكان ، فكلوا مما سألتم واحْمَدُوا عليه ربَّكم يُمدُّكم ويزدْكم فإنه القادر البديع لما يشاء ، إذا شاء يقول له كُنْ فيكون . قالوا : يا رُوحَ الله وكلمتَه ! إنْ أريتنا اليوم آيةً من هذه السمكة ، فقال عيسى : ياسمكةُ آحْيَيْ بإذْنِ الله ! فاضطربَتِ السمكة طريَّة تدورُ عيناها ، لها بصيص تلمَّظُ بفيها كما يتلمَّظ السَّبُع ، وعاد عليها فُلُوسُها[3] ، ففزع القوم ! فقال عيسى : مالكم تسألون الشيء فإذا أُعطيتموه كرهتموه ! ما أخوفني أنْ يعبدوا هذه السمكة ! قال : عودي كما كنتِ بإذْن الله . قال : فعادَتْ مشويَّةً في حالها . قال : كُنْ يا رُوحَ الله أوَّلَ مَنْ يأكل ثم نأكل بعد ، قال عيسى : معاذَ الله بل يأكُل مَنْ طلبها وسألها ... الحديث .

وعن عبد الرحمن بن زيد قال :

كان وزيرٌ لعيسى ركب [٥٠/آ] يوماً فأخذه السَّبُع فأكله ، فقال عيسى : أيْ ربِّ ! وزيري في دينك وعوني على بني إسرائيل وخليفتي فيهم ، سلَّطتَ عليه كلبَك فأكله ، قال : نعم ، كانت له عندي منزلةٌ رفيعة لم أجدْ عمله يبلغُها فابتليتُه بذلك لأُبْلِغَهُ تلك المنزلة .

وعن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

مرَّ ثلاثةٌ نفرٍ على عيسى بنِ مريم فقال : يموت أحَدُ هؤلاء اليوم إنْ شاء الله ؛ فراحوا عليه بالعشيِّ عليهم حزمٌ الحطب ، فقال لهم : ألْقُوا ، فألقَوْا ، فإذا حيَّةٌ سوداء في حزمةِ الذي قال يموتُ إنْ شاء الله ، فقال : ما عملتَ اليوم ؟ قال : ما عملتُ شيئاً ! قال لتخبرني ،

---

(١) سورة المائدة ٧٨/٥

(٢) أيْلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام . انظر معجم البلدان ٢٩٢/١ وموقعها اليوم في الأردن وتسمى العقبة .

(٣) مضى معنى (الفلوس) ص ١٠٨ ح ١ .

قال : ما عملتُ شيئاً إلاّ أنه كانَتْ معي فِدْرَةٌ[1] من خبز كانت بيدي ، فمرَّ عليَّ مسكين ، فأعطيتُه بعضَها ، فقال : بهذه مُنعت . أو قال : نَجَوْت .

وعن بكر بن عبد الله المُزَني قال :

فقد الحواريُّون نبيَّهم ، فانطلقوا يطلبونه ، فإذا هو قد انطلق نحو البحر ، وإذا هو يمشي على الماء ، فقال له رجل منهم : يا نبيَّ الله ! أجيءُ إليك ؟ قال : نعم ، فذهب يرفعُ رجلاً ويضع أخرى فإذا هو في الماء ، فقال له عيسى : ناولْني يدك ياقصير اليقين ، فلو أنَّ لابن آدمَ من اليقين قَدْرَ ذرَّةٍ لمشى على الماء .

وعن فُضيل بن عياض قال :

قيل لعيسى بن مريم : يا عيسى بأيِّ شيءٍ تمشي على الماء ؟ قال : بالإيمان واليقين ، قالوا : فإنا آمنَّا كما آمنت ، وأيقنَّا كما أيقنت ، قال : فامشوا إذاً ، قال : فمَشَوْا معه ، فجاء المَوْجُ فغرِقوا ، فقال لهم عيسى : مالكم ؟ قالوا : خفنا الموج ، قال : ألا خفتم ربَّ الموج ! قال : فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدَرٌ أو حصًى ، فقال : أيُّها أحلى في قلوبكم ؟ قالوا : هذا الذهب قال فإنها عندي سواء .

وعن ابن عباس قال :

خرج عيسى بن مريم يستسقي بالناس ، فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه : لا يستسقي معك خطَّاء . فأخبرهم بذلك فقال : مَنْ كان من أهل الخطايا فلْيعتزِلْ ، فاعتزَلَ [٥٠/ب] الناسُ كلُّهم إلاّ رجلاً مصاباً بعينه اليمنى ، فقال له عيسى : مالك لا تعتزل ؟ قال : يا رُوحَ الله ! ما عصيتُ الله طرفةَ عين ، ولقد التفتُّ فنظرتُ بعيني هذه إلى قدم امرأةٍ من غير أنْ كنتُ أردتُ النظرَ إليها فقلعتُها ، ولو كنتُ نظرتُ إليها باليسرى لقلعتها . قال : فبكى عيسى حتى ابتلَّتْ لحيتُه بدموعه ، ثم قال : فادْعُ فأنت أحقُّ بالدعاء مني ، فإني معصومٌ بالوحي ، وأنت لم تُعصَمْ ولم تعصِ . فتقدَّم الرجل فرفع يديه وقال : اللهمَّ إنك خلقتنا وقد علمت ما نعملُ من قبل أن تخلقنا ، فلم يمنعْكَ ذلك ألاّ تخلقنا ، فكما خلقتنا وتكفَّلْتَ

---

(١) الفِدْرة : القطعة من كل شيء . اللسان (فدر) .

بأرزاقنا فأرسلِ السماءَ علينا مِدْرارا . فو الذي نفسُ عيسى بيده ما خرجتِ الكلمةُ تـامّـةً من فيه حتى أرختِ السماءُ عَزَالِيَها[1] ، وسقي الحاضِرُ و الباد .

وفي رواية : فقال له عيسى : ادْعُ وأنا أُؤمّن . فدعا وأمّن عيسى ، فسقاهم الله .

وفي رواية : قال بل ادْعُ أنت وأؤمن أنـا . فـدعـا عيسى صلى الله على نبيّنـا وعليـه ، وأمّن الرجل ، فما رجعوا حتى كادوا أنْ يدركهم الغرق .

قال الشعبي :

كان عيسى بن مريم إذا ذُكر عنـده السـاعـة صـاح ، ويقول : لا ينبغي لابن مريم أنْ تُذكر عنده الساعةُ فيسكت .

وكان عيسى إذا سمع الموعظة صرخ صُراخ الثكلى .

قيل لعيسى بن مريم عليه السلام : كيف أصبحت يا رُوحَ الله ؟ قـال أصبحتُ وربي من فوقي ، والنارُ أمامي ، والموتُ في طلبي ، لا أملك مـا أرجو ، ولا أطيق دفعَ مـا أكره ، فأيُّ فقيرٍ أفقر مني .

وعن جعفر بن بُرْقان

أنّ عيسى بن مريم عليـه السـلام كان يقـول : اللهمّ إني أصبحتُ لا أستطيـعُ دفـعَ مـا أكره ، ولا أملِـكُ نفعَ مـا أرجو ، وأصبـح الأمْرُ بيـد غيري ، وأصبحتُ مرتهناً بعمـل ، فلا فقير أفقر مني ! اللهمّ لا تشمِتْ بي عـدوّي ولا تَسُؤْ بي صـديقي ، ولا تجعَـلْ مصيبتي في ديني ، ولا تُسلّطْ عليّ مَنْ لا يرحمني .

وعن يونس بن عُبيد قال :

كان عيسى بن مريم يقول : [٥١/آ] لا يصيبُ أحد حقيقةَ الإيمان حتى لا يبـالي من أكل الدنيا .

---

(١) أي كثر مطرهـا ، والعزالي في الأصل : جمع عزلاء ، وهو فم المـزادة ـ أو القربـة ـ الأسفـل ، حيث يستفرغ ما فيها من الماء ، فشبّه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة . اللسـان (عزل) .

obeikandl.com

وقال الفضل :

قال عيسى : فكَّرْتُ في الخَلْق ، فوجدتُ مَنْ لم يُخلق أغْبَطُ عندي ممن خُلق .

وقوله عزَّ وجلّ : ﴿ يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطيِّبَاتِ ﴾[1] قال : ذاك عيسى بن مريم كان يأكُل من غَزْل أُمّه .

وكان عيسى بن مريم عليه السلام يأكُل الشجر ويلبس الشعر ، ويبيتُ حيث أمسى ، لم يكنْ له ولد فيموت ، ولا بيت يخرب ولا يخبَأُ غداءً لعشاء ، ولا عشاء لغداء ؛ وكان يقول : كلُّ يومٍ يجيءُ معه رزقُه .

وعن سعيد بن عبد العزيز

أن عيسى نظر إلى إبليس فقال : هذا آثرَ كَوْنَ الدنيا ، إليها خرج وإيَّاها سأل ، لا أشركه في شيءٍ منها ولا حجراً أضعه تحت رأسي فلا أكثِّرُ فيها ضاحكاً حتى أخرج منها .

وعن الحسن قال :

إنَّ عيسى رأسُ الزاهدين يوم القيامة ، قال : وإنَّ الفرَّارين بذنوبهم يُحشرون يوم القيامة مع عيسى بن مريم .

قال : وقال الحسن :

إنَّ عيسى بن مريم مرَّ به إبليس يوماً وهو متوسِّدٌ حجراً وقد وجد لذَّة النوم ، فقال له إبليس : يا عيسى ، أليس تزعم أنك لا تُريدُ شيئاً من عَرَضِ الدنيا ؟ فهذا الحجر من عَرَضِ الدنيا ، فقام عيسى غضبانَ ، ثم أخذ الحجر فرمى به فقال : هذا لك مع الدنيا يا إبليس ! فلعمري إنَّ الدنيا مزرعةٌ لك ، وإنَّ أهلَها لك عُمَّال .

قال الحسن :

كان عيسى يمشي على الماء ، فقال له الحواريُّون : يا رُوحَ الله إنك لتمشي على الماء ! قال : نعم ، ذلك باليقين بالله ، قالوا : إنَّا بالله لموقِنُون ، قال لهم عيسى : تقولونَ لو عرض لكم في الطريق دُرٌّ وحجر أيَّا كنتم تأخذون ؟ قالوا : الدُّر ، قال : لا والله حتى يكون الدُّرُّ والياقوت مثل الحجارة عندكم سواء .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣/٥١

وقال الحسن :

إنَّ عيسى بن مريم أصابه الحَرُّ وهو صائم حتى اشتدَّ به ، فقالوا : يا رُوحَ الله وكلمتَه ! لو بنينا لك بيتاً تسكنه ويكنُّك من الحرّ والبَرْد ، قال : لا حاجة لي به فألَحُّوا عليه ، فأذِن لهم فبنَوْا عريشاً ، فلمَّا دخله فنظر إليه [٥١/ب] قال : سبحان الله ! أعَادِيٌّ أنا ! ؟ إنما أردتُ بيتاً إذا جلست أصاب رأسي سقفُه ، وإذا اضطجعتُ أصاب جنبي حائطُه ، ولا حاجة لي بهذا . فلم يسكنْ بعدها ظِلَّ بيتٍ حتى رُفع .

قال : وقال الحسن :

فوالله لو لم يعذِّبْنا الله إلاَّ بحُبِّنا الدنيا لعذَّبَنا ، لأنَّ الله يقول : أحببتَ شيئاً أبغضَه ولقول الله تعالى : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا واللهُ يُرِيدُ الآخرة ﴾[1] .

وحدث مكحول عن كعب

أنَّ عيسى بن مريم كان يأكل الشعير ويمشي على رجليه ، ولا يركبُ الدوابَّ ولا يسكنُ البيوت ولا يصطبحُ السِّراج ، ولا يلبَسُ الكراسف ـ يعني القطن ـ ولم يمسَّ النساء ، ولم يمسَّ الطِّيب ، ولم يَمْزُجْ شرابَهُ بشيءٍ قطّ ، ولم يبرِّدْهُ ، ولم يدهنْ رأسَهُ قطّ ، ولم يقرَبْ رأسَهُ ولحيته غَسُولٌ قطّ ، ولم يجعَلْ بين الأرض وبين جلده شيئاً قط إلاَّ لباسَه ، ولم يهتمَّ لغداءٍ قطّ ولا لعشاءٍ قط ، ولا اشتهى شيئاً من شهوات الدنيا ؛ وكان يجالسُ الضعفاء والزَّمْنى والمساكين . وكان إذا قُرِّب إليه الطعام على شيءٍ وضعه على الأرض ، ولم يأكلْ مع الطعام إداماً قط ؛ وكان يجتزئ من الدنيا بالقوت القليل ويقول : هذا لمن يموت ويحاسَبُ عليه كثير .

قيل لعيسى بن مريم : تزوَّجْ ، قال : وما أصنع بالتزويج ؟ قالوا : تلدُ لك الأولاد ، قال : الأولادُ إنْ عاشوا أفتَنُوا ، وإنْ ماتوا أحزنوا .

وعن ثابت البُنَانيّ قال :

قيل لعيسى بن مريم : لو اتخذت حماراً تركبه لحاجتك ، قال : أنا أكرم على الله من أنْ يجعل لي شيئاً يشغَلُني عنه .

---

(١) سورة الأنفال ٦٧/٨

أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى لو رأتْ عيناك ما أعددْتُ لعبادي الصالحين لذاب قلبك ، وزهِقَتْ نفسُك اشتياقاً إليه .

قال مالك بن دينار :

قالوا لعيسى بن مريم : يا رُوحَ الله ! ألا نبني لك بيتاً ؟ قال : بلى ابنوهُ على شاطئ البحر ، قالوا : إذن يجيءُ الماءُ فيذهب به ! قال : أين تريدون ؟ تبنونَ لي على القنطرة ؟ .

قيل لعيسى : لو اتخذتَ بيتاً ، قال : يكفينا خُلْقانُ مَنْ كان قبلنا .

[٥٢/آ] قال ميسرة :

ما بنى عيسى بيتاً ، فقيل له : ألا تبني ؟ فقال : لا أتركُ بعدي شيئاً من الدنيا أذكر به .

وعن أبي سلمان قال :

بينما عيسى يمشي في يومٍ صائف ، وقد مسَّهُ الحرُّ والشمسُ والعطش ، فجلس في ظلِّ خيمة ، فخرج إليه صاحبُ الخيمة فقال : يا عبد الله ، قُمْ من ظلِّنا ، فقام عيسى فجلس في الشمس وقال : ليس أنت الذي أقمتني ، إنما أقامني الذي لم يُرِدْ أنْ أصيبَ من الدنيا شيئاً .

دخل عيسى بن مريم ذات يوم خَرِبَةً فطرتِ السماء ، فنظر إلى ثعلب قد أقبل مستذفراً[1] بذنبه حتى دخل جُحْرَهُ فقال : الحمدُ لله الذي جعل لكلِّ شيءٍ مَأْوى إلاَّ عيسى بن مريم لا مأوى له ، فإذا هو بصوت : يا بن مريم ، ادخلِ الفجّ ، فدخل الفج فإذا هو برجلٍ قائمٍ يصلّي ، فأقام عنده ثمانية عشر يوماً ينتظره لينفتل من صلاته فيكلمه ، فلمَّا انفتل قال له : يا عبد الله ! ما الذي أذنبت ؟ فأقبل العابد على البكاء وقال : يا رُوحَ الله ، أذنبتُ ذنباً عظيماً ، قال : وما هو ؟ قال : قلت يوماً لشيءٍ كان : يا ليته لمْ يكنْ .

قال المعتمر بن سليمان التيمي :

خرج عيسى على أصحابه وعليه جُبَّةٌ من صوف وكساءٌ وتُبَّان[2] حافياً باكياً شعِثاً ،

---

(١) كذا الأصل ، وفي التاريخ (س) : « مستديراً » . قلتُ : لعل الاستذفار بمعنى الاستئفار ، وهو إدخال الكلب ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه ؛ وقد ذكر صاحب التاج قوله : استذفرت المرأة : استثفرت . انظر التاج (ثفر ، ذفر) .

(٢) التبان : سراويل صغير ، مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة فقط ، وقيل : إلى ما فوق الركبة . اللسان (تبن) .

مصفرّ اللون من الجوع ، يابس الشفتين من العطش فقال : السلامُ عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلتُ الدنيا منزلتها بإذْن الله ، ولا عجبَ ولا فخر ، أتدرون أين بيتي ؟ قالوا : أين بيتُك يا رُوحَ الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطيبي الماء ، وإدامي الجوع ، وسراجي القمر بالليل ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وريحاني بُقول الأرض ، ولباسي الصوف وشعاري خوفُ ربِّ العزّة ، وجلسائي الزَّمنى والمساكين ، أُصبحُ وليس لي شيء ، وأمسي وليس لي شيء ، وأنا طيِّبُ النفس ، غنيٌّ مكثر ، فَمَنْ أغنى مني وأربح ! ؟ .

قال محمد بن سِبَاع النُّمَيْري :

بينما عيسى بن مريم يسيحُ في بعض بلاد الشام إذ اشتدَّ به المطر والرَّعْد والبرق ، فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه ، فرُفعتْ له خيمةٌ من بعيد ، فأتاها ، فإذا فيها امرأة ! فحاد [٥٢/ب] عنها ، فإذا هو بكهفٍ في جبل ، فأتاه فإذا في الكهف أسد ، فوضع يده عليه ثم قال : إلهي ! جعلتَ لكلِّ شيءٍ مَأْوى ، ولم تجعل لي مأوى ، فأجابه الجليلُ تعالى : مأواكَ عندي في مستقرٌّ من رحمتي لأزوِّجَنَّك يوم القيامة مئة حوراء خلقاء بيدي ، ولأطعمنَّ في عرسك أربعة آلاف عام ، يومٌ منها كعمر الدنيا ، ولآمرنَّ منادياً ينادي : أين الزُّهَّادُ في دار الدنيا زُورُوا عُرْسَ الزاهد عيسى بن مريم .

وعن أبي رافع قال :

رُفع عيسى بن مريم وعليه مِدْرَعَة وخُفًّا راعٍ ، وخذَّافةٌ يخذِف بها الطير .

وفي رواية : ما ترك عيسى بن مريم حين رُفع إلاَّ مِدْرَعةَ صوف ، وخُفَّيْ راعٍ ، وقذَّافةً يقذِفُ بها الطير .

وعن سفيان بن عُيينة قال :

قال عيسى بن مريم : يا معشر الحواريِّين ، كما تركَ لكم الملوك الحكمة فكذلك اتركوا لهم الدنيا .

وعن مالك بن دينار قال :

قال عيسى بن مريم : معاشر الحواريِّين إنَّ خشيةَ الله وحُبَّ الفردوس تورثان الصبرَ على المشقَّة ، وتباعدان من زهرة الدنيا .

وفي رواية : وتبعدان العبد من راحة الدنيا .

وعن ابن عمر قال :

قال عيسى بن مريم : يا معشر الحواريّين ، كلوا الخُبْز الشعير ، واشربوا ماء القَراح ، واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين ، لحقٌ ما أقول لكم : إنّ حلاوةَ الدنيا مرارةُ الآخرة ، وإنّ مرارةَ الدنيا حلاوةُ الآخرة ، وإنّ عبادَ الله ليسوا بالمتنعّمين ؛ لَحقٌ ما أقولُ لكم : إنّ شرّكم عالمٌ يؤثر هواهُ على علمه يودُّ أنّ الناس كلّهم مثله ، ما أحبّ إلى عبيد الدنيا أنْ يجدوا معذرةً وأبعدَهم منها لو كانوا يعلمون ! .

وعن أبي هريرة قال :

كان عيسى بن مريم يقول لأصحابه : اتخذوا المساجد مساكن والبيوت منازل ، وكلوا من بقل البرّيّة ، وانجوا من الدنيا بسلام ، واشربوا من الماء القَراح .

كان عيسى بن مريم يقول : يا بني إسرائيل ، عليكم بالماء القَراح والبقل البرّي ، والخبز الشعير ، وإيّاكم وخبز البُرّ ، فإنكم [٥٣/آ] لن تقوموا بشكره .

قال أنس بن مالك :

كان طعامُ عيسى القاقُلّى[1] حتى رُفع ؛ ولم يأكلْ عيسى عليه السلام شيئاً غيّرتْه النار حتى رُفع .

كان عيسى بن مريم يقول : يا بني إسرائيل ، اتخذوا مساجد الله بيوتاً ، واتخذوا بيوتكم كمنازل الأضياف ، مالكم في العالم من منزل ، إنْ أنتم إلاّ عابري سبيل .

وعن عتبة بن يزيد قال :

قال عيسى بن مريم : ابنَ آدم الضعيف ، اتّقِ الله حيثما كنت ، وكُلْ كسرتك من حلال ، واتخذِ المسجد بيتاً ، وكُنْ في الدنيا ضيفاً ، وعوّدْ نفسَك البكاء ، وقلبك التفكير ، وجسدَك الصبر ، ولا تهتمَّ برزقِ غدٍ ، فإنها خطيئةٌ تكتب عليك .

قال وُهَيْب المكّي :

بلغني أنّ عيسى بن مريم قال : يا معشر الحواريّين أنّى كُتبتْ لكم الدنيا فلا

---

(١) القاقُلّى : نبات كنبات الأُثْنان ، مالح . التاج (قوقل) . وفوق الكلمة في الأصل « الباقلاء » وفوقها حرف (ط) .

تنعشوها[1] ، فإنه لا خير في دارٍ قد عُصي الله فيها ، ولا خير في دارٍ لا تُدرَكُ الآخرةُ إلاّ بتركها ؛ فاعْبُروها ولا تعمُروها ، واعلموا أنّ أصلَ كلّ خطيئةٍ حُبُّ الدنيا ، ورُبَّ شهوةٍ أورثَتْ أهلَها حُزناً طويلاً .

وعن وُهيب قال :

قال عيسى بن مريم : أربعٌ لا تجتمع في أحدٍ من الناس إلاّ يعجب : الصمت ، وهو أوّلُ العبادة ؛ والتواضعُ لله ؛ والزهادة في الدنيا ؛ وقِلّة الشيء .

وعن سفيانَ الثوريّ قال :

قال المسيح : إنما تَطلبُ الدنيا لتَبَرّ ، فتركُها أبرّ !

روي أن ملكاً من الملوك بدمشق يقال له : هداد بن هداد صنع طعاماً ودعا إليه الناس ، وكان فيمن دعا عيسى وحواريّه[2] ، فقال المسيحُ لحواريّه[2] : لا تذهبوا . وخرج بهم فأتى بهم شاطئ بردى فأخرجوا كسراً لهم ، فجعلوا يبلونها في الماء ويأكلون ، فقال المسيح : يا معشر الحواريّين ! عجباً للملوك وما أُوتوا في هذه الدنيا ، وما يُصنَعُ بهم يوم القيامة ! يا معشر الحواريّين ! إنّ الله قد بطح لكم الدنيا على وجهها ، وأجلسكم على ظهرها ، فليس يشاركُكم فيها إلاّ الشياطين والملوك ، فأمّا الشياطين فاستعينوا عليهم بالصّوم والصلاة ، وأمّا الملوك فدعوهم والدنيا يدَعُوكم والآخرة .

[٥٣/ب] كان عيسى يقولُ لأصحابه : بحقٍّ أقولُ لكم : إنّ حُبَّ الدنيا رأسُ كلّ خطيئة ، وبالنظرة تزرع الشهوة في القلب ، وكفى بها خطيئة .

كان عيسى يقول : حبُّ الدنيا أصلُ كلّ خطيئة والمالُ فيه داءٌ كبير ، قالوا : وما داؤه ؟ قال : لا يسلم من الفَخْر والخُيَلاء ، قالوا : فإنْ سلم ؟ قال : يشغَلُهُ إصلاحُه عن ذكر الله .

وعن شُعيب بن صالح قال :

قال عيسى بن مريم : ما سكنتِ الدنيا في قلب عبد إلاّ التاطَ قلبُهُ منها بثلاث : شغلٍ

---

(١) أي لا ترفعوا ذكرها ، يقال للرجل إذا مات : فهم ينعشونه ، أي يذكرونه ويرفعون ذكره . اللسان (نعش) .

(٢) كذا الأصل .

لا ينفكُّ عَنَاه ؛ وفقرٍ لا يُدرَكُ غِناه ، وأمَلٍ لا يُدرَكُ منتهاه . الدنيا طالبةٌ ومطلوبةٌ ؛ فطالبُ الآخرة تطلبُه الدنيا حتى يستكملَ فيها رزقَه ، وطالبُ الدنيا تطلبهُ الآخرة حتى يجيءَ الموت فيأخذ بعنُقه .

وعن زُرْعة بن إبراهيم قال :

قال المسيح : بحقٍّ أقول : كما لا يستطيع أحدكم أنْ يبنيَ على موج البحر داراً ، كذاكم الدنيا ، فلا تتخذوها قَراراً .

وعن سفيانَ الثوريِّ قال :

قال عيسى بن مريم : لا يستقيم حبُّ الدنيا وحبُّ الآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيمُ الماءُ والنار في إناء .

قال ابن شَوْذَب :

مرَّ عيسى صلواتُ الله على نبيِّنا وعليه وسلم بقومٍ يبكون على ذنوبهم فقال لهم : اتركوها يُغفَر لكم .

وعن أبي عبد الله الصوفي قال :

قال عيسى بن مريم : طالبُ الدنيا مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى تقتله .

قال عيسى : إن الشيطان مع الدنيا ، ومَكْرُهُ مع المال ، وتزيينه عند الهوى ، واستمكانُه عند الشهوات .

وعن سفيان الثوريِّ قال :

قال المسيح : كنْ وسَطاً وامشِ جانباً[1] .

وعن يزيد بن ميسرة قال :

قال عيسى بن مريم : بحقٍّ أقولُ لكم : كما تواضعون ، كذلك ترفعون ، وكما تَرْحمون كذلك تُرْحمون ، وكما تقضون من حوائج الناس ، كذلك يقضي الله من حوائجكم .

---

(١) أي توسط الناس مخالطاً ومخالفاً وزايلهم ديناً وعملاً . انظر المستقصى للزمخشري ٢/٢٣٥ .

obeikandl.com

وعن خيثمة قال :

كان عيسى بن مريم إذا صنع الطعام فدعا القُرَّاء قام عليهم ثم قال : هكذا فافعلوا بالقُرَّاء .

[٥٤/آ] وعن ابن شابور قال :

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن ترك شهوةً حاضرة لموعودٍ لم يرَه .

وعن سالم بن أبي الجَعْد قال :

قال عيسى بن مريم : طوبى لمن خزن لسانه ووسِعَهُ بيته ، وبكى على خطيئته .

وعن خيثمة قال :

مرَّتْ بعيسى امرأةٌ فقالت : طوبى لحِجْرٍ حَمَلَك ، ولثديٍ رضعتَ منه ! فقال : بل طوبى لمن قرأ القرآنَ ثم عمِلَ به .

وعن بشر بن صالح قال :

قال عيسى بن مريم : طوبى لعينٍ نامَتْ ولم تحدِّثْ نفسها بالمعصية وانتبهَتْ إلى غيرِ إثْم .

وعن مالك بن دينار قال :

كان عيسى يقول : إنَّ هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ماتصنعون فيهما . وكان يقول : اعملوا ، الليل لما خُلق له ، واعملوا ، النهار لما خلق له[1] .

وعن خالد الربعي قال :

نُبِّئْتُ أنَّ عيسى عليه السلام قال لأصحابه : أرأيتم لو مررتم على رجلٍ وهو نائم ، وقد كشفتِ الريحُ عنه ثوبَه ؟ قالوا : كنا نردُّهُ عليه ، قال : بل تكشفون مابقي ، قالوا : سبحان الله ! نردُّهُ عليه ، قال : بل تكشفون مابقي . قال : مَثَلٌ ضربَهُ للقوم ، يسمعون عن الرجل بالسيِّئة ، فيزيدونَ عليه ويذكرون أكثر منها .

---

(١) بعد هذا الخبر في الأصل خبر بمقدار ثلاثة أسطر ونصف ، وكلمة في سطر خامس قد مُحي وظهرت آثار الكتابة ، فلعله من فعل المختصر ؛ وأُثبتُه هنا من التاريخ (س) ٣٤/١٤ ب ، ونصه :

« وعن سعيد المَقْبُري قال : جاء رجل إلى عيسى فقال : يا معلِّم الخير ، علمني شيئاً ينفعني الله به ولا يضرك ذلك . فقال : تدعو الله يُيسِّر عليك من الأمر مالا تحبّ مع الله غير الله ، وترحم بني جنسك رحمتك ؛ ومالا تحب أن يُؤتى إليك لا تأته إلى غيرك ، وأنت تقيٌّ الله حقّاً » .

وعن الشعبيّ قال :

قال عيسى بن مريم عليه السلام : ليس الإحسانُ أنْ تُحسِنَ إلى مَنْ أحسن إليك إنما ذاك مكافأةٌ بالمعروف ، ولكنَّ الإحسانَ أنْ تحسِنَ إلى مَنْ أساء إليك .

قال يزيدُ بنُ المُهَلَّب : [من البسيط]

خيرِ الخليلينِ مَنْ أغضى لصاحبِهِ ... ولو أرادَ انتصاراً منه لانتصرا
فإنْ قدَرْتَ فكُنْ للعفوِ مغتنماً ... فإنما يُحمَدُ العافي إذا قَدَرا
واللُّؤْمُ أنْ تَبْخَسَ الأكْفاءَ حقَّهُمُ ... بالجاهِ إنْ زادَ أو بالمالِ إنْ كَثُرا
ولا تقولَنَّ : لي دنيا أصولُ بها ... فإنما لك منها حُسْنُ ما ذُكِرا

[٥٤/ب] وعن المبارك قال :

بلغني أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام مرَّ بقومٍ فشتموه ، فقال خيراً ، ومرَّ بآخرين فشتموه وزادوا ، فزادهم خيراً ، فقال رجلٌ من الحواريِّين : كلَّما زادوا شرّاً زدتَهم خيراً ! كأنك[1] تغريهم بنفسك ، فقال عيسى : كلُّ إنسانٍ يعطي ماعنده .

قال مالك بن أنس :

مرَّ بعيسى بن مريم خنزير فقال : مُرَّ بسلام ، فقالوا له : يا رُوحَ الله ! لهذا الخنزير تقول ؟ قال : أكرَهُ أنْ أعوِّدَ لساني الشرّ .

قال مالك بن دينار :

مرَّ عيسى بن مريم والحواريُّون على جيفةِ كلب ، فقال الحواريُّون : ما أنتنَ ريحَ هذا ! فقال عيسى : ماأشدَّ بياضَ أسنانِه ! يعِظُهم ينهاهم عن الغيبة .

قال عيسى بن مريم : دعِ الناس فَلْيكونوا منك في راحة ، ولْتكُنْ نفسُك منهم في شُغْل ، دعْهُم فلا تلتمسْ محامدَهم ولا تكتسبْ مَذَامَّهم ، وعليك بما وُكِّلْتَ به .

وعن مالك بن دينار قال :

قال عيسى بن مريم من حديث : الأيام ثلاثة : فيومٌ مضى وُعظتَ به ؛ ويومُكَ الذي أنتَ فيه لك منه زادُك ؛ وغداً لاتدري مالك فيه .

---

(١) في الأصل : « كأنهم » وما أثبتُّه من التاريخ .

وعن سفيان قال :

قالوا لعيسى بنِ مريم : دُلَّنا على عملٍ ندخل به الجنة ؟ قال : لاتنطِقوا أبداً ، قالوا : لانستطيعُ ذلك ! قال : فلا تنطقوا إلاَّ بخير .

وعن عيسى بن مريم أنه قال : لقد دخلَتْ أعمالُ العباد عند الله في ثلاثة أحرف الذين يرجون بها الخير : في المنطق ؛ والصمت ؛ والنظر ؛ فما كان من منطقٍ ليس فيه ذكر فهو لَغْو ، وما كان من صمتٍ ليس فيه تفكير فهو سَهْو ، وما كان من نظرٍ ليس فيه عِبْرَةٌ فهو غفلة . فطوبى لمن كان منطقُهُ ذكْراً ، وصمتُه تفكيراً ، ونظرهُ عِبَراً ؛ وملَكَ لسانه ، ووسِعَهُ بيتُه ، وبكى على خطيئته ، وأمِنَ الناسُ من شرِّه . يا بنَ آدم ، كنْ وديعاً يحبُّكَ الناس ، وارضَ بما قسمَ الله لك تكنْ أغنى الناس ، وأحبَّ للناسِ ماتحبُّ لنفسك تكنْ مؤمناً ، ولا تؤذي[1] جارَكَ تكنْ مسلماً ، ولا تُكثِرِ الضحك فإنه يميتُ القلب .

وعن عبد العزيز بن حُصين قال :

بلغني [٥٥/آ] أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام قال : مَنْ ساء خلُقُه عذَّب نفسه ، ومَنْ كثر كذبه ذهب جماله ، ومَنْ لاحى الرجالَ سقطتْ كرامته ـ وفي رواية : سقطتْ مروءته ـ ومَنْ كثر همُّهُ سَقِم بدَنُه .

قال عيسى عليه السلام : خذوا الحقَّ من أهل الباطل ، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق ؛ كونوا منتقدي الكلام ، لكيما لا يجوز عليكم الزُّيُوف .

وعن زكريَّا بن عدي قال :

قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريِّين ، ارْضُوا بدَنِيِّ الدنيا مع سلامةِ الدين ، كما رضي أهلُ الدنيا بدَنِيِّ الدين مع سلامة الدنيا .

---

(١) كذا بإثبات الياء ، فلعله نهي جاء بلفظ الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ لاتضارُّ ﴾ بقراءة من رفع ، وقوله ﷺ : « لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح » . انظر إملاء ما منَّ به الرحمن ص ٩٧ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٧٠ كتاب البر والصلة باب النهي عن الإشارة بالسلاح ، والنحو الوافي ٤/٤١٢ .

وفي ذلك يقول الشاعر : [من البسيط]

أرى رجالاً بأدْنى الدينِ قد قَنِعُوا ... ولا أراهم رَضُوا في العيشِ بالدُّونِ
فاستغنِ باللهِ عن دُنْيا الملوكِ كما اسْـ ... ـتغنى الملوكُ بدنياهم عن الدينِ

وعن عمرو بن قيس قال :

قال عيسى بن مريم : لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسُوَ قلوبُكم وإنْ كانت ليِّنة ، فإنَّ القلب القاسي بعيدٌ من الله ، ولكنْ لاتعلمون . ولا تنظروا في ذنوبِ الناس كهيئة الأرباب ، وانظروا في ذنوب أنفسِكم كهيئة العبيد ؛ فإنما الناس اثنان : مبتلًى ومعافى ، فاحمدوهُ على العافية ، وارحموا المبتلى .

وعن إبراهيم التيميّ قال :

قال عيسى لأصحابه : بحقٍّ أقولُ لكم : إنه مَنْ طلب الفردوس فخبز الشعيرِ له والنومُ في المزابل مع الكلاب كثير .

وعن سالم بن أبي الجَعْد قال :

قال عيسى بن مريم : اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم ، انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح لا تحرثُ ولا تحصد واللهُ يرزقها ، فإنْ قلتم نحن أعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأنافر[1] من الوحش والحمير ، فإنها تغدو وتروح لا تحرثُ ولا تحصد ، والله يرزقُها . اتَّقوا فضول الدنيا ، فإنَّ فضولَ الدنيا عند اللهِ رِجْز .

وعن أنس بن مالك[2]

أنَّ عيسى بن مريم كان يقول : لا يطيقُ عبدٌ أنْ يكونَ له ربَّان إنْ أرضى أحدَهما أسخطَ الآخر ، وإنْ أسخط أحدهما أرضى الآخر ، وكذلك [٥٥/ب] لا يطيقُ عبدٌ أن يكونَ خادماً للدنيا ، يعمل عمل الآخرة ؛ بحقٍّ أقول لكم ، لاتهتموا بما لاتأكلون ولا

---

(١) أنافر : جمع نَفْر ، وهو جمع نافر . وفي « الزهد » لابن المبارك ص ٢٩١ : « أباقر » .

(٢) في الأصل : « وعن مالك بن أنس » وهو وَهْم ، وما أثبتُّه من التاريخ ، حيث ساق الحديث بسنده من طريق عباد بن عبد الصمد عن أنس . وانظر ميزان الاعتدال ٣٦٩/٢ .

ما تشربون[1] فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلق نفساً أعظم من رزقها ، ولا جسداً أعظم من كسوته ، فاعتبروا .

وعن مالك بن دينار قال :

قال عيسى بن مريم : لو أنَّ ابن آدم عمل بأعمال البِرِّ كُلِّها وحبَّ في الله ليس ، وبغض في الله ليس ، ما أغنى ذلك عنه شيئاً .

[2]قال المَقْبُريّ[2] :

كان عيسى عليه السلام يقول : يا بن آدم ، إذا عمِلْتَ الحسنة فاَلِهْ عنها ، فإنها عند مَنْ لا يُضيِّعُها . ثم تلا هذه الآية : ﴿ إنَّا لانُضِيعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عملاً ﴾[3] وإذا عملت سيئة فاجعَلْها نُصْبَ عينيك .

وعن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُريّ قال :

جاء رجلٌ إلى عيسى بن مريم فقال : يا معلمَ الخير ! علِّمْني شيئاً تعلَّمه وأجهله ، ينفعني ولا يضرُّك . قال : وما هو ؟ قال : كيف يكونُ العبدُ لله تقيّاً ؟ قال : بيسيرٍ من الأمر ؛ تُحبُّ اللهَ حقّاً من قلبك ، وتعمل لله بكدحك وقوتك ما استطعت ، وترحم بني جنسك رَحْمَتَكَ نفسَك . فقال : يا معلم الخير ! مَنْ بنو جنسي ؟ فقال : ولد آدم كلُّهم ، وما تحبُّ أنْ لا تؤتاهُ فلا تأتِهِ إلى غيرك وأنت تقيٌّ لله حقّاً .

كان عيسى بن مريم يقول : مَنْ كان يظنُّ أنَّ حِرْصاً يزيدُ في رزقه فليزدْ في طولِهِ أو في عَرْضه أو في عدد بنانه أو ليغيِّرْ لونَه ! ألا فإنَّ الله خلَقَ الخَلْق ، فمضى الخلق لما خلق ، ثم قسم الرِّزْق فمضى الرزق لما قسم ، فليستِ الدنيا بمعطيةٍ أحداً شيئاً ليس له ، ولا بمانعةٍ أحداً شيئاً هو له ، فعليكم بعبادة ربِّكم فإنكم خُلقتم لها .

وعن فُضيل قال :

قال عيسى بن مريم : يا معشر الحواريِّين ، إنَّ ابن آدم خُلق في الدنيا في أربع منازل ، هو في ثلاث منهنَّ بالله واثق ، حَسَنٌ ظنُّه فيهنَّ بربِّه ، وهو في الرابع سيِّئٌ ظنُّه

---

(١) إلى جانب السطر في الأصل حرف (ط) .

(٢-٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٣) سورة الكهف ١٨/٣٠

بربه ، يخافُ خذلانَ اللهِ إيّاه ؛ أمّا المنزلةُ الأولى فإنّهُ خُلق في بطن أمّه خلقاً من بعد خلق ، في ظُلماتٍ ثلاث : ظُلمة البطْنِ ، وظُلْمة الرَّحمِ ، وظلمة المشيمة ، يُنزل الله عليه رزقَهُ في جوف ظلمة البطن [٥٦/آ] فإذا خرج من البطن وقع في اللبن ، لا يخطو إليه بقَدَم ، ولا يتناوله بيد ، ولا ينهض إليه بقوّة ، ولا يأخذه بحرفةٍ يُكره عليه إكراهاً ويؤجر إيجاراً ، حتى ينبت عليه عظمُهُ ولحمهُ ودمُه ، فإذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة في الطعام من أبويه يكسبانِ عليه من حلالٍ أو حرام ، فإنْ مات أبواه عن غير شيء تركاه عطَفَ عليه الناس ، هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يُؤويه ؛ فإذا وقع في المنزلة الرابعة ، فاشتدَّ واستوى واجتمع وكان رجلاً ، خشي أن لا يرزُقَهُ الله ، فوثب على الناس يخون أماناتهم ويسرقُ أمتعاتهم[1] ، ويذبحهم على أموالهم مخافَةَ خِذلانِ الله إيّاه .

كان عيسى عليه السلام يقول : إنّ الذي يصلّي ويصوم ولا يتركُ الخطايا مكتوبٌ في الملكوت كذّاباً .

قال الحواريُّون لعيسى بن مريم : ماالخالصُ من العمل ؟ قال : ما لا تحبُّ أنْ يحمَدَك الناسُ عليه ، قال : فما النصوح لله ؟ قال : أن تبدأ بحق الله قبل حقوق الناس ، وإنْ عرض لك أمران ، أحدُهما لله عزَّ وجلّ ، والآخر للدنيا ، بدأتَ بحق الله تبارك وتعالى .

وفي غيره : من المخلصُ لله ؟ قال : الذي يعمل ... الحديث ، وفي آخره : وإذا عرض له أمران ، أمْرُ الدنيا وأمْرُ الآخرة ، بدأ بأمر الآخرة ثم تفرَّغ لأمر الدنيا بعد .

وقال عيسى : العمل الصالح الذي لا تحبُّ أن يحمَدَك الناس عليه .

وقال عيسى عليه السلام : لا يجدُ أحدٌ حقيقةَ الإيمان حتى لا يحبُّ أن يُحمدَ على طاعةِ اللهِ عزَّ وجلّ .

وعن هلال بن يساف قال :

قال عيسى بنُ مريم عليهما السلام : إذا كان يوم يصومُ أحدكم فليدهَنْ لحيته ويمسحْ شفتيه ويخرجْ إلى الناس حتى كأنّهُ ليس بصائم ، وإذا أعطى بيمينه فليخفِهِ من شماله ، وإذا صلّى أحدكم فَلْيُدْلِ ستر بابه ـ يعني يُرخيه ـ فإنّ الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق .

---

(١) كذا الأصل والتاريخ .

وعن ابن حَلْبَس قال :

قال عيسى بن مريم : مَنْ أحسَنَ فليَرْجُ الثواب ، ومَنْ أساء فلا يستنكر الجزاء ، ومَنْ أخذ عِزّاً بغير حق أورثه الله ذُلاً بحق ، ومَنْ أخذ مالاً بظلم أورثه الله فقراً بغير ظلم .

[٥٦/ب] قال سعيد المَقْبُريّ :

سأل رجلٌ عيسى بن مريم : أيُّ الناس أفضل ؟ فأخذ قبضتين من تراب فقال : أيُّ هاتين أفضل ؟ الناسُ خُلقوا من تراب ، فأكرمهم أتقاهم .

وعن وُهيب بن الوَرْد قال :

قال يحيى لعيسى عليهما السلام : يا رُوحَ الله ، ماأشدُّ خلقِ الله ؟ قال : غضَبُ الله ، قال : فأخبرني بشيءٍ أتّقي به غضبَ الله ؟ قال : لاتغضبْ .

وعن عمار بن سعد قال :

لقي يحيى بن زكريا عيسى بن مريم ، فقال يحيى لعيسى : يا رُوحَ الله وكلمتَه حدِّثْني ، فقال عيسى : بل أنت فحدِّثْني أنت خيرٌ مني جعلك الله سيِّداً وحَصُوراً ونبيّاً من الصالحين ، فقال له يحيى : أنت خيرٌ مني أنت روحُ الله وكلمتُه ، تصعد مع الروح فحدِّثْني بمَ يُبعَد من غضب الله ؟ قال له عيسى : لاتغضبْ ، قال : يا روحَ الله ما يُبدي الغضبَ ويثنيه أو يعيدُه ؟ قال : التعزُّز والفخر والحميّة والعظمة ، قال : يا روحَ الله ! هؤلاء شِدادٌ كُلُّهن ، فكيف لي بهن ؟ قال : سكِّنِ الرُّوح واكْظِمِ الغيظ ، ثم قال له : وإياك واللَّهْو فيسخط الله عليك ، وإياك والزِّنى فإنه من غضب الرب ، قال : يا روحَ الله ! ما يُبدي الزِّنى ويُعيده أو يثنيه ؟ قال : النظر والشهوة وأتباعها ، لاتكنْ حديد النظر إلى ماليس لك ، فإنه لن يزنيَ فَرْجك ماحفظتَ عينيك ، فإنِ استطعتَ أنْ لاتنظر إلى ثوب المرأة التي لاتحلُّ لك ، ولن تستطيعَ ذلك إلاّ بالله .

وعن عمران بن سليمان قال :

بلغني أنّ عيسى قال لأصحابه : إنْ كنتم إخواني وأصحابي فوطِّنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس ، فإنكم لاتدركون[1] ماتطلبون إلاّ بتركِ ماتشتهون ، ولا تنالون

---

(١) في الأصل : « لا تدرون » وما أثبتُّه من التاريخ .

ما تحبُّون إلاَّ بالصبر على ما تكرهون ؛ طوبى لمن كان بصَرُه في قلبه ، ولم يكنْ قلبُه في بصره .

وعن عثمانَ بن الأسود قال :

قال عيسى بن مريم : أي ربِّ ! أيُّ عبادِك أخشى لك ؟ قال : أعلَمُهم بي .

وعن مالك بن مِغْوَل قال :

بلغنا أنَّ عيسى بن مريم قال : يا معشر الحواريِّين ، تحبَّبُوا إلى الله ببغضكم أهلَ المعاصي ، وتقرَّبوا إليه بما يباعدكم منهم ، والتمسوا رضاهُ بسُخْطهم . قال : لا [٥٧/آ] أدري بأيِّتهنَّ بدأ ، قالوا : يا روحَ الله فمن نجالس ؟ قال : جالسوا مَنْ تذكِّرُكم بالله رؤيتُه ، ومن يزيدُ في عملكم مَنْطِقُه ، ومن يرغبكم في الآخرة عملُه .

وعن معتمر بن سليمان قال :

قال عيسى بن مريم : كانت الدنيا قبل أنْ أكونَ فيها ، وهي كائنةٌ بعدي ، وإنما لي فيها أيامٌ معدودة ، فإذا لم أسعد في أيامي فمتى أسعد ؟ !

وعن يزيد بن ميسرة قال :

قال الحواريُّون للمسيح : يامسيحَ الله ! انظرْ إلى مسجد الله ماأحسنه ! قال : آمين آمين ، بحقٍّ أقول لكم : لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلاَّ أهلكه بذنوب أهله ، إنَّ الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الأحجار التي تعجبكم شيئاً ، إنَّ أحبَّ إلى الله منها القلوبُ الصالحة ، وبها يعمرُ الله الأرض وبها يخرب الله الأرض إذا كانت على غير ذلك .

قال مالك بن مِغْوَل :

بلغنا أن عيسى مرَّ بخَرِبة فقال : ياخَرِبة الخَرِبين ـ أو قال : ياخَرِبةَ خرِبَتْ ـ أين أهلُك ؟ فأجابه منها شيء فقال : يا رُوحَ الله ! بادوا فاجتهِدْ . أو قال : فإنَّ أمْرَ الله جِدّ ، فجِدّ .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال :

مرَّ عيسى على مدينة خَرِبة فأعجبه البنيان فقال : أي ربِّ ! مُرْ هذه المدينة أنْ تجيبَني ، فأوحى الله إلى المدينة : أيتها المدينةُ الخَرِبة جاوبي عيسى . قال : فنادتِ

الملائكة[1] : عيسى حبيبي وما تريد مني ؟ قال : مافعل أشجارك ؟ وما فعل أنهارك ؟ وما فعل قصورك ؟ وأين سكانُك ؟ قالت : حبيبي جاء وعْدُ ربك الحق فيبستْ أشجاري ويبستْ أنهاري ، وخربتْ قصوري ، ومات سكاني ؛ قال : فأين أموالُهم ؟ قالت : جمعوها من الحلال والحرام ، موضوعة في بطني ، لله ميراث السماوات والأرض . قال : فنادى عيسى : تعجَّبْتُ من ثلاثةِ أناس : طالبُ الدنيا والموت يطلبه ؛ وباني القصور والقَبْر منزله ؛ ومَنْ يضحك مِلْءَ فيه والنارُ أمامه . ابنَ آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع ! تجمع مالك لمن لا يحمَدُك ! وتقدَمُ على ربٍّ لا يعذرك ، إنما أنت عبدُ بطنك وشهوتك ، وإنما يُملأُ بطنك إذا دخلت قبرك ؛ وأنت يابن آدم ترى حَسَد مالك في ميزان غيرك .

[٥٧/ب] وعن إبراهيم التيميِّ قال :

قال عيسى : يامعشر الحواريِّين اجعلوا كنوزكم في السماء فإنَّ قلب الرجل حيث كنزه .

وعن عطاء ـ وكان بكى حتى تَرِح ـ قال :

قال عيسى بن مريم : إلى متى تصفون الطريق إلى الدَّالجين وأنتم مقيمون مع المُتَحَرِّين[2] ؟ إنما يُبتغى من العلم القليل ومن العمل الكثير .

وعن عبد العزيز بن ظبيان وغيره قال :

قال المسيح : مَنْ تعلَّم وعمل وعلَّم فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماء .

كان عيسى بن مريم يقول : لاخير في علم لا يعبرُ معك الوادي ولا يعمُر بك النادي .

ولمحمد بن يسير في هذا المعنى : [من الرجز]

ليس بعلمٍ ما يعي القِمَطْرُ ... لاخير فيما لا يعيهِ الصدرُ

وعن ابن عباس قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل فقال : يامعشر الحواريِّين لاتُحدِّثوا بالحكمة غير

---

(١) كذا الأصل والتاريخ ، ولعل الصواب : « المدينة » أو يكون في النص سقط !

(٢) في إحياء علوم الدين ٥٩/١ : « إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين » . والمتحرِّين جمع متحرٍّ : من تحرَّى فلان بالمكان أي تمكَّث . اللسان (حري) .

أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم ؛ والأمور ثلاثةٌ : بيِّنٌ رشدُه فاتبعوه ، وأمرٌ تبيَّن لكم غيُّهُ فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم غيُّه فردوا علمه إلى الله عزَّ وجلّ .

وعن أبي فروة

أنَّ عيسى بن مريم كان يقول : لا تمنع العلم من أهله فتأثم ، ولا تنشرْهُ عند غير أهله فتجهل ، وكنْ طبيباً رفيقاً يضَعُ دواءه حيث يعلمُ أنه ينفع .

وفي رواية : إنْ منعتَ الحكمة أهلَها جهلت ، وإنْ أعطيتها غير أهلها جَهِلت ؛ كُنْ كالطبيب المداوي إنْ رأى موضعاً للدواء وإلاّ أمسك .

وعن عكرمة قال :

قال عيسى : لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير ، فإنَّ الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ، ولا تعطوا الحكمة مَنْ لا يريدُها ، فإنَّ الحكمة خيرٌ من اللؤلؤ ومَنْ لا يريدُها شرٌّ من الخِنْزير .

وعن عمران الكوفي قال :

قال عيسى بن مريم للحواريِّين : لا تأخذوا مِمَّنْ تعلِّمون من الأجْر إلاّ مثل الذي أعطيتموني ، ويا مِلْحَ الأرض[1] لا تفسدوا ، فإنَّ كلَّ شيءٍ إذا فسد فإنما يُداوى بالملح ، وإنَّ الملح إذا فسد فليس له دواء ، واعلموا أن فيكم [٥٨/آ] خصلتين من الجهل : الضحكَ من غير عَجَب ، والصُّبْحَةَ من غير سَهَر[2] .

قيل لعيسى بن مريم : يا رُوحَ الله ، مَنْ أشدُّ الناسِ فتنةً ؟ قال : زَلَّةُ العالِم ، إذا زلَّ العالم زلَّ بزَلَّته عالَمٌ كثير .

وعن سفيان بن عُيينة قال :

قال المسيح : ويلكم يا علماء السُّوء ، لا تكونوا كالمُنْخُل ، يخرج منه الدقيقُ الطيِّب فيمرّ ويُمسك النخالة ، وكذلك أنتم تُخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغِلُّ في صدوركم ؛ وَيْحَكم ! إنَّ الذي يخوضُ النهر لابُدَّ أن يُصيبَ ثوبَه الماءُ ، وإنْ جهِد أنْ لا يُصيبَه ؛ كذلك مَنْ يحبُّ الدنيا لا ينجو من الخطايا .

---

(١) الملح : العلماء . اللسان (ملح) .

(٢) الصبحة : نوم الغداة . اللسان (صبح) .

وعنه قال :

قال عيسى عليه السلام : ياعلماء السَّوْء ، جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم ... الحديث .

وعن وَهْب بن مُنَبِّه

أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام قال : ويلكم ياعبيد الدنيا ! ماذا يُغني عن الأعمى سعة نورِ الشمس وهو لا يبصرها ! كذلك لا يغني عن العالِم كثرةُ علمِه إذا لم يعمل به . ماأكثر ثمار الشجر وليس كلُّها ينفع ولا يؤكل ! وما أكثر العلماء وليس كلُّهم ينتفع بما علم ! فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباسُ الصوف منكسين رؤوسهم إلى الأرض يطرِفون من تحت حواجبهم كما ترمُق الذئاب ، قولُهم مخالفٌ فعلَهم ، مَنْ يجتني من الشوك العنب ؟ ومن الحنظل التين ؟ كذلك لا يثمر قولُ العالم الكذَّاب إلا زوراً ، وإنَّ البعير إذا لم يوثقْهُ صاحبُه في البريَّة نزع إلى وطنه وأصله ، وإنَّ العِلْم إذا لم يعمل به صاحبُه خرج من صدره وخلا منه وعطَّله ، وإنَّ الزرع لا يصلح إلاَّ بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الإيمانُ إلا بالعلم والعمل ، ويلكم ياعبيد الدنيا ! إنَّ لكل شيءٍ علامةٌ يُعرف بها وتشهد له أو عليه ، وإنَّ للدين ثلاثَ علاماتٍ يُعرفُ بهنّ : الإيمان ، والعلم ، والعمل .

وعنه قال :

قال عيسى عليه السلام : ياعلماء السَّوْء ، جلستم على أبواب الجنة ، فلا أنتم تدخلون الجنة ، ولا تدَعُون المساكين يدخلونها ! إنَّ شرَّ الناس عند الله عالمٌ يطلب الدنيا بعلمه .

وعن عيسى المراديّ قال :

قال عيسى عليه السلام : إنْ كنتم أصحابي وإخواني فوطِّنُوا أنفسكم على العداوةِ [٥٨/ب] والبغضاء من الناس ، فإنكم إنْ لم تفعلوا فلستم لي بإخوان ، إني إنما أعلمكم لتعلموا لالتعجبوا ، إنكم لاتبلغون ماتأملون إلاَّ بصبركم على ماتكرهون ، ولا تنالون ماتريدون إلاَّ بتركِكم ماتشتهون ؛ إيَّاكم والنظرة فإنها تزرعُ في القلب شهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة ، طوبى لمن كان بصَرُه في قلبه ولم يكنْ قلبُه في بصر عينه ، ماأبعد مافات ، وما أدنى ماهو آت ! ويل لصاحب الدنيا ! كيف يموت وتتركه ؟ ويثق بها وتغرُّه ؟ ويأمَنُها وتمكُر به ؟ ويلٌ للمغترِّين ! قد أزِفهم ما يكرهون ، وجاءهم ما يُوعدون وفارقوا ما يَجْنُونَ في طول

الليل والنهار ؛ فويلٌ لمن كانتِ الدنيا همَّه ، والخطايا عمَلَه ! كيف يقتضي غداً بربه ؟ ولا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسُوَ قلوبكم وإنْ كانت ليِّنة ، فإنَّ القلب القاسي بعيدٌ من الله ولكن لاتعلمون ؛ لاتنظروا في ذنوب الناس كهيئة الأرباب ، وانظروا في ذنوبكم كهيئةِ العبيد ، إنما الناسُ رجلان : معافًى ومبتلى ، فاحمدوا الله على العافية وارحموا أهلَ البلاء ؛ متى نزل الماء على جبل ، ألا يلينُ له ؟ ومُذْ متى تدرسون الحكمة ولا تلينُ لها قلوبكم ؟ بقدرِ ماتواضعون كذلك تُرْحمون ، وبقدَر ماتحرثون كذلك تحصدون ، علماءُ السُّوْء مَثَلُهم كمثل شجرةِ الدَّفْلَى تُعجِب مَنْ نظر إليها وتقتل من يأكلها[1] ، كلامكم شفاء يُبرئ الداء وأعمالكم داءٌ لا يبرئُهُ شفاء ! جعلتم العلم تحت أقدامكم مثل عبيد السُّوْء ؛ بحقٍّ أقولُ لكم : وكيف أرجو أنْ تنتفعوا بما أقول وأنتم الحكمةُ تخرج من أفواهكم ولا تدخل آذانكم ، وإنما بينهما أربع أصابع ، ولا تعيها قلوبكم ، فلا أحرار كرام ، ولا عبيد أتقياء .

ومن كلام عيسى بن مريم : تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لاترزقون فيها إلاَّ بالعمل ، ويلكم علماءَ السُّوْء ! الأجر تأخذون ، والعمل تُضيعون ! يوشكُ ربُّ العمل أنْ يطلبَ عمله ، ويوشك أن تخرجوا من الدنيا العريضة إلى ظلمة القبر [٥٩/آ] وضيقه ؛ الله نهاكم عن الخطايا كما أمركم بالصيام والصلاة ؛ كيف يكونُ من أهل العلم من سخط رزقَهُ واحتقر منزلتَه ، وقد علم أنَّ ذلك من علم الله وقدرته ؟ كيف يكون من أهل العلم من اتَّهم اللهَ فيما قضى له ، فليس يرضى شيئاً أصابه ؟ كيف يكونُ من أهل العلم مَنْ دنياه عنده آثَرُ من آخرته ، وهو في الدنيا أفضَلُ رغبةً ؟ كيف يكون من أهل العلم مَنْ مصيرهُ إلى الآخرة وهو مقبلٌ على دنياه ، وما يضرُّه أشهى إليه مما ينفعه ؟ كيف يكونُ من أهل العلم مَنْ يطلبُ الكلام ليخزنَه ولا يطلبه ليعمل به ؟ !

قال عبد الله بن المبارك :

قال عيسى بن مريم : يوشك أنْ يفضيَ بالصابر البلاءُ إلى الرضا ، وبالفاجر الرخاء إلى البلاء .

---

(١) الدَّفْلى : شجر مُرّ ، أخضر ، حسن المنظر . اللسان (دفل) .

وعنه قال :

سيأتي على الناس زمان يُفضي بالصابر فيه الصبر إلى البلاء ويُفضي بالفاجر الفجور إلى الرَّخاء .

وعن سالم بن أبي الجعد قال :

قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل : يابني إسرائيل ، زعمتم أنَّ موسى نهاكم عن الزِّنى وصدقتم ، وأنا أنهاكم عنه وأحدِّثكم أنَّ مَثَل حديثِ النفس بالخطيئة كَمَثَل الدخان في البيت ، لايحرقه ، فإنه يُنتِنُ ريحَهُ ويغيِّر لونه ، ومَثَل القادح بالخشبة ، إلاَّ يكسرها فإنه يُعجِرها ويضعفها[1] .

قال عيسى عليه السلام لرجل : كن لربك كالحمام الألوف لأهله تُذبَحُ فراخُه ولا يطير عنهم .

وعن وهب بن مُنَبِّه قال :

قال الحواريُّون لعيسى : مَنْ أولياءُ الله الذين لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسى : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناسُ إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى أجل الآخرة حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميتَهم ، وتركوا ماعلموا أنْ سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياها فواتاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفعتها أمر الحق وضعوه ؛ خَلُقَتِ الدنيا عندهم فليسوا يجدِّدونها ، وخرِبَتْ بينهم فليسوا يعمرونها ، وماتت في صدروهم فليسوا يُحيونها ، يهدمونها فيبنون بها [٥٩/ب] آخرتَهم ويبيعونها فيشرون بها ما يبقى لهم ، رفضوها فكانوا برفضها فرحين ، وباعوها فكانوا ببيعها رابحين ، ونظروا إلى أهلها صَرْعى قد خلت فيهم المَثُلات ، فأحبُّوا ذكر الموت ، وأماتوا ذكر الحياة ؛ يحبُّون الله ، ويحبُّون ذكره ، ويستضيئون بنوره ؛ لهم خبَرٌ عجيب ، وعندهم الخبر العجيب ؛ بهم قام الكتاب ، وبه ـ يعني ـ قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم علم الكتاب ، وبه علموا ؛ ليسوا يرون نائلاً مع مانالوا ، ولا أماناً دون مايَرْجُون ، ولا خوفاً دون مايجدون .

---

(١) عجَرْتُ الشيء : شققته ؛ والعُجْرَة : العُقْدة في الخشبة . التاج (عجر) .

وعن مكحول قال :

التقى يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، فضحك عيسى في وجه يحيى وصافحه ، فقال له يحيى : يا ابن خالتي ! ما لي أراك ضاحكاً كأنك قد أمِنْت ؟ فقال له عيسى : يا ابن خالتي ! ما لي أراك عابساً كأنك قد يئست ؟ قال : فأوحى الله إليهما أنّ أحبّكما إليّ أبشّكما بصاحبه .

وعن شَهْر بن حَوْشب قال :

بينما عيسى جالس مع بني إسرائيل إذْ أقبل طير منظوم الجناحين بالدُّرّ والياقوت كأحسَنِ ما يكونُ من الطير ، فجعل يدرجُ بين أيديهم ، فقال عيسى : دعوهُ لا تُنَفِّرُوه ، فإنما بُعث إليكم ، فحوَّل مسلاخَهُ ، فخرج أحمر أقرع كأقبح ما يكون ، ثم أتى بِرْكةً فتلوَّث في حَمْأتها فخرج أسود ، ثم استقبل جِرْيَةَ الماء فاغتسل ، ثم عاد إلى مسلاخه ولبسه ، فعاد إليه حُسْنُه وجماله ، فقال عيسى : إنما بُعث هذا إليكم ، مثلُ هذا مَثَلُ المؤمن إذا وقع في الذنوبِ والخطايا ، ذهب عنه حسنه وجماله ، فإذا تاب وراجع عاد عليه حسنه وجماله .

بينما عيسى جالس وشيخ يعمل بِمِسْحاته يثير بها الأرض فقال عيسى : اللهم انزِعْ منه الأمل ، فوضع الشيخُ المسحاة واضطجع فلبث ساعةً ، فقال عيسى : اللهم اردُدْ إليه الأمل ، فقام فجعل يعمل ، فقال له عيسى : مالك بينما أنتَ تعمل ألقيتَ مِسْحَاتَك واضطجعت ساعةً ، ثم إنك قمتَ بعدُ تعمل ؟ فقال الشيخ : بينا أنا أعمل إذْ قالت لي نفسي : إلى متى تعمل وأنت شيخٌ [٦٠/آ] كبير ؟ فألقيتُ المِسْحاة واضطجعت ، ثم قالت لي نفسي : والله ما بذلك من عيش ما بقيت ، فقمتُ إلى مِسْحاتي .

قال إبراهيم التيميّ :

لقي عيسى بن مريم رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبَّد ، قال : مَنْ يعولك ؟ فقال أخي ، فقال : أخوك أعبَدُ منك .

وعن وَهْب بن مُنَبِّه قال :

كان عيسى واقفاً على قبر ومعه الحواريُّون وصاحبه يُدَلِّى فيه ، وذكروا القبر ووحشته وظلمته وضيقه ، فقال عيسى : كنتم في أضيق منه[1] في أرحام أُمّهاتكم فإذا أحبَّ الله أنْ يُوسع وسع .

---

(١) في الأصل « منكم » والمثبت من التاريخ (س) ٤١/١٤ ب .

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا معشر الحواريّين ، ادْعُوا الله أن يُهوِّن عليَّ هذه السكْرة ـ يعني الموت ـ ثم قال : لقد خفت الموت خوفاً وَقَفني ، مخافتي من الموت على الموت .

وعن عبد الجبار بن عبيد الله بن سليمان قال :

أقبل عيسى بن مريم على أصحابه ليلةَ رُفع فقال لهم : لا تأكلوا بكتاب الله عزَّ وجلّ ، فإنكم إنْ لم تفعلوا أقعدكم الله على منابر ، الحجَرُ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها .

قال عبد الجبار : وهي المقاعد التي ذكر الله في القرآن ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[1] ورفع عليه السلام .

وعن الحسن قال :

لم يَكُنْ نبيٌّ كانت العجائبُ في زمانه أكثر من عيسى بن مريم إلى أنْ رفعه الله ، ومن بعده في أصحابه ، وكان من سبب رفعه أنَّ ملكاً جباراً ـ وكان ملكَ بني إسرائيل ـ وهو الذي يقال له داود بن بوذا هو الذي بعث في طلبه ليقتله ، وكان الله أنزل عليه الإنجيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة ورُفع وهو ابن أربعٍ وثلاثين سنة من ميلاده ، وكان في نبوَّته عشرين سنة ، فأحدث الله له الإنجيل وهو ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنة ، فأوحى الله إليه ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[2] يعني ومخلِّصك من اليهود فلا يَصِلُون إلى قتلك .

قال وَهْب : قال كعب : متوفِّيك ، أي مذيقكَ الموت ثم أرفعك . قال وَهْب : فأماته الله ثلاثة أيّام ثم بعثه الله ورفعه .

[٦٠/ب]وقال ابنُ عباس :

﴿ إني متوفِّيك ورافعك ﴾ يعني رافعك ثم متوفِّيك في آخر الزمان .

وعن الحسن :

﴿ إني متوفِّيك ﴾ قال : متوفِّيك من الأرض .

---

(١) سورة القمر ٥٤/٥٥

(٢) سورة آل عمران ٣/٥٥

obeikandl.com

وعن وهب بن مُنَبِّه

أنَّ عيسى بن مريم لَمَّا أعلمه الله عزَّ وجلّ أنه خارجٌ من الدنيا جزع من الموت وشقَّ عليه ، فدعا الحواريِّين فصنع لهم طعاماً وقال : احضروني الليلة فإنَّ لي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل عشَّاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديَهم بيده ويوضِّئُهم ويمسح أيديَهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه وقال : ألاَ مَنْ ردَّ عليَّ الليلةَ شيئاً مما أصنع فليس مني ولا أنا منه ؛ فأقرُّوه ، حتى إذا فرغ من ذلك قال : أمَّا ما صنعتُ بكم الليلة ممَّا خدمتُكم على الطعام ، وغسلتُ أيديَكم بيدي ، فليكُنْ لكم بي أُسوة ، فإنكم ترون أني خيرُكم فلا يتعاظَمْ بعضُكم على بعض ، وليبذُلْ بعضُكم نفسَهُ لبعض كما بذلْتُ نفسي لكم ، وأمَّا حاجتي التي استعنت بكم عليها فتدعونَ الله وتجتهدون في الدعاء أنْ يؤخِّرَ أجلي . فلمَّا نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاءً ، ثم يوقظهم ويقول : سبحان الله ! أما تصبرون لي ليلةً واحدةً تعينوني فيها ! قالوا : والله ما ندري مالنا ، لقد كُنَّا نسمُر فنكثر السمر ، وما نطيق الليلة سَمَراً ولا نريدُ دعاءً إلاَّ حيل بيننا وبينه ، فقال : يُذهب بالراعي ويتفرَّق الغنم . وجعل يأتي بكلامٍ نحو هذا يبغي به نفسَه ، فقال : الحق أقول لكم : ليكفرنَّ بي أحَدُكم قبل أنْ يصيح الديك ـ ثلاث مرات ـ وليبيعني أحَدُكم بدراهم يسيرة ، وليأكلَن ثمني . فخرجوا فتفرَّقوا .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

لما اجتمعت اليهود على أخي عيسى بن مريم ليقتلوه بزعمهم أوحى الله إلى جبريل عليه السلام [٦١/آ] أنْ أدركْ عبدي ، فهبط جبريل فإذا هو بسطرٍ في جناح جبريل فيه مكتوب لاإله إلا الله محمدٌ رسولُ الله ، قال : ياعيسى قُلْ ، قال : وما أقول ياجبريل ؟ قال قل : اللهمَّ إني أسألك باسمك الواحد الأحد ، أدعوك اللهمَّ باسمك الصمد ، أدعوك اللهمَّ باسمك العظيم الوتْر ، الذي ملأ الأركان كلَّها إلاَّ فرَّجتَ عني ماأمسيتُ فيه وأصبحتُ فيه ؛ فدعا بها عيسى ، فأوحى الله إلى جبريل أنِ ارفعْ إليَّ عبدي . ثم التفت رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه فقال : يابني هاشم ، يابني عبد المطلب ، يابني عبد مَنَاف ، ادْعُوا بهؤلاء الكلمات ، والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ، مادعا بها قومٌ قطُّ إلاَّ اهتز له العرش والسماواتُ السبع ، والأرضون السبع .

وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ :

دخل عليَّ أبو بكر فقال : هل سمعتِ دعاءً علَّمنيه رسولُ الله ﷺ ؟ قالت : وما هو ؟ قال : كان عيسى بن مريم يُعلِّم أصحابَه : يا فارجَ الهمِّ وكاشفَ الغمّ ! مجيبَ دعوة المضطرّين ! رحمانَ الدنيا والآخرة ورحيمها ! ارْحَمْنا رحمةً تُغنينا بها عن رحمةِ مَنْ سواك . أو كما قال .

وعن وَهْب أنه كان إذا قدِم مكة تعلَّق بأستار الكعبة ، فدعا بهذه الدعوات ؛ وذكر وهْب أنه دعاءُ عيسى عليه السلام وقت رفعَهُ الله إليه ، وهو دعاءٌ مستجاب : اللهمَّ أنت القريبُ في علوِّك ، المتعالي في دُنوِّك ، الرفيع على كلِّ شيءٍ من خلقك ، أنت الذي نفذ بصَرُك في خلقك وحسرتِ الأبصارُ دون النظر إليك وعَشِيَتْ دونك ، وسبح بها الفلق في النُّور ، أنت الذي جلَّيْتَ الظُّلَم بنورك ، فتباركتَ اللهمَّ خالقَ الخلق بقدرتك ، ومقدِّرَ الأمور بحكمتك ، مبتدع الخلق بعظمتك ، القاضي في كُلِّ شيءٍ بعلمك ، أنت الذي خلقتَ سبعاً في الهواء بكلماتك مستوياتِ الطباق مذعناتٍ لطاعتك ، سما بهنَّ العلوُّ بسلطانك فأجَبْنَ وهنَّ دخانٌ من خوفك ، فأتينَ طائعاتٍ بأمرك ، فيهنَّ الملائكةُ يسبِّحونك ويقدِّسونك ، وجعلتَ فيهنَّ نوراً يجلو الظلام ، وضياءً أضوأ من الشمس ، وجعلت فيهنَّ مصابيح يُهتدى بها في [٦١/ب] ظلماتِ البرِّ والبحر ، ورجوماً للشياطين ؛ فتباركت اللهمَّ في مَفْطُور سماواتك ، وفيما دحَوْتَ من أرضك ، دَحْوَتها على الماء فأذْلَلْتَ لها الماء المتظاهر ، فذلَّ لطاعتك وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك أمواجُ البحار ففجَّرْتَ فيها بعد البحار الأنهار ، وبعد الأنهار العيون الغزار والينابيع ، ثم أخرجت منها الأشجار والثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا ، فأطاعتك أطوادها ، فتباركت اللهم صفتُك ، فَمَنْ يبلغُ صفة قدرتك ! ومَنْ يُنعَتُ نعتك ! تَنَزَّلَ الغيث وتثني السحاب ، وتفكُّ الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين ، لا إله إلا أنت ، إنما يخشاك من عبادك العلماء الأكياس ، أشهد أنك لست بإلهٍ استحدثناك ، ولا ربٍّ يَبِيدُ ذكره ، ولا كان لك شركاء يقضون معك فتدعوهم ويدعونك ، ولا أعانك أحدٌ على خلقك فنَشُكَّ فيك ، أشهد أنك أحَدٌ صَمَد ، لم يلِد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يتَّخذْ صاحبةً ولا ولدا ، اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً . قال وهب : فلمَّا تمَّ الدعاء رفعه الله إليه .

قال وهْب : وهو للشَّقيقة[1] من هذا الموضع : أشهد أنَّكَ لستَ بإلهٍ استحدثناك ... إلى آخرها .

---

(١) الشقيقة : داء أو صداع يأخذ في نصف الرأس والوجه . اللسان (شقق) .

وعن الفرّاء في قوله عزَّ وجلّ : ﴿ ومَكَرُوا ومَكَر الله ﴾[1] معنى هذه الآية : أنَّ عيسى غاب عن خالته زماناً فأتاها ، فقام رأسُ الجالوت اليهودي ، فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأسُ الجالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى ، ثم خرج إلى أصحابه فقال : لم أره ، ومعه سيفٌ مسلول ، فقالوا : إنَّهُ أنت عيسى . ألقى اللهُ شبَهَ عيسى عليه ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه ، فقال جلَّ جلالُه : ﴿ وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبِّه لهم ﴾[2] ألقى شبهَهُ عليه ، ثم قال عزَّ وجل : ﴿ ومكروا ومكَرَ الله ﴾[1] .

وعن ابن عباس قال :

لَمَّا أراد الله أنْ يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عَيْنٍ في البيت ، ورأسه يقطُر ماء ؛ قال : فقال : إنَّ منكم مَنْ سيكفر اثنتي عشرة[3] مرةً من بعد أن آمن بي[4] ، ثم قال : أيُّكم يُلقى عليه شبَهي [٦٢/أ] فيقتل مكاني ويكونُ معي في درجتي ؟ فقام شاب من أحدثهم سِنّاً فقال : أنا ، فقال عيسى : اجلسْ ، ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال : أنا ، فقال : اجلسْ ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا ، فقال : نعم أنت ذاك . فأُلقي عليه شبَهُ عيسى ، ورُفع عيسى من رَوْزَنَةٍ[5] في البيت إلى السماء ، وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شِبْهه فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة[3] مرَّةً بعد أنْ آمنَ به ، فتفرَّقوا ثلاث فِرَق ؛ قالت فِرقة : كان الله فينا ماشاء ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبيَّة ؛ وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ماشاء ثم رفعه إليه وهم النَّسْطُوريَّة ؛ وقالت فرقة : كان عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء المسلمون . فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها ، فلم يزَل الإسلامُ طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ﴿ فآمنَتْ طائفةٌ من بني إسرائيلَ وكفَرتْ طائفة ﴾[6] يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في

---

(١) سورة آل عمران ٥٤/٣

(٢) سورة النساء ١٥٧/٤

(٣) في الأصل اثنا عشر مرة وفي (س) اثني عشر مرة .

(٤) في الأصل « فيّ » والمثبت من التاريخ .

(٥) الروزنة : الكوة ، أو الخرق في أعلى السقف . اللسان (روزن) .

(٦) سورة الصف ١٤/٦١

زمان عيسى ، والطائفة التي آمنت في زمان عيسى ﴿ فأيَّدْنا الذينَ آمَنُوا على عَدُوِّهِمْ فأصْبَحُوا ظاهرين ﴾[1] في إظهار محمدٍ ﷺ دينَهم على دين الكفار فأصبحوا ظاهرين .

وعن ابن عباس قال :

لمَّا فرغ عيسى من وصيَّته واستخلف شمعون وقتلتِ اليهودُ بوذا وقالوا هو عيسى يقولُ الله تعالى : ﴿ وما قَتَلُوهُ وما صلَبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لهم ... وما قتلوه يقيناً ، بل رفَعَهُ الله إليه ، وكان الله عزيزاً حَكِيماً ﴾[2] . فأمَّا اليهود والنصارى فيقولون قد قتلوه ؛ وأمَّا الحواريُّون فعلموا أنه لم يُقتل ، وأنكروا قول النصارى واليهود ، وخلَّص الله عيسى وأنزل الله سحابةً من السماء ، سحابةً لاستقلال عيسى ، فوضع عيسى على السحابة ، فلزمَتْهُ أمُّه وبكَتْ ، فقالت السحابة : دعيهِ فإنَّ الله يرفَعُه إلى السماء ، ثم يشرف على أهل الأرض عند أوانِ الساعة ، ثم يهبِطُ إلى الأرض فيكون فيهم ما شاء الله ، ويبدِّلُ اللهُ به الأرضَ أمْناً وعَدْلاً . فكفَّتْ عنه مريم تنظر إليه وتشير بإصبعها إليه ، ثم ألقى إليها بردائه فقال : هذا علامَةُ [٦٢/ب] مابيني وبينكِ يوم القيامة .

وقال ابن عباس :

إنَّ عيسى لَمَّا حُمل على السحابة وودَّع أُمَّه والحواريِّين ثم أصعدتْ به السحابةُ ، فذهبت أمُّه لتتناولَ رجله فقال : لاتفعلي يا أُمَّهْ ! وألقى عمامتَه إلى شمعون ، وأمُّه تمسُّ السحاب حتى فاتها السحاب ، وأخذ شمعون العمامة فجعلها في عنُقه وهم ينظرون إلى عيسى ويشيرون بأيديهم حتى توارى عنهم .

وعن مجاهد :

أنَّ اليهود لما أرادوا عيسى وطلبوه ليقتلوه ، فألجؤوهُ إلى غارٍ في الجبل ، ومعه أمُّه والحواريُّون ، فعهد إليهم عهده وقال : إني مرفوع . وأُنزلت الغمامةُ حتى حملت عيسى ، واليهود يحرسونه ، فانصدع الجبل وارتفعتِ السحابة بعيسى ، ثم دخلوا الغار فأخذوا الذي دلَّ على عيسى فعدَوْا عليه فصلبوه ، وأخذوا أصحابَ عيسى فحبسوهم وعذبوهم ؛ فبلغ ذلك

---

(١) سورة الصف ١٤/٦١

(٢) سورة النساء ١٥٧/٤ و ١٥٨

صاحبَ الروم ، وكان اليهودُ تحت يديه ، فقيل له : إنه كان في مملكتك رجلٌ عدا عليه بنو إسرائيل فصلبوه ، وهم يعذِّبون أصحابه ، وكان يخبرُهم أنه رسولُ الله قد أراهم العجائب ، وأحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الأسقام ، وخلق لهم من الطين كهيئة الطير . فبعث ملكُ الروم إلى الحواريِّين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن دين عيسى فأخبروه ، فبايعهم على دينه ، واستنزل الذي صُلِب فغيَّبه ، وأخذ خشبه الذي[1] كان صُلب عليها فأكرمها وطيَّبها ، وعدا على اليهود فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، فمن هنالك يعظِّم النصارى الصُّلْبان ، ومن هنالك صار جُلُّ أهلِ النصرانيَّة بالروم ، وملك الحواريُّون بعد ذلك وذلَّتِ اليهود وظهرتِ النصرانية ، وملك يحيى بن زكريا وشمعون والحواريُّون ومَنْ بايعهم . وكان يقال لشمعونُ : صخرة الإيمان ، وكان رجلاً بكَّاءً إذا جلس مجلساً فإنما هو باك وجلساؤه يبكون ، وكان يحيى بن زكريا رجلاً ضحَّاكاً بساماً ، إذا جلس لم يزَلْ ضاحكاً وأصحابه يضحكون فقال لهم [٦٣/آ] يوماً شمعون : سبحان الله يا بن زكريا ! ماأكثر ضحكك في الحق والباطل ! فقال يحيى : سبحان الله يا شمعون ! ماأكثر بكاءك في الحق والباطل ! لقد عنَّيت نفسَك وعنَّيتَ جلساءك ! قال : فجاء من الله أنَّ أحبَّ سيرةِ الرجلين إليَّ سيرةُ يحيى بن زكريّا .

وعن وهب بن مُنَبِّه

أنَّ عيسى لما رُفع اجتمعت بنو إسرائيل مَنْ آمن منهم بعيسى فقالوا : ننظر في أمرنا ؛ فانطلق إبليس فدعا عفاريته ، فاجتمعوا إليه فأخبرهم بالذي يريدُ بنو إسرائيل فقال : إنا وجدنا منهم فرصة ، قال : فاختار عفريتين فأمرهما بما يريد ، ثم انطلقوا حتى دخلوا على بني إسرائيل في مجمعهم الذي اجتمعوا فيه ، فأمر صاحبيه فجلس كلُّ واحدٍ منها ناحية ، وجلس إبليس ناحية ، فلما فرغ بنو إسرائيل من بعض ماهم فيه قام أحد صاحبيه بهيئة حسنة في هيئة عُبَّادهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الله قد أكرمكم واختاركم على خلقه بأنْ نزَل من السماء ، فكان بين أظهركم ماشاء أن يكون ، ثم عاد إلى سماواته ، فاشكروهُ بما صنع إليكم . ثم جلس ، فقام الآخر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيُّها المتكلِّم ! لاأعلمُ متكلِّماً يتكلم بكلامٍ أحسنَ من كلامك ! ولا أرفق ولا أوفق ولا أقربَ من كل خير ! غير أنك زعمت أن عيسى هو الله وأنَّهُ نزل من السماء بين أظهرنا ، وإنَّ اللهَ لا يزولُ من مكانه ولكنَّ

---

(١) كذا الأصل ، والوجه « التي » ؛ وخشبه : بفتح الخاء والشين المعجمتين وضمها ، جمع خشبة .

عيسى هو ابنُه ، فأهبطه إلينا وأكرمنا به ، ثم جلس ، فقام إبليس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيُّها المتكلمان ! لا عَهْدَ لنا بمتكلمَيْن أقربَ من كل خير وأبعدَ من كلِّ شرٍّ منكما إلاّ مازعم الأولُ أنَّ الله هبط إلينا ، وإنَّ الله لا يهبطُ من سماواته ؛ وما ذكر الآخر أنَّ عيسى هو ابن الله ، وإنَّ الله ليس له ولد ، ولكنَّ الله إلهُ السماوات ومَنْ فيهنّ ، وعيسى إلهُ الأرض ومَنْ فيهنّ . قال : فتفرَّقت من ذلك العبادُ والصالحون ، فاختلفوا .

قال ابن عباس : اختلفوا على هذا القول بعد إحدى وثمانين سنة .

[٦٣/ب] وفي حديثٍ آخر بمعناه : أنَّ عيسى صعد وهم ينظرون إليه ، حتى إذا بلغ من الكَوِّ خرج من الكَوِّ[1] لا يتسوسع الكَوُّ ولا يستصغر على عيسى في بدنه ؛ قال : وهم ينظرون إليه حتى توارى عنهم ... الحديث .

وعن الأصْبَغ بن نُبَاتة قال : قال عليّ :

إنَّ خليلي حدثني أنْ أُضرب لسبع عشرة مضى[2] من رمضان ، وهي الليلة التي مات فيها موسى وأموتُ لاثنتين وعشرين تمضي من رمضان ، وهي الليلةُ التي رُفع فيها عيسى عليه السلام .

وعن أبي زُرْعة

أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام رُفع من طُورِ زَيْتَا[3] ، بعث الله عزَّ وجلّ ريحاً فخفقت به حتى هرول ، ثم رفعه الله عزَّ وجلّ إلى السماء .

وعن عائشة رضي الله عنها

أنَّ رسولَ الله ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه قال : يا فاطمة يابنتي أخْني عليّ . فأحنَتْ عليه فناجاها ساعةً ثم انكشفت عنه وهي تبكي ، وعائشةُ حاضرة ، ثم قال رسولُ الله ﷺ بعد ذلك بساعة : أخْني عليّ . فأحنَتْ عليه ، فناجاها ساعةً ثم انكشفَتْ عنه تضحك ، فقالت عائشة : يا بنت رسول الله ! أخبريني ماذا ناجاك أبوك ؟ قالت :

---

(١) الكوّ : مثل الكَوّة .

(٢) كذا الأصل والتاريخ ، والوجه : « مضت » .

(٣) طور زيتا : جبل مشرف على بيت المقدس . انظر معجم البلدان ٤٧/٤ ، ٤٨ .

أوشكتِ ، رأيتِهِ ناجاني على حال سرٍّ ، ثم ظننتِ أني أُخبرُ بسرِّه وهو حيّ ! فشقَّ ذلك على عائشة أنْ يكون سِرٌّ دونها ؛ فلمَّا قبضه الله عزَّ وجلَّ إليه قالت عائشة لفاطمة : ألا تُخْبريني ذلك الخبر ؟ قالت : أمَّا الآن فنعم ، ناجاني في المرَّةِ الأولى فأخبرني أنَّ جبريلَ كان يعارضُه القرآن في كُلِّ عامٍ مرَّة ، وأنه عارضه القرآن العام [مرَّتين][1] ، وأنَّه أخبره أنَّه لم يكنْ نبيٌّ بعد نبي إلاَّ عاش نصفَ عُمرِ الذي كان قبله ، وأنه أخبرني أنَّ عيسى عاش عشرين ومئة سنة ولا أراني إلاَّ ذاهب . وهو على رأس الستين ، فأبكاني ذلك ، وقال : يا بُنَيَّة ، إنه ليس من نساء المؤمنين أعظمَ رزيَّةً منك ، فلا تكوني أدْنى من امرأةٍ صبراً . ثم ناجاني في المرَّةِ الأخرى فأخبرني أني أولُ أهلِهِ لُحوقاً به ، وقال : إنك سيِّدةُ نساء أهلِ الجنة .

وفي روايةٍ أخرى بمثله أنه ﷺ قال [٦٤/آ] لعائشة رضوان الله عليها من حديثٍ بمعناه ، وأنه لم يكن نبيٌّ إلاَّ عاش نصف عُمرِ أخيه الذي كان قبله ، عاش عيسى مئة وخمساً وعشرين سنة ، وهذه اثنتان وستون سنة . ومات في نصف السنة .

قال : هكذا وقع ، والصحيح أنَّ عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مُقامه في أمته .

وعن فاطمة بنت النبيِّ ﷺ أنها قالت : قال لي رسولُ الله ﷺ :

إنَّ عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة .

وفي حديثٍ عن فاطمة عليها السلام بمعناه قالت : دعاني رسولُ الله ﷺ فقال : إنَّ الله لم يبعث نبيّاً إلاَّ وقد عُمِّر الذي بعده نصف عُمُرِه وإنَّ عيسى لبث في بني إسرائيل أربعين سنة وهذه تُوفي لي عشرين سنة ، ولا أراني إلاَّ ميت[2] في مرضي هذا ... الحديث .

وعن سعيد بن المسيِّب قال :

رُفع عيسى وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة ، ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

---

(١) ما بين معقوفين من التاريخ (س) ١٤/٤٤ ب .

(٢) كذا الأصل والتاريخ ، والوجه بالنصب .

وعن سلمان قال :

الفترةُ ما بين عيسى ومحمدٍ ﷺ ستُّ مئة سنة .

وعن أنس بن مالك قال :

بينا نحن مع رسولِ الله ﷺ إذ رأينا بُرداً ويداً ، فقلنا : يا رسولَ الله ! ما هذا البُرْد الذي رأينا واليد ؟ قال : قد رأيتموه ؟ قلنا : نعم ، قال : ذاك عيسى بن مريم سلَّم عليّ .

وعن أنس بن مالك قال :

كنت أطوفُ مع رسولِ الله ﷺ حول الكعبة إذْ رأيته صافح شيئاً ولا نراه ! قلنا : يا رسول الله ! رأيناك صافحت شيئاً ولا يراه أحد ! قال : ذاك أخي عيسى بن مريم انتظرتُه حتى قضى طوافه فسلَّمتُ عليه .

وعن ابن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصاري عن ابن عباس قال :

لقد علمتُ آيةً من القرآن ما سألني عنها رجلٌ قطّ ، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها ؟ ثم طفق يحدثنا ، فلمّا قام تلاومْنا ألاّ نكونَ سألناهُ عنها فقلت أنا لها إذا راح غداً ، فلمّا راح الغد قلت : يابن عباس ذكرت أمسِ أن آيةً من القرآن لم يسألكَ عنها رجلٌ قطّ ، ولا تدري أعلمها الناسُ فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها ، فقلت : أخبرني عنها وعن اللائي قرأتَ [٦٤/ب] قبلها ؟ قال : نعم ، إنّ رسولَ الله ﷺ قال لقريش ، يامعشر قريش ! إنه ليس أحَدٌ يَصِدُّ دون الله فيه خير ، وقد علمتْ قريش أنّ النصارى تعبد عيسى بن مريم وما تقولُ في محمد . فقالوا : يامحمد ! ألستَ تزعم أنّ عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً ، فلئنْ كنت صادقاً فإنّ آلهتَهم لكما يقولون . قال فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ ولَما ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مثلاً إذا قَوْمُكَ منهُ يَصِدُّون ﴾[1] قال : قلت : وما يصِدُّون ؟ قال : يضجُّون ﴿ وإنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾[2] قال : وهو خروجُ عيسى بن مريم قبل القيامة .

---

(١) سورة الزخرف ٥٧/٤٣

(٢) سورة الزخرف ٦١/٤٣

وعن الحسن بن صالح قال :

لما قيل لعيسى ﴿ أأنتَ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلهَيْنِ من دونِ الله ﴾[1] تزايلت مفاصله . ولما قال لقمان لابنه : ﴿ يابُنَيَّ إنَّها إنْ تَكُ مِثْقَالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ فتَكُنْ في صَخْرَةٍ أوْ في السماواتِ أو في الأرضِ يَأْتِ بها اللهُ ﴾[2] تفطَّر فمات .

وعن أبي هريرة قال :

تلقَّى عيسى حُجَّتَهُ ولقَّاه الله في قوله : ﴿ وإذْ قال اللهُ ياعيسى ابْنَ مَرْيَمَ أأنتَ قُلْتَ للناس اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلهَيْنِ ﴾[1] . قال أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ : فلقَّاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ سبحانك ما يكونُ لي أنْ أقولَ ماليسَ لي بِحَقّ ﴾[1] .

وعن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

يوشكُ أنْ ينزل فيكم ابنُ مريم حكماً عَدْلاً وإماماً مُقسطاً يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجِزْيَة ؛ ويفيضُ المال حتى لا يقبَلُهُ أحد .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

ألا إنَّ عيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبيٌّ ولا رسول ، ألا إنه خليفتي في أُمَّتي من بعدي ، ألا إنَّه يقتلُ الدجَّال ، ويكسر الصليب ، ويضع الجِزْيَة وتضعُ الحربُ أوزارها ، ألا فَمَنْ أدركه منكم فليقرأْ عليه السلام .

زاد في رواية : ولتتركنَّ القلاص فلا يُسعى عليها ، ولتذهبنَّ الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليُدعوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحد .

وفي آخر : ولتصلُحَن ذاتُ البَيْن .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

لَيُهبطنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عيسى بن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، فليسلكنَّ فَجَّ الرَّوْحاء[3] حاجّاً أو معتمراً [٦٥/آ] وليقفنَّ على قبري ، فليُسَلِّمَنَّ عليّ ، ولأَرُدَّنَّ عليه .

---

(١) سورة المائدة ١١٦/٥

(٢) سورة لقمان ١٦/٣١

(٣) فج الروحاء : بين مكة والمدينة ، كان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحج . معجم البلدان ٢٣٦/٤

وفي رواية : ثم لئنْ قام على قبري فقال يا محمد لأجيبنَّه .

وفي رواية : فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب وتكون الدعوةُ واحدة فأقرئوهُ السلامَ من رسولِ الله ﷺ : فلما حضرَتْهُ الوفاة قال أقرئوه مني السلام . زاد في آخر : وتجمع له الصلاة .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

ينزل ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويرجع السلم ، وتُتخَذُ السيوفُ مناجل ، وتذهب حُمَةُ كُلِّ ذاتِ حُمَة[1] ، وتُنزل السماءُ رزقها ، وتُخرج الأرضُ بركتَها ، حتى يلعبَ الصبيُّ بالثعبان فلا يضرُّه ، فتراعي الغنمُ الذئبَ فلا يضرُّها ، ويراعي الأسد البقر فلا يضرُّها .

وفي رواية حتى يقتل الخنزير والقردة ، ويكسر الصليب ، وتكون السجدةُ للهِ ربِّ العالمين .

وعن نَمِرَة عن رسول الله ﷺ قال :

الدجَّال خارج ، وإنَّه أعورُ عين الشِّمال عليها ظَفَرَةٌ غليظة[2] وإنه يبرئُ الأُكْمَهَ والأبرص ويحيي الموتى ، ويقول للناس : إني ربُّكم . فَمَنْ قال أنت ربِّي فقد افتُتِن ، ومَنْ قال ربي الله ، حتى يموت على ذلك فقد عُصم من فتنة الدجَّال ، ولا فتنة عليه ولا عذاب ، فيمكث في الأرض ماشاء الله ، ثم ينزل عيسى بن مريم من قِبَلِ المغرب مصدِّقاً لمحمدٍ ﷺ وعلى مِلَّته فيقتل الدجال ، ثم إنما هو قيام الساعة .

وعن عائشة قالت :

دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا أبكي فقال : ما يبكيك ؟ قلت : يا رسولَ الله ذكرتُ الدجال فبكيت فقال رسولُ الله ﷺ : إنْ يخرجِ الدجَّالُ وأنا حيٌّ كَفيتكموه ، وإنْ يخرجْ بعدي فإنَّ ربَّكم ليس بأعور ، إنه يخرجُ في يهوديَّةِ أصبهان حتى يأتي المدينة فينزلُ ناحيتها ،

---

(١) الحمة : الإبرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك ، أو تلدغ بها . ويقال إنها السُّم . اللسان (حمي) .

(٢) الظَفَرة : لحمة تنبت عند المآقي ، وقد تمتد إلى السواد فتغشّيه . اللسان (ظفر) .

ولها يومئذ سبعةُ أبواب ، على كل نقب منها ملكان ، فيخرج إليه شرارُ أهلها ، حتى يأتي الشام مدينةً بفلسطين بباب لُدّ ـ[1] وفي رواية : حتى يأتي فلسطين باب لُدّ ـ فينزل عيسى فيقتله ، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماماً عَدْلاً وحكماً مقسطاً .

وعن زيد بن أسلم قال :

يهبطُ المسيح عيسى بن مريم [٦٥/ب] إماماً مقسطاً وحكماً عَدْلاً ، يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية وتضع الحربُ أوزارها وتُنْبَرُ[2] قريشٌ الإمارة ، وتملأ الأرض من السلم كما يُملأ الإناء ، حتى يتدفّق من جوانبه كلّها ، وتعودُ الأرض كفاثُور[3] الوَرِق ، وتُرفع العداوةُ والبغضاء والشحناء ، وتُنزَعُ من كلّ ذي حُمَةٍ حُمَتُها[4] ، فيومئذ يطأُ الصبيُّ على رأس الحيّة فلا تضرُّه وتُفِرُّ الجاريةُ الأسد كما تُفِرُّ جَرَيُّ الكلب الصغير ، ويُقَوَّمُ الفرس بعشرين درهماً ، وتُقوَّم البقرة بكذا وكذا ، كأنّهُ يرفع ثمنها .

وعن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

كيف بكم إذا نزل بكم ابنُ مريم فأمّكم ـ أو قال : إمامُكم منكم .

وعن جابر قال : قال النبيُّ ﷺ :

لا تزالُ طائفةٌ من أُمّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزلُ عيسى بن مريم ، فيقولُ أميرُهم : تعالَ صلِّ بنا ، فيقول : لا ، إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء . فتكرمة الله لهذه الأمّة . وفي رواية : أنتم أحقّ ، بعضكم أمراء بعض ، أمْرٌ أكرم الله به هذه الأمة .

وعن عبد الله

أنّ المسيح بن مريم خارجٌ قبل يوم القيامة وليستغنِ به الناس عمّن سواه .

---

(١) لُد : قرية قرب بيت المقدس . انظر معجم البلدان ١٥/٥ . وموقعها اليوم إلى الجنوب الشرقي من يافا وإلى شمال الرملة من فلسطين .

(٢) في الأصل والتاريخ (س) بإهمال الحروف ، وما أثبتُّه من (د) وإلى جانب السطر حرف (ط) إشارة إلى عدم اطمئنان المختصِر إليها . وتنبر : من النَّبْر ، وهو الخَلْس والسلب . وأخرج الحديث ابن ماجه في سننه ، الفتن ١٣٦٣/٢ من طريق أبي أمامة الباهلي عن الرسول ﷺ ولفظه : « وتسلب قريش ملكها » .

(٣) الفاثور : الخوان ، أو طست أو جام من فضة أو ذهب . اللسان (فثر) .

(٤) مضى شرح الحمة ص ١٤٥ ح ١

وعن أبي هريرة قال :

والـذي نفسي بيـده لينزلَنَّ عيسى بن مريم عَـدْلاً في الأرض مقسطـاً ؛ وإني لأرجو أنْ لاأموتَ حتى ألقاه ، ويمسح عن وجهي ، وأحدثه عن رسولِ الله ﷺ فيصدقني .

وعن أبي هريرة قال :

ينزل عيسى بن مريم إمـامـاً مقسطـاً وحَكَماً عـدلاً ، فيكسر الصليب ويقتـل الخنزير وتضَـعُ الحربُ أوزارهـا ، وتنبر[1] قريش في الإمـارة ، وتضـع كلُّ ذاتِ حمـلٍ حَمْلَهـا حتى إنَّ الرجل ليضَعُ قـدمـه على رأسِ الحيَّـة فـا تضرُّه ، وحتى إنَّ الـذئب ليكون في الغنم ككلبهـا ، وحتى إنَّ السَّبُعَ ليكـون في الخيـل كراعيهـا وحتى إنَّ الصبيَّ ليُـدخِـلُ يـده في في الـذئب فـا يضرُّه ، وحتى إنَّ الملأ ليأكلون التفاحة ، وحتى إنَّ العصابة ليأكلون من العنبـة ، ثم يقولون : يا ليتَ إخواننا أدركوا هذا [٦٦/آ] العيش .

وعن أبي الأشعث الصنعاني قال : سمعتُ أبا هريرة يقول :

يهبـطُ المسيح عيسى بن مريم ، فيصلي الصلوات ، ويجمع الجمع ، ويزيـد في الحـلال قلت : يا أبا هريرة ! ما أراه يزيد إلاَّ في النساء . فضحك وقال : كأني به تُجِدُّ بهِ رواحلُه ببطن الرَّوْحاء حاجًّا أو معتراً ، فَمَنْ لقيه منكم فليقلْ إنَّ أخاك أبـا هريرة يقرئـك السلام . قال أبو الأشعث : ثم نظر إليَّ فقال : قد أشفقت أني لا أموتُ حتى أدركه .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

لمـا كان ليلـة أُسري برسـولِ الله ﷺ لقي إبراهيمَ ومـوسى وعيسى عليهم السـلام ، فتذاكروا الساعة متى هي ؟ فبدؤوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكنْ عنـده منهـا علم ، وسألوا مـوسى فلم يكنْ عنـده منهـا علم ، فردُّوا الحـديث إلى عيسى فقـال : عهِـدَ الله إليَّ فيما دون وَجْبتِها ، فأمَّا وجْبَتُها فلا يعلمها إلاَّ اللهُ عزَّ وجلّ ـ فذكر من خروج الـدجَّال ـ مـا يهـبط مـا هنالـه[2] ، فيرجـع النـاس إلى بـلادهم فيستقبلهم يـأجـوجُ ومـأجـوج وهم من كلِّ حَـدَبٍ

---

(١) إلى جانب السطر في الأصل حرف (ط) راجع الحاشية (٢) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (د ، س) ، إلا كلمة « يهبط » فهي في النسختين بباء موحدة ، والعبارة محرفة ، وصوابها عند الحاكم في المستدرك ٤٨٨/٤ عن ابن مسعود ولفظه : « قال : فأهبط فأقتله فيرجع ... » ويلتقي إسنادهما في يزيد بن هارون ، ويعضد هذه الرواية رواية ابن ماجه في سننه ١٣٦٥/٢ من طريق ابن مسعود ولفظه : « فأنزل فأقتله فيرجع ... » .

يَنْسِلُون ، لا يمرُّون بماءٍ إلا شربوه ، ولا شيءٍ إلاَّ أفسدوه فيجأرون إليّ ، وأدعو الله فيميتهم ، فتجيفُ الأرضُ من ريحهم ، فيجأرون إليّ ، فأدعو الله ، فيرسل السماء بالماء فتحملهم فتقذف أجسامهم في البحر ثم تُنسف الجبال ، وتُمَدُّ الأرضُ مَدَّ الأديم ؛ فعهد اللهُ إليَّ أنه إذا كان ذلك ان[1] الساعة من الناس كالحامل المُتِمّ لا يدري أهلُها متى تفجؤهم بولادِها ليلاً أمْ نهاراً !

قال العوّام[2] : فوجدتُ تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ثم قرأ : ﴿ حتى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ، واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ ﴾[3] .

زاد في رواية عند ذكر الدجّال : فإذا رآني فيذوب كما يذوبُ الرصاص ، حتى إنَّ الحجر والشجر ليقول : يا مسلم إنَّ تحتي كافراً فتعال فاقتُلْه ... الحديث .

وعن ابن عبّاس أنه قال :

أوّلُ مَنْ يتبَعُهُ سبعون ألفاً من اليهود عليهم السِّيجان ـ وهي الألبسة من صوف أخضر ، يعني به الطيالسة ـ ومعه سَحَرةُ اليهود يعملون العجائب ويُرونها للناس فَيُضِلُّونهم بها [٦٦/ب] وهو أعور ممسوحُ العين اليمنى ، يسلّطُه الله على رجلٍ من هذه الأمة فيقتله ، ثم يضربه فَيُحييه ، ثم لا يصل إلى قتله ولا يسلَّطُ على غيره ، ويكون آيةَ خروجه تركُهم الأمرَ بالمعروف والنَّهْيَ عن المنكر ، وتهاوناً بالدماء ، وضيَّعوا الحكم ، وأكلوا الرِّبا ، وشيَّدوا البناء ، وشربوا الخمر ، واتَّخذوا القيان ، ولبسوا الحرير وأظهروا بِزَّةَ[4] آل فرعون ، ونقضوا العهد وتفقَّهُوا لغير الدين ، وزيَّنوا المساجد ، وخرَّبوا القلوب ، وقطعوا الأرحام ، وكثرتِ القُرَّاء ، وقلَّت الفقهاء وعُطلتِ الحدود ، وتشبَّهَ الرجالُ بالنساء والنساءُ بالرجال ، فتكافأ الرجالُ بالرجال والنساء بالنساء ، بعث الله عليهم الدجَّال فتسلَّط عليهم ، حتى ينتقم منهم ، وينحاز المؤمنون إلى بيت المقدس . قال ابن عباس : قال رسولُ الله ﷺ : فعند

---

(١) كذا الأصل والتاريخ (س) ٤٩/١٤ ب ، وأظنه تصحيف والصواب : « كان » أو « كانت » وهو ما جاءت به رواية ابن ماجه المشار إليها آنفاً .

(٢) يعني العوّام بن حوشب ، راوي الحديث عن جبلة بن سحيم عن مُوْثِر بن عَفَازة عن عبد الله بن مسعود . كما في سند الحديث في التاريخ .

(٣) سورة الأنبياء ٩٦/٢١ و ٩٧

(٤) لم تعجم اللفظة في الأصل ، وفي التاريخ (س) : « ترة » ، وما أثبتُّه أشبه بالصواب ، والبزّة : الهيئة والشارة واللّبسة .

ذلك ينزل أخي عيسى بنُ مريم من السماء على جبل أَفِيق[1] إماماً هادياً وحكماً عَدْلاً ، عليه بُرْنُس له ، مربوع الخَلْق أصلب ، سَبْط الشعر ، بيده حربة ، يقتل الدجال ، فإذا أقبل[2] الدجّال تضع الحربُ أوزارها وكان السلم ، فيلقى الرجل الأسد فلا يهيجه ، ويأخذ الحيَّة فلا تضرُّه وتنبت الأرض كنباتها على عهد آدم ، ويُؤمنُ به أهل الأرض ، ويكون الناس أهلَ مِلَّةٍ واحدة .

وعن عبد الله بن عمرو

أنه سأل أحد الرجلين[3] فقال : أنت عبد الله بن عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أنت الذي تزعم أنَّ الساعة تقوم إلى مئةِ سنة ؟ قال سبحان الله ! وأنا أقول ذلك ! قال : ومَنْ يعلمُ قيام الساعة إلاَّ الله ! إنكم يا أهل العراق لتروُون أشياء ليست كذلك ، وإنما قلت : ما كانت رأس مئةٍ للخَلْق - يعني منذ خُلقت الدنيا - إلاَّ كان عند رأس المئة ، قال : ثم يوشك أن يخرج ابن حمل الضَّأن ، قال : قلت : وما ابن حمل الضَّأن ؟ قال : رومي ، أحد أبويه شيطان ، يسير إلى المسلمين في خمس مئة ألف برّاً ، وخمسة مئة ألف بحراً حتى ينزل بين عَكَّا وصُور ثم يقول : يا أهل السفن ! اخرجوا منها . ثم أمر بها فأُحرقتْ . قال : ثم يقول لهم : لا قُسْطَنْطينيَة لكم ولا لارُوميَة حتى يفصل بيننا [٦٧/آ] وبين المغرب . قال : فيستمدُّ أهلُ الإسلام بعضُهم بعضاً حتى تمدَّهم عَدَن أبْيَن على قُلْصانهم ، قال فيجتمعون فيقتتلون ؛ قال : فيكاتبهم النصارى الذين بالشام ويخبرونهم بعوراتِ المسلمين ، فيقول المسلمون : الحقوا ، فكُلُّكم لنا عدوٌّ حتى يقضيَ الله بيننا وبينكم . فيقتتلون شهراً لا يكلُّ لهم سلاح ولا لكم ، ويقذف الصبر عليكم وعليهم .

---

(١) أَفيق : قرية من حوران في طريق أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق ، والعامة تقول فيق . انظر معجم البلدان ٢٣٣/١ وموقعها اليوم في جنوب القنيطرة وإلى الشرق من بحيرة طبرية .

(٢) كذا الأصل والتاريخ ، وفوقها في الأصل خط ، وإلى جانب السطر في الهامش كلمة (قتل) وفوقها حرف (ط) . فلعل ابن منظور يشير بذلك إلى أنها الصواب .

(٣) أحد الرجلين هو عبد الرحمن بن أبي بكرة كما في سند ابن عساكر ، وأُثبتُ هنا طرفاً منه للإيضاح : « ... حدثني علي بن زيد بن جُدْعان عن رجلين أحدهما عبد الرحمن بن أبي بكرة عن عبد الله بن عمرو أنه سأل أحد الرجلين فقال ... » فلعل لفظ (سأل) مصحَّف وصوابه : « سألهُ أحدُ .. » فيستقيم الكلام .

قال : وبلغنا ـ والله أعلم ـ أنه إذا كان رأس الشهر قال ربكم : اليوم أسلُّ سيفي فأنتقم من أعدائي وأنصر أوليائي . قال : فيقتتلون مَقْتلةً ما رأى مثلها قط ، حتى ما تسير الخيل إلاّ على الخيل وما يسير الرجل إلاّ على الرجل وما يجدون خَلْقاً لله يحولُ بينهم وبين القسطنطينية ولا رومِيَة ، فيقول أميرهم يومئذ : لا غلولَ اليوم ، مَنْ أخذ شيئاً فهو له . فيأخذون ما خفَّ عليهم ويذبحون ما ثقل عليهم ؛ فبينما هم كذلك إذْ جاءهم أنَّ الدجّال قد خلفكم في ذراريكم ، قال : فيرفضون ما في أيديهم ويُقْبِلون ؛ قال : وتصيبُ الناسَ مجاعةٌ شديدة حتى إنَّ الرجل ليحرق وتَرَ قوسِه فيأكله ، وحتى إنَّ الرجل ليحرق حَجَفَتَه[1] فيأكلها ، حتى إن الرجل ليكلِّمُ أخاه فما يسمعه الصوت من الجَهْد ؛ قال : فبينما هم كذلك إذْ سمعوا صوتاً من السماء : أبشروا فقد أتاكم الغَوْث . فيقولون : نزل عيسى بن مريم . قال : فيستبشرون ويستبشر بهم ويقولون : صلِّ يا رُوحَ الله ! فيقول : إنَّ الله أكرم هذه الأمة ولا ينبغي لأحدٍ أنْ يَؤُمَّهُم إلاَّ منهم . قال : فيصلي أميرُ المؤمنين بالناس ، قال : فأمير الناس يومئذٍ معاويةُ بن أبي سفيان ؟ قال : لا ، فيصلي عيسى خلفه ، قال : فإذا انصرف عيسى دعا بحربته ، فأتى الدجالَ فقال : رويدك يا دجّال يا كذّاب ! قال : فإذا رأى عيسى عرف صوتَه ذاب كما يذوبُ الرّصاص إذا أصابته النار ، وكما تذوب الأُلْية إذا أصابتها الشمس . قال : ولولا أنه يقول رويداً لذاب حتى لا يبقى منه شيء ، قال : فيحمل عليه عيسى [٦٧/ب] فيطعن بحربته بين ثدييه فيقتله .

قال : وتفرَّق جندُه تحت الحجارةِ والشجر ، قال : وعامةُ جندِهِ اليهود والمنافقون ، فينادي الحَجرُ يا روحَ الله هذا تحتي كافر فاقتُلْه ؛ قال : فيأمر عيسى بالصليب فيكسر وبالخنزير فيُقتل ، وتضع الحرب أوزارها حتى إنَّ الذئب ليربض إلى جنبه ... ...[2] ما يغمز بها ، وحتى إنّ الصبيان ليلعبون بالحيّات ما تنهشهم ، ويملأ الأرض عدلاً ؛ فبينما هم كذلك إذْ سمعوا صوتاً ، قال : فُتحت يأجوجُ ومأجوج ، وهو كما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وهُمْ من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ﴾[3] فيفسدون الأرض كلَّها ، حتى إنَّ أوائلهم لتأتي النهر العجّاج

---

(١) الحَجَفة : ضرب من الترسة ، وقيل هي من الجلود خاصة . اللسان (حجف).

(٢) كذا بياض في الأصل بمقدار كلمتين ، وإلى جانب السطر حرف (ط) ولا وجود لهذا الفراغ في التاريخ (د) و (س) .

(٣) سورة الأنبياء ٩٦/٢١

فيشربونه كُلَّه ، وإنَّ آخرهم ليقول : قد كان هاهنا نهر ، ويحاصرون عيسى ومَنْ معه ببيت المقدس ويقول : ما نعلم في الأرض - يعني أحداً - إلاَّ قد أنجيناه[1] ، هلُمُّوا نرمي مَنْ في السماء ، فيرمون حتى ترجع إليهم سهامهم في نصولها الدم للبلاء ، فيقولون : ما بقي في الأرض ولا في السماء ، فيقول المؤمنون : يا رُوحَ الله ! ادْعُ عليهم بالفَنَاء ، فيدعو الله عليهم ، فيبعث النَّغَفَ[2] في آذانهم فيقتلهم في ليلةٍ واحدة ، فَتُنْتِنُ الأرضُ كُلُّها من جِيَفهم ، فيقولون : يارُوحَ الله ! نموتُ من النتن ! فيدعو الله ، فيبعث وابلاً من المطر فجعله سيلاً ، فيقذفهم كلَّهم في البحر ؛ قال : ثم يسمعون صوتاً فيقال : مه ! قيل : غزا البيت الحصين ، قال : فيبعثون جيشاً فيجدون أوائل ذلك الجيش .

ويُقبَضُ عيسى بن مريم ، ووليّهُ المسلمون وغسلوه وحنَّطوه وكفَّنوه وصلَّوا عليه وحفروا له ودفنوه ؛ فيرجع أوائل الجيش والمسلمون ينفضون أيديَهُمْ من تراب قبره ، فلا يلبثون بعد ذلك إلاَّ يسيرا حتى يبعث الله الرِّيح اليمانية ، قال : قلنا : وما الريح اليمانية ؟ قال : ريح من قِبَلِ اليمن ، ليس على الأرض مؤمنٌ يجد نسيمها إلاَّ قُبضت روحُه ، قال : ويُسرى على القرآن في ليلةٍ واحدة ، ولا يُترَكُ في صدور بني آدم ولا في بيوتهم منه شيءٌ إلاَّ رفعه الله ، قال : فيبقى الناس ليس فيهم نبيّ ، وليس فيهم قرآن [٦٨/آ] وليس فيهم مؤمن .

قال عبد الله بن عمرو : فعندهم أُخفي علينا قيام الساعة ، فلا يُدرى كم يُتركون ، كذلك تكون الصيحة . قال : ولم تكنْ صيحةٌ قطُّ إلاَّبغضبٍ من الله على أهل الأرض ، قال : فقال الله تعالى: ﴿ ما يَنْظُرون إلاَّ صَيْحَةً واحدةً مالها من فواق ﴾[3] قال : فلا أدري كم يُتركون كذلك .

وعن مُجَمِّع بن جارية قال :

ذُكر عند النبيِّ ﷺ الدجَّال فقال : يقتلُهُ عيسى بن مريم بباب لُدّ[4] .

زاد في رواية : أو إلى جانب لُدّ .

---

(١) إلى جانب السطر في الأصل حرف (ط) .

(٢) النغف : الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم . اللسان (نغف) .

(٣) سورة ص ١٥/٣٨

(٤) مضى تعريف (لُد) ص ١٤٦ ح ١

وعن عبد الله بن عباس أنّه قال :

لا تقومُ الساعةُ حتى ينزل عيسى بن مريم على ذِرْوَةِ أُفيق[1] ، بيده حَرْبَةٌ يقتلُ الدجّال .

وعن جابر بن عبد الله

في قوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ على الدِّين كُلِّه ﴾[2] قال : خروج عيسى بن مريم .

وعن ابن أبي نَجيح عن مجاهد

في قوله ﴿ لِيُظْهِرَهُ على الدين كُلِّه ولو كرِهَ المشركون ﴾[2] قال : إذا نزل عيسى بنُ مريم لم يكنْ في الأرض دينٌ إلاّ الإسلام ، فذلك قوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ على الدِّين كُلِّه ﴾ .

وعن مجاهد

في قوله : ﴿ حتى تضَعَ الحَرْبُ أوزارَها ﴾[3] يعني حتى ينزل عيسى بن مريم ، فيسلم كلُّ يهودي وكل نصراني ، وكل صاحب مِلّة ، وتأمَنُ الشاةُ الذئبَ ولا تقرِضُ فأرةٌ جراباً ، وتذهب العداوة من الأشياء كلّها وذلك ظهورُ الإسلام على الدين كُلّه .

وفي رواية : فيطمئن كلُّ شيء ولا يكون عداوة بين اثنين .

وعن ابن عباس

في قوله ﴿ وإنْ مِنْ أهل الكتابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بهِ قَبْلَ مَوْتِه ﴾[4] قال خروج عيسى بن مريم .

وفي رواية : قال : قبل موت عيسى .

وعن مجاهد قال :

ليس من أهل الكتاب أحَدٌ يموت حتى يشهد أنَّ عيسى رسولُ الله . قال : وإنْ وقع من فوق البيت ؟ قال : وإنْ وقع من فوق البيت .

---

(١) مضى تعريف (أفيق) ص ١٤٩ ح ١

(٢) سورة التوبة ٣٣/٩ وسورة الصف ٩/٦١

(٣) سورة محمد ٤/٤٧

(٤) سورة النساء ١٥٩/٤

وعن الحسن البصري في قوله : ﴿ وإنْ من أهْلِ الكتابِ إلاَّ ليؤمِنَنَّ بهِ قبلَ موتـه ﴾[1] قال : لا يموتُ أحدٌ منهم حتى يؤمن بعيسى بن مريم .

قال شَهْرُ بن حَوْشَب :

كنتُ مستخفياً من الحجَّاج بن يوسف ، فجعل لي الأمان ، فخرجتُ فمررت بـه ذات يوم وهو يقسم جُرُوزاً[2] لـه في أصحابـه ، فقـال لي : يـا شَهْر ! فلعلَّك تكرَهُ لبـاسَ هـذه الجُرُوز ؟ قلت : مـا أكرههـا أصلح الله الأمير ، فكسـاني منهـا شُقَّـة [٦٨/ب] فـارتـديت بها ،فلما قفيت أتاني نداء : يـا شهر ! فقلتُ في نفسي : هـا هـا[3] ، فـانصرفتُ إليـه فقـال : يا شَهْر ، إني أقرأُ القرآن فآتي منه على آي ، فلا تزال حرارةٌ في قلبي ألاَّ أكون علمتُها . قلت : وما هي ؟ قال : ﴿ وإنْ مِنْ أهْلِ الكتابِ إلاَّ ليؤمِنَنَّ بهِ قبلَ موته ﴾[4] قـال : قلت : ذاك في اليهود ، لا يقبضُ ملَكُ الموت رُوحَ أحـدِهم حتى يجيئـه ملـك ومعـه شعلـةٌ من نـار جهنَّم فيضرب وجهـه ودبُرَه فيقول لـه : أتُقِرُّ أنَّ عيسى عبـدُ الله ورسولُـه ؟ فلا يزالُ بـه حتى يُقِرَّ به ؛ فإذا أقرَّ به قبض ملَكُ الموت روحه ، ففيهم نزلت هذه الآية .

وروى الشافعيّ ، عن محمد بن خالد الجَنَدي ، عن أبان بن صالح ، عن الحسن عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :

لا يزدادُ الأمرُ إلاَّ شدَّةً ، ولا الدنيا إلاَّ إدْباراً ، ولا الناسُ إلا شُحًّا ؛ ولا تقومُ الساعة إلاَّ على شرار الناس ، ولا مهدي إلاَّ عيسى بن مريم .

قالوا : تفرَّد بهذا الحديث الشافعيّ ، ولا نعلمُ حدَّث بـه غيرُه ، ولا عنـه إلاَّ يونس بن عبد الأعلى ، وهو حديثٌ غريبُ الإسناد ، مشهور المَتْن إلاَّ قولَهَ : ولا مهـدي إلاَّ عيسى بن مريم . فما قاله أحَدٌ غيره ، والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصحُّ إسناداً ، وفيهـا بيان كونه من عِتْرةِ سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ .

---

(١) سورة النساء ١٥٩/٤

(٢) الجروز : جمع جِرْز ، وهـو الفرو الغليـظ . ويقـال هـو لبـاس النسـاء من الوبر وجلـود الشـاء . اللسـان (جرز) .

(٣) هاها : جواب النداء ، يُمد ويُقصر . اللسان (ها) .

(٤) سور النساء ١٥٩/٤

قال أبو الحسن عليٌّ بن عبد الله الواسطي :

رأيتُ محمد بن إدريس الشافعيَّ في المنام ، فسمعتُه يقول : كذب عليٌّ يونس في حديث الْجَنَدي ، حديث الحسن عن أنس عن النبيِّ ﷺ في المهدي . قال الشافعي : ما هذا من حديثي ولا حدَّثْتُ به ، كذب عليٌّ يونس .

وعن مجاهد قال :

المهدي عيسى بن مريم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

لَيُهِلَّنَّ ابنُ مريم بفَجِّ الرَّوْحاء[1] حاجًّا أو معتمراً أو لَيُثَنِّيَنَّهما .

وعن ابن عباس قال : قال رسولُ الله ﷺ :

كيف تهلِكُ أمّةٌ أنا أوَّلُها وعيسى بن مريم آخرها والمَهْدي من أهل بيتي في وسطها .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

[٦٩/آ] قلت : يا رسولَ الله ، إني أرى أن أعيشَ من بعدك ، أفتأذَنُ لي أن أُدفنَ إلى جنبك ؟ فقال : وأنَّى لكِ بذلك الموضع ! ما فيه إلاّ موضع قبري وقبر أبي بكر وقبر عمر ، وقبر عيسى بن مريم ﷺ .

وعن عبد الله بن سَلاَم قال :

وجدتُ في الكتب أن عيسى بن مريم يُدفَنُ مع النبيِّ ﷺ في القبر وقد بقي في البيت موضع قبر .

وعنه قال :

نظرت في التوراة صفة محمدٍ ﷺ ، وعيسى بن مريم عليه السلام يُدفن معه . قال أبو مودود : وقد بقي من البيت موضعُ قبر .

وعنه قال :

لَيُدفَنَنَّ عيسى بنُ مريم مع النبيِّ ﷺ في بيته .

قال البخاري : هذا لا يَصِحُّ عندي ولا يُتابَع عليه .

---

(١) مضى تعريف (فج الروحاء) ص ١٤٤ ح ٣

obeikandi.com

٤٣ ـ عيسى بن المساور البغدادي الجوهري

سمع بدمشق وحدَّث عن

نعيم بن سالم بن قَنْبَر خادم عليّ بن أبي طالب قال : قال لي أنس بن مالك : قال لي رسولُ الله ﷺ :

من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسَّ وجهَهُ النارُ .

قال : وحدّثنا نعيم بن سالم عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :

طوبى لمن رآني وآمَنَ بي ، ومَنْ رأى مَنْ رآني ، ومَنْ رأى مَنْ رأى من رآني .

تُوفِّي عيسى بن مساور سنة أربعٍ وأربعين ومئتين ، وقيل : خمسٍ وأربعين

٤٤ ـ عيسى بن مَعْبَد بن الفضل

أبو منصور المَوْصلي التاجر

قدم دمشق قدمتين للتجارة .

حدث عن أبي عبد الله الحسن بن العباس الرُّسْتُمي بسنده إلى أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

أكثروا ذِكْرَ هاذِمِ اللذّات . قالوا : يا رسول الله ! وما هاذم اللذّات ؟ قال : الموت .

تُوفِّي بالمَوْصل سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مئة .

٤٥ ـ عيسى بن موسى بن محمد

ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

أبو موسى الهاشمي

جعله السفَّاحُ [٦٩/ب] وليَّ عهدِه بعد المنصور ، فلمَّا ولي المنصور أخَّرَهُ وجعله وليَّ عهده بعد ابنه المهدي . وكان جليلاً في أهل بيته . ولد سنة ثلاثٍ ومئة ـ وقيل سنة أربع ـ وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاثٍ وأربعين سنة ، وكان قَتْلُهما على يديه ؛ ولما قُتلا شرع المنصور في تأخير عيسى وتقديم ابنه المهدي عليه في ولاية العهد في سنة سبعٍ وأربعين ومئة .

وجرى بين المنصور وبين عيسى بن موسى في ذلك خطوب ومكاتبات وامتناعٌ من عيسى ، ثم أجابه إلى ذلك ، فقدَّمَ المَهْديَّ في ولاية العهد عليه ، وأقرَّ عيسى بذلك وأشهد على نفسه به ، فبايع الناس على ذلك ، وخطب المنصور الناس وأعلمهم ما جرى في أمر عيسى من تقديم المهدي عليه ورضاه بذلك ، وتكلَّم عيسى وسلَّم الأمر للمهدي فبايع الناس على ذلك بيعة مجدّدة للمهدي ، ثم لعيسى من بعده . وقال المنصور يومئذ : ﴿ ولا تَنْقُضُوا الأيْمانَ بَعْدَ تَوْكيدِها وقد جعَلْتُمُ اللهَ عليكم كَفيلا ﴾[1] فلما أفضى الأمْرُ إلى المهدي طَلَب عيسى بن موسى بخَلْعِ نفسِه من ولاية العهد البتة ، وتسليمه لموسى بن المهدي ، وألحَّ عليه في ذلك إلحاحاً شديداً ، وبذل له مالاً عظيماً وخطراً جسيماً ، وجرت في ذلك خطوب إلى أنْ أحضره من الكوفة إلى بغداد ، وتقرَّر الأمر على أنْ يخلعَ نفسَه ويسلم الأمر لموسى بن المهدي ويدفع إليه عشرة آلاف ألف درهم ، ويقال عشرين ألف ألف درهم ، ويُقطِعُه مع ذلك قطائع كثيرة وقد كان عيسى ذكر أنَّ عليه أيماناً في أهله وماله ، فأحضر له المهديُّ من القضاة والفقهاء من أفتاه في ذلك وعوَّضه المهديُّ من ذلك وأرضاه فيما يلزمه من الحِنْث في ماله ورقيقه وسائر أملاكه ، فقبلَ ذلك ورضي به وخلع نفسه في عشيَّة الأربعاء لأربعٍ بقين من المحرَّم سنة ستين ومئة في قصر الرُّصافة ، وبايع للمهدي ولموسى بن المهدي ، وحضر الخواصّ ، فبايعوا في القصر للمهدي .

ثم خرج المهديُّ [٧٠/آ] إلى جامع الرُّصافة ، واجتمع الناس في المسجد فصعد المهديُّ المنبر وصعِد بعده موسى ابنه ، فكان دونه ، ثم صعد عيسى بن موسى فكان على أوَّلِ مِرْقاةٍ من المنبر ، فقام المهديُّ فحمد الله وأثنى عليه وأخبر بما اجتمع عليه أهلُ بيته وشيعته في ذلك ، وأنَّ موسى عامِلٌ فيهم بكتابِ الله وأحسنِ السيرة وأعفاها ... في كلامٍ تكلَّم به ، وجلس موسى دونه في جانب المنبر لكي لا يسترَ وجهه ولا يحولَ بينه وبين مَنْ يصعد إليه ليبايعَه ويمسحَ على يده ، وقام عيسى مكانه على أوَّل مرقاة ، فقُرئ كتاب الخَلْع ، وخروج عيسى مما كان إليه من ولاية العهد ، وتحليل الناسِ جميعاً مما كان له من البيعة في رقابهم ، وأنَّ ذلك كان منه وهو طائع غير مُكْرَهٌ ، فأقرَّ عيسى بذلك كلِّه ، وأشهد به على نفسه وصعِد إلى المهديِّ فبايعه ومسح على يده ثم بايع موسى ومسح على يده ثم انصرف ؛ ووفَّى المهديُّ

---

(١) سورة النحل ٩١/١٦

لعيسى بن موسى بما ضَمِن له من الأموال والقطائع وأرضاه ، وكتب بذلك كتاباً ، وشهد فيه خَلْقٌ من الأشراف والوجوه والكُبَراء وغيرهم ، عدتُهم أربع مئة وخمسة وعشرون رجلاً . ورجع عيسى بعد ذلك إلى الكوفة ، فلم يزلْ مقيماً بها في غير ولاية حتى تُوفي بها سنة سبعٍ وستين ومئة وهو ابن خمسٍ وستين سنة وكانت مدَّة عيسى في ولاية العهد من أوَّلِه إلى آخره ثلاثاً وعشرين سنةً . وقيل إن عيسى كان لُقِّب في ولاية العهد بالمرتضى .

لَمَّا همَّ أبو جعفر المنصور بالبيعة للمهدي دخل عليه الحسن بن قحطبة فقال : يا أمير المؤمنين ! ماتنتظر بالفتى المقتبل المبارك ؟ جدِّدْ له البيعة فما أحَدٌ يمتنع ممَّنْ وراء هذا الباب ، ومن أبى فهذا سيفي . وبلغ الخبر عيسى بن موسى فقال : والله لئن ظفرت به لاشربن البارد . وبلغ الحسن بن قحطبة الخبر والمنصور ، فدخل الحسن بن قحطبة على المنصور وعنده عيسى بن موسى فتمثل المنصور قول جرير : [من الكامل]

زعم الفرزدقُ أنْ سيقتُل مِرْبعاً أبشرْ بطولِ سلامةٍ ما مِرْبَعُ[1]

[٧٠/ب] فتمثل الحسن بن قحطبة بقول جرير : [من الوافر]

إذا اجتمعوا عليَّ فَخَلَّ عنهم وعن بازٍ يَصُكُّ حُبَا رَيَاتِ[2]

ومِرْبَع : رجلٌ من بني جعفر بن كلاب ، كان يروي شعر جرير فنذر الفرزدق دمه ، فقال جرير هذا الشعر فيه .

قدم هارون الكوفة فعزل شريكاً عن القضاء . وكان موسى بن عيسى والياً على الكوفة ، فقال موسى لشريك : ما صنع أميرُ المؤمنين بأحدٍ ما صنع بك ، عزلك عن القضاء ، فقال له شريك : هم أمراءُ المؤمنين يعزلون القضاة ، ويخلعون ولاة العهد ولايَعاب ذلك عليهم . قال موسى : ما ظننتُ أنه مجنون هكذا لا يبالي ما تكلَّم به . وكان أبوه عيسى بن موسى وليُّ العهد بعد أبي جعفر فخلعه بمالٍ أعطاه إيَّاه .

---

(١) البيت في ديوان جرير ٩١٦/٢ وفيه : « مَرْبَع » بفتح الميم وهو خطأ ، صوابه في الإكال ٢٣٤/٧ والقاموس وشرحه (ربع) .

(٢) البيت في ديوان جرير ٨٢٧/٢ .

قال أبو بكر بن عيّاش :

رأيتُ الخطّابية[1] مروا بنا بالكُنَاسة في أُزُرٍ وأُرْدية ، مُحْرِمين بالحجِّ وهم يقولون : لبَّيكَ جعفرُ ، فخرج إليهم عيسى فانهزموا إلى موضع دار رزق فقتلهم ، فقيل : يا أبا الخطاب ! ألا ترى السلاح قد عمل فينا ! قال : بدا للهِ أن يستشهدكم ، وقد كان أبو الخطاب قال لهم : إنَّ السلاح لا يعمل فيكم .

جاءت امرأةٌ يوماً إلى شَرِيك من ولد جرير بن عبد الله البَجَليّ ، صاحبِ سيدنا رسولِ الله ﷺ وهو في مجلس الحكم فقالت : أنا بالله ثم بالقاضي ، امرأةٌ من ولد جرير بن عبد الله ، فزادت في الكلام فقال : إيْهاً[2] عنك الآن ، مَنْ ظلمك ؟ قالت : الأمير عيسى بن موسى ، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخلٌ ورثتُه عن آبائي ، وقاسمتُ إخوتي وبنيتُ بيني وبينه حائطاً وجعلت فيه رجلاً فارسياً في بيت يحفظُ لي النخل ويقوم بشأني[3] ، فاشترى الأمير عيسى بن موسى من إخوتي جميعاً وساومني وأرغبني فلم أبعْهُ ، فلمَّا كان في هذه الليلة بعث بخمس مئة فاعل فاقتلعوا الحائط ، فأصبحتُ لا أعرف من نخلي شيئاً ، واختلط بنخل إخوتي . ثم قال : يا غلام ، طينة [٧١/آ] فختم لها خاتماً ثم قال امضي به إلى بابه حتى يحضُرَ معكِ . فجاءتِ المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على عيسى فقال له : أعْدَى شريك عليك . قال : ادعُ لي صاحبَ الشرطة ، فدعا به فقال : امضِ إلى شريك فقل له : يا سبحان الله ! ما رأيتُ أعجب من أمرك ! امرأةٌ ادَّعَتْ دعوى لم تصحَّ أعديتَها عليَّ ! فقال : إنْ رأى الأمير أنْ يُعفيَني فليفعلْ ، فقال : امضِ ويلك ! فخرج فأمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغير ذلك من آلة الحبس ، فلمَّا جاء وقف بين يدي شريك فأدَّى الرسالة ، فقال لحاجبه : خُذْ بيده فضَعْهُ في الحبس ، قال : قد عرفتُ أنَّك تفعل بي هذا فقدَّمتُ ما يُصلحني إلى الحبس .

وبلغ عيسى بن موسى ذلك فوجَّه بحاجبه إليه فقال : هذا من ذاك رسول ، أيُّ شيءٍ عليه ؟ فلمَّا أدَّى الرسالة ألحقَهُ بصاحبه فحُبس ؛ فلمَّا صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن

---

(١) الخطّابية : من غلاة الشيعة ، أصحاب أبي الخطّاب محمد بن أبي زينب الأسدي ، كان يقول بالاهيّة جعفر الصادق ، ثم ادّعى الإلهية لنفسه . انظر اللباب ٤٥٢/١ والملل والنحل ١٧٩/١ .

(٢) إيْهاً : كلمة زجر بمعنى اسكتْ . اللسان (أيه) .

(٣) في الجليس الصالح الكافي ٤٠/٢ : « ببستاني » .

الصباح الأشعثي ، وإلى جماعةٍ من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك فقال : امضوا إليه فأبلغوه السلام وأعلموهُ أنه قد استخفَّ بي وأني لستُ كالعامَّة . فمضَوْا وهو جالس في مسجده بعد العصر ، فدخلوا إليه فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم قال لهم : مالي لاأراكم جئتم في غيرهِ من الناس ؛ من هاهنا من فتيان الحيّ !؟ فابتدروهُ ، فقال : ليأخُذْ كلُّ واحدٍ منكم بيد رجل من هؤلاء فيذهبَ به إلى الحبس لا ينامُ واللهِ إلاَّ فيه . قالوا : أجادٌّ أنت ؟! قال : حقاً ، حتى لاتعودوا تحملون رسالة ظالم . فحبسهم ، فركب عيسى بن موسى في الليل إلى باب الحبس ، ففتح الباب وأخذهم جميعاً ، فلمَّا كان الغد جلس شَريك للقضاء فجاء السجَّان فأخبره ، فدعا بالقِمَطْر فختمها ووجَّهَ بها[1] إلى منزله وقال لغلامه : الحَقْني بثَقَلي إلى بغداد ، والله ماطلَبْنا هذا الأمر منهم ولكنْ أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه إذا تقلَّدْنا لهم .

ومضى نحو قنطرة الكوفة يريدُ بغداد ، وبلغ عيسى بن موسى الخبر ، فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشدُهُ الله ويقول : يا أبا عبد الله ! تثبَّتْ [٧١/ب] انظرْ ، إخوانك[2] تحبسهم ! دع أعواني ، قال : نعم لأنهم مشَوْا لك في أمرٍ لم يجب عليهم فيه ، ولستُ ببارحٍ أو يُرَدُّوا جميعاً إلى الحبس وإلاَّ مضيتُ من فوري إلى أمير المؤمنين ، فاستعفيتُه مما قلَّدني . فأمر بردِّهم جميعاً إلى الحبس وهو واقفٌ مكانه حتى جاءه السجَّان فقال : قد رجعوا إلى الحبس ، فقال لأعوانه : خذوا بلجامه فردُّوه بين يديَّ إلى مجلس الحُكْم . فمرُّوا به بين يديه حتى أُدخل المسجد ، وجلس مجلس القضاء ثم قال : الجريريَّة[3] المتظلِّمة من هذا . فجاءت فقال : هذا خصمُكِ قد حضر ، فلمَّا جلس معها بين يديه قال : يُخرجُ أولئك من الحبس قبل كلِّ شيء . ثم قال : ماتقول فيما تدَّعيه هذه ؟ قال : صدقَتْ . قال : تردُّ جميعَ ماأُخذ منها إليها وتبني حائطها في أسرع وقت كما هُدم . قال : أفعل . قال : بقيَ لكِ

---

(١) القِمَطْر : ما يُصانُ فيه الكتب (التاج ـ قطر) . والضمير في « فختمها ... بها » عائد على الرسالة الملحوظ معناها في القمطر .

(٢) في الأصل : « إخوانهم » وإلى جانب السطر (ط) إشارة لاضطراب النص ، وكذا في التاريخ (س) وما أثبته من الجليس الصالح الكافي ٤٢/٢ وأخبار القضاة ١٧١/٣ ولفظه « تثبَّت ، وانظر إخوانك تحبسهم ! » .

(٣) في الأصل : « الجويرية » وكذا في التاريخ (س) ، وهو تصحيف ، والمثبت من « الجليس » وهي منسوبة إلى جرير بن عبد الله كما تقدم في مطلع الخبر .

شيء ؟ قال : تقول المرأة : نعم وبيتَ الفارسيِّ ومتاعَه . قال : وبيت الفارسيِّ ومتاعه . فقال شَريك : أبقي لكِ شيءٌ تدَّعينه ؟ قالت : لا ، وجزاك الله خيراً . قال : قومي ، وزَبَرها ، ثم وثب من مجلسه ، فأخذ بيد عيسى بن موسى فأجلسه في مجلسه ثم قال : السلام عليك أيُّها الأمير ، تأمرُ بشيء ؟ قال : بأيِّ شيءٍ آمُر ! وضحك .

قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى وابن شُبْرُمَة : أسألكما عن الرجل فتخبراني عنه بخير ، فإذا بلَوْناه واستعملناه لم نجدْهُ كذلك ! قالا : لو سألتَ عنه أيها الأمير في ذلك الوقت غيرنا لأخبرك بمثل ماأخبرناك ، ولكنها الدنيا تعرِض لهم فيتغيَّرون . قال : صدقتما .

ولد لعيسى بن موسى ابنة ، واغتمَّ عليها وامتنع من الطعام ، فبلغ ذلك بهلولاً ، فجاء إلى الحُجَّاب فسألهم الإذْنَ عليه فأبَوْا ، فقال بعضُهم لبعض : دعوه لعلَّه أنْ يُكلِّم الأمير بكلامٍ يُسَلِّيه ، قال : فأذنوا له فدخل ، فلما رآهُ الأمير عيسى بن موسى أطرق ، قال : فقال له : بلغني أنك وُلد لك ابنة فاغتممت ، أيُّما خيرٌ لك ابنةٌ عاقلة أو ابنٌ مجنونٌ مثلي ؟ قال : ابنةٌ عاقلة ؛ قال : فسلا ودعا بالطعام ووهَبَ له .

تُوفي عيسى بن موسى سنة سبعٍ وستين ومئة بالكوفة [٧٢/آ] وأشهد الناسَ على وفاته رَوْحُ بن حاتم ـ وهو واليها ـ القاضيَ وجماعةً ، وصلَّى عليه[1] وهو ابنُ خمسٍ وستين سنة . وقيل : مات سنة ثمان وستين .

٤٦ ـ عيسى بن موسى

أبو محمد ، ويقال أبو موسى

أخو سليمان بن موسى القرشي

من أهل دمشق .

حدث عن إسماعيل بن عبيد الله

أن قيس بن الحارث المذحجي دخل هو والصُّنَابحي على عُبَادةَ بن الصامت في مرضه

---

(١) ذُكر في تاريخ الطبري ١٦٤/٨ أنَّ الذي صلى عليه ابنه العباس بعد أن أبى روح الصلاة عليه إجلالاً له .

الذي قُبض فيه فقال عبادةُ حين نظر إلى الصُّنَابحيّ : مَنْ سرَّهُ أنْ ينظرَ إلى رجل كأنما صعد إلى السماء فهو يعمل بما رأى فلينظُرْ إلى هذا . ثم قال : مَرْحباً بأبي عبد الله ! والله لئن شُفِّعتُ لأشفعنَّ لك ، ولئن اسْتُشهِدتُ لأشهدنَّ لك ، ولئن قدرتُ لأنفعنَّك . ثم قال : أقعدوني ، فأُقعِد ، ثم قال : أما إني سأحدثكم حديثاً عن رسول الله ﷺ ، ولو علمتُ أنْ أقومَ من مضجعي هذا لَمْ أحدِّثْكموه ـ مع أنه قد كان يعمل[1] ـ إني أحدثكم بحديث ، فَلْيُحدِّثِ الحاضرُ منكم الغائب : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ مات لا يشرك بي شيئاً فقد حرَّم اللهُ عليه النار .

٤٧ ـ عيسى بن موسى القرشي

دمشقيّ ، غير المذكور آنفاً .

حدّث عن عطاء الخراساني ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمال ، ويُحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده . الكِبْرُ مَنْ سفِهَ الحقَّ وغَمَصَ الناس .

٤٨ ـ عيسى بن يزيد

أبو عبد الرحمن الأَنْطَرْطُوسي ، الأَعْرَج

من أهل أَنْطَرْطوس[2] ، من مدينة من نواحي أطرابُلُس من ساحل دمشق .

حدث عن الأوزاعيّ ، عن حسان بن عطية ، عن سلمان الفارسيّ ، عن النبيّ ﷺ قال :

الصلاة كَيْلٌ ووزْن ، فَمَنْ أوفى وفَّى له ، ومَنْ نقص فقد علمتم ما أُنزِل في المطفِّفين .

---

(١) إلى جانب السطر في الأصل حرف (ط) .

(٢) في الأصل : « أنطرسوس » وما أثبتُّه من التاريخ (س) ٥٨/١٤ أ ومعجم البلدان ٢٧٠/١ .

obeikandl.com

[٧٢/ب] ٤٩ ـ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله

أبو عمرو ، ويقال أبو محمد السَّبِيعي

من الكوفة . سكن الشام وقدم دمشق .

حدّث عن الأعمش ، عن يزيد بن وهب ، عن جرير بن عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ :

مَنْ لا يرحمِ الناسَ لا يرحَمْهُ الله .

وحدث عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت :

كان رسولُ الله ﷺ يقبَلُ الهديّة ويُثيبُ عليها .

وفي حديث آخر : ولا يأكلُ الصدقة .

وحدّث عن الأوزاعيِّ بسنده إلى أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :

لا تُنْكَحُ البِكْرُ حتى تُستأذَن ، وإذْنُها الصُّموت ؛ والثيِّب تصيبُ من أمرها ما لم تدعْ إلى سَخْطة ، فإن دعَتْ إلى سَخْطة وكان أولياؤها يدعون إلى الرضا رُفع ذلك إلى السلطان .

وحدث عن أخيه عن الأعمش عن ابن وائل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسولُ الله ﷺ :

عودوا المريض ، وأجيبوا الداعي ، ولا تردُّوا الهديّة ، ولا تصرِمُوا المسلمين .

وحدث عن هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

جلس إحدى عشرة امرأةً تعاهدْنَ وتعاقَدْنَ أن لا يكتُمْنَ من أخبارِ أزواجهنَّ شيئاً ، فقالت الأولى : زوجي لَحْمُ جملٍ غَثٌّ على رأس جبل ، لا سهلٌ فيُرْتَقى ولا سمينٌ فيُنْتَقى[1] .

قالت الثانية : زوجي لا أَبُثُّ خبرَه[2] ، إني أخافُ أنْ لا أذرَه ، إنْ أذكرْهُ اذكُرْ عُجَرَهُ وبُجَرَه .

---

(١) ينتقى : أي يستخرج نِقْيُه ، والنِّقْي هو المخ . وفي رواية مسلم : « ولا سمين فَيُنْتَقَل » أي تنقله الناس إلى بيوتهم ليأكلوه ، بل يتركوه رغبةً عنه لرداءته . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٢/١٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٢) أي لا أنشره لقبح آثاره .

قالت الثالثة : [زوجي العَشَنَّق ، إنْ أَنْطِقْ أُطَلَّق ، وإنْ أسكت أُعَلَّق .

قالتِ الرابعة][1] : زوجي كَلَيْل تِهامَة ، لا حَرٌّ ولا قَرّ ، ولا مخافة ولا سَآمة .

قالت الخامسة : [زوجي][2] إنْ دخل فَهِدَ ، وإنْ خرج أَسِدَ ، ولا يَسْأَلُ عمَّا عهد[3] .

قالت السادسة : زوجي إنْ أكل لَفَّ[4] ، وإنْ شرب اشتفَّ ، وإن اضْطجعَ الْتَفَّ[5] ، ولا يُولج الكَفَّ ، ليعلمَ البَثَّ[6] .

قالت السابعة : زوجي عَيَايَاءُ - أو غَيَايَاءُ - طَبَاقاء ، كلُّ داءٍ له داء[7] ، شَجَّكِ أو فلَّكِ أو جمع كُلاًّ لكِ[8] .

قالت الثامنة : زوجي الريحُ ريح زَرْنَب[9] ، والمَسُّ مَسُّ أَرْنب .

[٧٣/آ] قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد ، طويل النِّجَاد[10] ، عظيمُ الرَّمَاد ، قريبُ البيت من النَّاد .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من الأصل والتاريخ (س) ، واستدركته من صحيح مسلم ٢١٣/١٥ وفيه : « العَشَنَّق : الطويل ومعناه : ليس فيه أكثر من طول بلا نفع ، فإن ذكرت عيوبه طلقني ، وإن سكتُّ عنها علّقني فتركني لا عزباء ولا متزوِّجة » .

(٢) ما بين معقوفين من صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٤/١٥ .

(٣) فَهِد الرجل : نام وأشبه الفهد في كثرة نومه . تصفه بالّلين والسكون إذا كان معها في البيت ، وبالأسد إذا رأى عدوّه . اللسان (فهد) .

(٤) لف : أي جمع وخلط من كل شيء . اللسان (لفف) .

(٥) اشتف : تقصَّى شربه . والتف : أي تلفَّف في ثوب ونام ناحيةً عني . اللسان .

(٦) قال المختصر في اللسان : البث في الأصل : شدّة الحُزْن ؛ والمعنى أنه كان بجسدها عيب أو داء ، فكان لا يدخل يده في ثوبها فيمسّه ، لعلمه أن ذلك يؤذيها . تصفه باللطف ، وقيل : إن ذلك ذمٌّ له ، أي لا يتفقّد أمورها ومصالحها . اللسان (بثث) .

(٧) العياياء : العِنِّين الذي تعييه مباضعة النساء . وبالغين (غياياء) أي كأنه في غياية أبداً وظلمة لا يهتدي إلى مسلكٍ ينفذ فيه . والطباقاء : الأحمق الفَدْم . اللسان (عيا ، غيا ، طبق) .

(٨) الفل : الكسر والضرب ، تقول : إنها معه بين شجٍّ رأس أوكسرِ عضو أو جمعٍ بينهما . اللسان (فلل) .

(٩) الزرنب : نبات طيب الرائحة ؛ وقيل هو الزعفران . اللسان (زرنب) .

(١٠) النجاد : حمائل السيف ، تريد طول قامته ، فإذا طالت طال نجاده . وهو من أحسن الكنايات . اللسان (نجد) .

قالت العاشرة : زوجي مالِك ، فما مالك ، مالكٌ خير من ذلك ، له إبلٌ كثيراتُ المَبارك ، قليلاتُ المسارح[1] إذا سمعْنَ صوتَ المِزْهَر أيقنَّ أنهنَّ هوالك .

قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زَرْع ، فما أبو زرْع ، أناسَ من حُلِيٍّ أُذُنَيَّ[2] ، وملأ من شحمٍ عَضُدَيَّ ، و بَجَّحَني فَبجِحَتْ إليَّ نفسي[3] ، وجَدَني في أهلِ غُنَيْمةٍ بِشِق[4] ، فجعلني في أهل صَهِيل وأَطِيط[5] ، ودائسٍ ومُنَقٍّ[6] ، فعنده أقول فلا أُقبَّح ، وأرْقُدُ فأتَصبَّح[7] ، وأشرب فأتَقَمَّح[8] . أمُّ أبي زَرْع ، فما أمُّ أبي زرع ؟ عُكُومُها رَدَاح ، وبيتها فَيَاح[9] ؛ ابن أبي زرع ، فما ابن أبي زرع ؟ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ[10] ، يُشبعُهُ ذراع الجَفْرَة[11] ؛ بنتُ أبي زَرْع ، فما بنتُ أبي زرع ؟ طَوْعُ أبيها وطَوْعُ أمِّها ، ومِلْءُ كِسَائِها[12] وغَيْظُ جارتِها ؛ جارية أبي زرع ، فما جارية أبي زرع ؟ لا تَبُثُّ حديثَنا تَبْثِيثا[13] ، ولا تُنَقِّثُ مِيرَتَنا

---

(١) تصفه هنا بكثرة الإطعام وسقي الألبان ، أي إن إبله على كثرتها لا تغيب عن الحي ، ولا تسرح في المراعي البعيدة ، ولكنها باركة بفنائها ليقرّب للضيفان من لبنها ولحمها . اللسان (سرح) .

(٢) أرادت أنه حلّى أذنيها قِرَطةً وشنوفاً تنوس بأذنيها . اللسان (نوس) .

(٣) أي فرّحني ففرحت ، وقيل : عظّمني فعظمتْ نفسي عندي . اللسان (بجح) .

(٤) الشق : بفتح الشين وكسرها اسم موضع بعينه ، وبالكسر : من المشقة . اللسان (شقق) .

(٥) أي في أهل خيل وإبل . اللسان (أطط) .

(٦) الدائس : الذي يدوس الطعام ويدقه ليخرج الحب منه . والمنقي : الذي ينقي الطعام ، أي يخرجه من قشره وتبنه . اللسان (دوس ، نقا) .

(٧) أرادت أنها مكفية فهي تنام الصُّبْحة ، والصُّبحة : ما تعلّلت به غدوة . اللسان (صبح) .

(٨) أتقمح : أي أروى حتى أدع الشرب ؛ أرادت أنها تشرب حتى تروى وترفع رأسها . ويُروى « أتقنّح » بالنون انظر اللسان (قمح ، قنح) .

(٩) العكوم : الأحمال المعدّلة ، والرداح : الثقيلة ، الكثيرة الحشو من الأثاث والأمتعة . وفياح : واسع ، ويُروى بتشديد الياء (فيّاح) ، ويروى (فُسَاح) . اللسان (عكم ، روح ، فيح) .

(١٠) المَسَلّ : مصدر بمعنى السَّلّ ، أُقيم مقام المفعول كسلول . والشطبة : ما شطب من جريد النخل وهو سعَفُه ؛ شبّهته بسلول الشطبة لنعمته واعتدال شبابه ، أي أن موضع نومه دقيق لنحافته . وقيل : أرادت أنه قليل اللحم دقيق الخصر . وقيل أيضاً : أرادت أنه كالسيف سَلٌّ من غمده . اللسان (شطب) .

(١١) الجفرة : مؤنث الجفر ، وهو من أولاد الشاء والمعزى إذا عظم واستكرش . تمدحه بقلة الأكل . اللسان (جفر) .

(١٢) أرادت بأنها سمينة ، فإذا تغطت بكسائها ملأته . اللسان (ملأ) .

(١٣) ويروى (تَنُثُّ) بالنون ، وهو بمعناه . اللسان .

تَنْقيثا[1] ، ولا تَملأُ بيتَنا تَعْشيشا[2] . قالت : خرج أبو زَرْعٍ والأَوْطابُ تُمْخَض[3] ، فلقي امرأةً معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برُمَّانتَيْن ، فطلَّقني ونكحها ، فنكحتُ بعدَهُ رجلاً سَرِيّاً ، رَكِبَ شَرِيّاً ، وأخذ خَطِّيًّا ، وأراح عليَّ نَعَماً ثَرِيًّا[4] ، وأعطاني من كل رائحةٍ زوجاً وقال : كُلي أُمَّ زرع وميري أهلَك فلو جمعتُ كُلَّ شيءٍ أعطانيه ما بلغ أصغرَ آنيةِ أبي زَرْع .

قالت عائشة : قال لي رسولُ الله ﷺ : كنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأُمِّ زرع[5] .

توفي عيسى بن يونس بالحَدَث[6] سنة إحدى وتسعين ومئة .

وقيل سنة إحدى وثمانين . وقيل تُوفي سنة ثمانٍ وثمانين ومئة وكان ثقة .

كان عيسى بن يونس سنةً في الغَزْو وسنةً في الحجّ ، وكان قدم إلى بغداد في شيءٍ من أمْرِ الحصون ، فأمر له بمال ، فأبى أن يقبل .

حدث محمد بن المنذر الكندي ـ وكان جاراً لعبد الله بن إدريس ـ قال :

حجَّ الرشيد ومعه الأمين والمأمون ، فدخل الكوفة ، فقال لأبي يوسف : قُلْ للمحدّثين يأتونا [٧٣/ب] يحدّثونا . فلم يتخلَّفْ عنه من شيوخ الكوفة إلاّ اثنان : عبد الله بن

---

(١) النقث : النقل ، أرادت أنها أمينة على حفظ طعامنا ، لا تنقله وتخرجه وتفرقه . اللسان (نقث) .

(٢) أي لا تخونا في طعامنا فتخبأ منه في كل زاوية كأعشاش الطيور ، وقيل : أرادت لا تملأ بيتنا بالمزابل كأنه عش طائر . ويُروى بالفين المعجمة ، من الغش وهو النميمة . اللسان (عشش ، غشش) .

(٣) أي ليخرج زبدها . والأوطاب : جمع وطب ، وهو الزِّق الذي يكون فيه اللبن . اللسان (وطب) .

(٤) الثري : أي فرساً يستثري في سيره ، أي يلجُّ ويمضي ويجدّ فيه بلا فتور ولا انكسار . والثري : الكثير . اللسان (شري ، ثرا) .

(٥) الحديث بطوله في صحيح البخاري ١٤٦/٥ ، ١٤٧ كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل . وصحيح مسلم بشرح النووي ٢١٢/١٥ كتاب فضائل الصحابة حديث أم زرع . وشرحه ابن الأثير شرحاً وافياً في منال الطالب ص ٥٣٥ ـ ٥٦٠ . وانظر مزيداً من التخريج في المزهر للسيوطي ٥٣٢/٢ .

(٦) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش ، من الثغور ، ويقال لها الحمراء ، للون تربتها . انظر معجم البلدان ٢٢٧/٢ ، ٢٢٨ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٤ وموقعها إلى الشرق الشمالي من مرعش وإلى غرب سميساط . انظر الخريطة مقابل ص ١٥٩ من بلدان الخلافة الشرقية .

إدريس وعيسى بن يونس ، فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدثها بمئة حديث ، فقال المأمون لعبد الله : يا عمّ ! أتأذَنُ لي أن أعيدَها عليك من حفظي ؟ قال : افعلْ ، فأعادها كما سمعها ، وكان أبو إدريس من أهل الحفظ يقول : لولا أني أخشى أن ينفلت مني القرآن ما دوَّنْتُ العلم ، فعجب عبد الله بن إدريس من حفظ المأمون ! وقال المأمون : يا عمّ ، إلى جانب مسجدِكَ دار ، إنْ أذِنتَ لنا اشتريناها ووسَّعنا بها المسجد ؟ فقال : ما بي إلى هذا حاجة ، قد أجزأ مَنْ كان قبلي ، وهو يجزيني . فنظر إلى قَرْحٍ في ذراعِ الشيخ فقال : إن معنا متطببين وأدوية ، أفتأذن أنْ يجيئَكَ مَنْ يعالجك ؟ قال : لا ، قد ظهر بي مثلُ هذا وبرأ . فأمر له بمالٍ جائزة ، فأبى أن يقبله . وصار إلى عيسى بن يونس ، فحدثها ، فأمر له المأمون بعشرة آلافِ درهم ، فأبى أن يقبلها ، فظنَّ أنه استقلَّها ، فأمر له بعشرين ألفاً فقال عيسى : لا و لا إهْليلجة ، ولا شربةَ ماءٍ على حديثِ سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ ، ولو ملأتَ لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف ! فانصرفنا من عنده .

قال جعفر بن يحيى بن خالد :

ما رأينا في القُرَّاء مثل عيسى بن يونس ! أرسلنا إليه فأتانا بالرقَّة ، فاعتلَّ قبل أنْ يرجع ، فقلت له : يا أبا عمرو ! قد أُمِرَ لك بعشرةِآلاف ، فقال : هيه فقلت : هي خمسون ألفاً ، قال : لا حاجة لي فيها . فقلت : ولِمَ ؟ أما و الله لأُهْنِئَنَّكَها[1] ، هي والله مئة ألف . قال : لا والله ، لا يتحدَّثُ أهلُ العلم أني أكلتُ للسُّنَّة ثمناً ، ألاَ كان هذا قبل أن ترسلوا إليّ ! فأمَّا على الحديث فلا ولا شربة ماء ولا إهْليلجة[2] .

قيل : إنَّ عيسى بن يونس غزا خمساً وأربعين غزوة ، وحجَّ خمساً وأربعين حجَّة ، وتوفي سنةَ سبعٍ وثمانين . وكان ثقةً ، ثبتاً .

---

(١) أي لأعطينَّكها ، وفي تاريخ بغداد ١٥٤/١١ : « لأهنيتكها » .

(٢) في الأصل : « هليلجة » وما أثبتُّه من اللسان ، وهو عِقّير من الأدوية معروف ، وهو معرَّب .

٥٠ ـ عَيْلان بن زُفَر بن جَبْر بن مروان

[٧٤/آ] ابن سيف بن يزيد بن شُريح بن شَقِيق

أبو الهَيْذام المازنيُّ الفقيه ، الشافعي ، أخو محمد بن زُفَر

عَيْلان : بالعين المهملة .

حدّث عن أبي الحسن أحمد بن محمود بن مقاتل الهَرَويّ قال : سمعتُ الربيعَ بن سليمان يقول : سمعتُ الشافعيَّ يقول :

رأيتُ في يومٍ واحد بأرض اليمن ثلاثَ أُعجوبات ، رأيت حجَّاماً أعمى مقعداً يعبُر الرؤيا ؛ ورأيتُ رجلاً مذبوحاً من قفاه من أذُنه إلى أذُنه وقد دووِي وبَرَأ ، وهو يجيءُ ويذهب ، ورأيتُ حبَّةً تُحْمَلُ على بعير .

شُريح بن شَقِيق ممَّنْ قدم على سيِّدنا رسولِ الله ﷺ .

وتوفي أبو الهَيْذام سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة .

٥١ ـ عُيَيْنَة بن عائشة بن عمرو بن السَّرِيّ

ابن عُلاَثة بن الحارث بن امرئِ القيس بن زيد مَنَاة بن تميم

ابن مُرّ بن أُدّ بن إلْيَاس[1] بن مُضَر بن نزار

صحابيٌّ شهد غزوةَ مؤتة .

حدث عن خالد بن الوليد قال : قال رسولُ الله ﷺ :

الحربُ خَدْعَة .

---

(١) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٨ : « أُدَ بن طابخة بن إلياس » .